الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

الثقافة العربية في عصر العولمة

العدد ٤٠٥ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ ـ أغسطس / سبتمبر ١٩٩٩ م

الأسرى.. موجز مأساة إنسانية

المرأة المسلمة من مؤتمر مكسيكو وحتى مؤتمر بكين

هديتك مع العدد يراعم الايمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

- بـ ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

للاستفسار :

رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 405 . السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الأولى 1420 هـ - أغسطس / سبتمبر 1999 م

كلمة العدد

نحن والقراء

كمٌّ هائل من الرسائل تلقيناه من الإخوة القراء بسبب تناولنا ذكرى مولد النبي العظيم محمد ﷺ في افتتاحية العدد ٤٠٣ من مجلة الوعي الإسلامي وتحت عنوان «ذكرى المولد وعملية الفرز الحضاري»، ونحن إذ نشكر قراءنا الأعزاء الغيارى على هذا التفاعل الطيب والإيجابي مع موضوعات المجلة إلا أننا أحببنا أن نؤكد لقرائنا حقيقتين مهمتين ركزّ عليهما المقال وهما:

١ ـ نحن لم ندع من خلال المقال المنشور للاحتفال بالمولد النبوي على أنه أحد أعياد المسلمين، كما ورد في رسائل القراء.

٢ ـ المقال كان تذكيراً فقط بالمبادئ التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ للتمسك بنهجه في زمن التحولات الحضارية التي تقودها أطراف عدة تحاول استبعاد المسلمين عنها.

مرة أخرى، نقول لقرائنا: شكراً لكم على غيرتكم ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا ويأخذ بأيدينا لما فيه خير الإسلام والمسلمين. ■

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤٠ ريالات . الإمارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . أوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الأخرى : دولاران او مايعادلهما .

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزيبر

في العدد

قضايا إنسانية

الأسرى موجز مأساة إنسانية

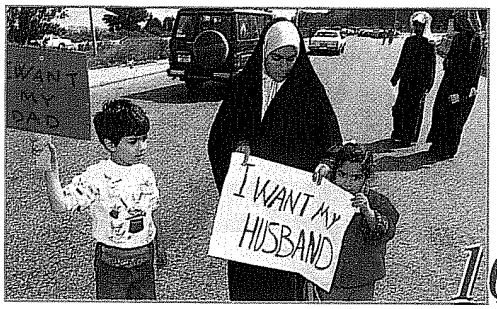

بعد مرور عدة سنوات على الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت مازال أكثر من ٦٠٠ أسير يحتجزهم النظام العراقي ويرفض الإدلاء بأية معلومات عنهم.

مجتمع 34

التعايش مع غير المسلمين

ما حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم وما حقيقة المفاهيم التي تهدف إلى احتكار الرأي لدى فئة من المسلمين دون غيرها وما الأطر العامة التي تضبط علاقة المسلمين بغيرهم.

قضايا معاصرة 54

المرأة المسلمة من مؤتمر مكسيكو إلى مؤتمر بكين

هل نجحت المحاولات الشيطانية لجر المرأة المسلمة خلف الشعارات ذات البريق الزائف وما النتيجة التي جنتها المرأة الغربية وهي تلهث وراء سراب المساواة والحرية؟

الفهرس

٣	كلمة العدد/ نحن والقراء	التحرير
٤	الفهرس	التحرير
٥	الافتتاحية/ الابتلاء تمحيص للأمم	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل أحمد الهنيدي
١٠	الأسرى موجز مأساة إنسانية	اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين
١٤	شعر/ الشهيد	منير محمد خلف
١٥	في ذمة الله/ الملك الحسن الثاني	التحرير
١٦	حوار مع الدكتور أحمد شلبي	-
١٩	أهمية التمثيل الصحيح لدور مقاصد الشريعة في حياتنا ٢/٢	حسن البراق
٢١	نحن أمة الذكر	عبدالصمد التبرودي
٢٥	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟	ماجد أحمد المومني
٢٨	فتنة المال أو قارون؟	بدرت نوال بدير
٣٠	آداب السفر	محمد حمدي الحديدي
٣٢	الثقافة العربية في عصر العولمة	الخضر بن محمد
٣٤	التعايش مع غير المسلمين ٢/٢	سالم البهنساوي
٣٨	شخصيات/ رؤية معاصرة في سيرة عبدالله بن مسعود	د. خالد سعد النجار
٤١	شخصيات/ د. عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»	محمد القاضي
٤٤	نحو مفهوم إسلامي للشخصية	وائل مصطفى محمود
٤٧	رسالة دكتوراة/ التربية وقضية التغير	محمد عباس عرابي
٤٩	التوكل والإيمان شفاء للنفس البشرية	آمال عبدالرحمن محمد
٥١	العلمانيون المعتدلون	د. خالد سعد النجار
٥٤	قضايا معاصرة/ المرأة المسلمة من مؤتمر مكسيكو وحتى مؤتمر بكين	محمد السيد
٥٩	علوم/ من أسرار عالم النحل	د. حسان شمسي باشا
٦١	نقد/ ناقة صالح.. غياب المنهج	محمد بسام ملص
٦٤	قراءة في كتاب الإسلام وضرورة التغيير	محمود رمضان محمد
٦٦	فرائد اللغة العربية	يسري محمد شاهين
٦٨	البيت المسلم/ الحركات العصبية عند الأطفال	د. نبيل الزهار
٧٠	الطفولة أشد مراحل الحياة خصوبة ٩/١	طارق البكري
٧١	مخدرات إعلامية	منى السعيد الشريف
٧٢	عادة مص الأصابع عند الأطفال	ليلى عبدالرحمن السلطان
٧٤	العدول عن الخطبة والآثار المترتبة عليه	محمد عباس عرابي
٧٦	الطلاق ليس حلاً	محمود النجيري
٧٨	كيف تعتد المرأة المسلمة؟	منى السيد بلاسي
٨٢	ترجمات/ هل تمحو التكنولوجيا تاريخنا المعاصر؟	عبدالمنعم أحمد
٨٤	جديد الطب والعلوم	تمام أحمد
٨٦	نافذة على العالم	التحرير
٩٠	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٢	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٤	الرجم من أقدم العقوبات التي عرفتها البشرية	د. رفيق حسن الحليمي
٩٦	فتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ تراويح أهل الله	د. مصفى رجب

في ذكرى ٢ أغسطس الابتلاء تمحيص للأمم

الافتتاحية

تصاب الأمم والمجتمعات بفتن ومحن تخرج منها أصلب عوداً وأقوى بأساً، وأحدّ بصيرة، لكن جراح تلك المحن والأزمات تظل ترسل إشعاعاً مؤلماً على مدى الزمن بل يكون لها بريق حال دوران وقتها، خاصة إذا كان هناك ما يدعو إلى أليم الذكرى كآثار ومخلفات لتلك الأزمات والكوارث ولا سيما إذا كانت عدواناً... حرباً... غزواً... وبلدنا الحبيب الكويت ليس استثناء من القاعدة، فقد حدث له ما يحدث لأقطار أخرى في العالم حال الهجوم المباغت من الجار الغشوم ونظامه الغادر والناكث لأحكام الدين الحنيف الإسلام، وللمواثيق والمراسيم الدولية والعالمية.

إننا إذا نظرنا للغزو بصورة غير المعهودة عند أنظمة العالم من كونه عدواناً وخديعة وظلماً، فإننا من منطلق المنظور الإسلامي العادل والداعي للخير والموجه لليقين بقضاء الله وقدره والحاث على الصبر والثبات... إننا من كل ذلك نعي وندرك أن المنظور الإسلامي يوجه إلى وعي وفقه الابتلاء، وأنه سنة الله في خلقه، وأنه تبارك وتعالى كتبه وقدّره لحكمة وسبب خلاصتها وأدق معنى من معانيها أن الابتلاء تمحيص للأمم.

تمر ذكرى ٨/٢ على هذا البلد الطيب وأهله أهل الخير وجرس الأسرى يرن في الآذان، وآثار العدوان بادية بوجود ذلك النظام الآثم، إلا أن مرور السنوات أبلغ دليل على أن كل شيء في الوجود إلى انتهاء، وهذا النظام كغيره سينتهي ويزول ولن يذكر بالخير، بل سيلقى لعنات السماوات والأرض جزاء ما قدم من جرائم وما جرّه على شعبه والعرب والمسلمين من ويلات.

إن سنة الابتلاء التي كتبها الله سبحانه على عباده بيّن لنا جل وعلا أسبابها وجزاءها يقول جل وعلا: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١.

ويقول سبحانه وتعالى: (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة:١٧٧.

وقد جعل الله سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس ابتلاء، والأحاديث في الابتلاء كثيرة منها: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه»، «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» إلى غير ذلك، مما ورد في الحديث، مما يدل على أن الابتلاء فيه طهارة النفس وتمحيصها ودفعها للعمل والثبات والإعداد للمستقبل، وهذا ما يجب أن ندركه ونقف عليه من معاني الثبات ودروسه ذات المواعظ والآثار العميقة حتى نكون ممن يرضى الله سبحانه عنهم ونحقق لأمتنا المكان الذي يليق بها ولمجتمعاتنا ما ترجوه له من الخير والتقدم والارتقاء. ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

كوسوفا كشفت الحقد الصربي

قرأت العدد رقم ٤٠٣ من مجلتكم وانفعلت للتحقيق الذي أجراه الأستاذ زكريا إبراهيم عن كوسوفا - لكنني رغم ما أحسست بين سطوره من حرارة وأسى إلا أنني رأيت بين السطور مدى ضعف هؤلاء الصرب ومدى قوة الإسلام رغم ما يعانيه المسلمون هناك، فكتبت هذه السطور لصفحة بريد القراء.

على الرغم من كل ما يبذله أعداء السماحة بين الأديان في الإسلام والمسلمين في كوسوفا من محاولات واهنة خائبة تكشف عن ضعف عقائدي وانهيار خلقي ومرض نفسي مستفحل في جنود الصرب حيث الحرب دون عقيدة ولا مبدأ لتصفية المسلمين في كوسوفا، كاشفي النقاب عن تنكرهم للمسيحية السمحاء والتي يدَّعون الانتماء لها وهي منهم براء، فلم تكن ولا كانت المسيحية يوماً إلا دين سماحة وخلق رفيع وقيم، وما يفعله الصرب بالمسلمين الآن يؤكد قوة عقيدتهم تلك الرسالة التي جاء بها رسول الرحمة محمد ﷺ والتاريخ يستشرف منه كثير من المواقف التي تدل على قمة التسامح وروح الإخاء والحب التي تملأ كل مسلم تجاه أخيه في الدين الآخر وتؤكد أن فكرة التعايش السلمي بين الأديان لم تكن مبدأ يطبق وبحق إلا في ظل العصور الزاهرة للإسلام والتاريخ مليء بالمواقف الدالة على ذلك.

علية عبدالعال محمد

الطفل والقراءة

إن كتب الأطفال والمجلات المتخصصة في العالم العربي والإسلامي تكاد تكون خاوية الوفاض وأنها يسيرة جداً، ومعظمها مترجم عن «قصص المغامرات والخيال العلمي الغربي». ونحن نجد في العالم العربي والإسلامي نزراً يسيراً من الأدباء يهتمون بأدب الطفولة وقصص الجهاد والبطولات الإسلامية، ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة الكتابة ومشتقها بالنسبة لعالم الطفولة وما يتطلبه من رؤية فكرية وفنية ومراعاة المراحل الزمنية لنمو الطفل ومعرفة الحياة النفسية لديه. والسؤال المطروح لماذا الغربيون يهتمون كثيراً بأطفالهم ويخصصون لهم كتباً مصورة وقصصاً ومسرحيات ومجلات من بيئتهم وتراثهم؟

إن الإسلام حثنا على القراءة من المهد إلى اللحد وأول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي «إقرأ» كما أن القراءة حق من حقوق الطفل في الإسلام فلماذا لا نخصص لهم كتباً وصحفاً ومجلات؟ الواقع ليس هناك فرق بين الطفل العربي المسلم والطفل الغربي إلا في التربية والرعاية وأذكر على سبيل المثال في هذا الصدد ما قاله الدكتور محمد الوهابي وهو أديب وطبيب للأطفال يقول: بينما أنا عائد يوماً من هولندا إلى بلجيكا في القطار وكان بجانبه سيدة هولندية بمعية ابنها الصغير فجأة طفق يبكي وفتحت أمه حقيبة يدها وسلمت له كتاباً وراح يقرأ بحيوية وارتياح وانقطع عن البكاء، واستغرب الدكتور الوهابي من هذه الحادثة لأنه ظن أن الهولندية ستسلم لابنها الحلوى أو الكاكاو، فإذا بها تقدم له زاداً نفيساً لا ينضب معينه وهو الزاد الفكري والتربوي الذي يحتاجه أطفالنا كثيراً، لأنهم عماد مستقبلنا وكل آمالنا وطموحاتنا. هكذا إ يقومون في ديار الغرب بتربية أبنائهم منذ نعومة أظفارهم... ويقومون بإعدادهم إعداداً صحيحاً لمواجهة وتحدي صعوبة الحياة.

د. عبدالسلام سومة - المغرب

ردود خاصة

بعض الظروف القاهرة فنضطر معها للاستغناء عن بعض صفحات البريد.

● **الإخوة القراء: عبدالقادر أحمد إبراهيم - الجزائر، ناصر عبدو - مصر، سالم محمد - السعودية، محمد بوجدو - المغرب:**

نأسف لعدم تلبية طلباتكم في إرسال المجلة مجاناً، يمكنكم إرسال قيمة الاشتراك السنوي لتصلكم المجلة بانتظام بإذن الله.

● **حسن خلدون - المغرب:**

أعانك الله للتغلب على إعاقتك البندية ونأسف لعدم تلبية طلبك لأننا لسنا جهة طبية، ويمكنك الاتصال بصندوق إعانة المرضى في الكويت أو أية جهة خيرية فيها لإيجاد الحل لمشكلتك.

● **عبدالسلام محمد وحيد - مصر:**

شكراً على اقتراحكم بخصوص بريد القراء، لكن في بعض الأحيان تحكمنا

● **عبدالعليم عبدالله الخويلي - تركيا:**

عنوان وكالة الأنباء الإسلامية «إينا» هو: جدة - شارع الأمير فهد - ص.ب: ٥٠٥٤ - الرمز البريدي ٢١٤٢٢ - المملكة العربية السعودية.

تعقيب وتصحيح

خولة بنت الأزور بين الحقيقة والخيال

كتب الأستاذ محمد مروان جميل مراد في عدد مجلة الوعي رقم ٤٠٣ لشهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ تحت عنوان «أعلام مشهورون دفنوا في دمشق» وفيما كتبه الأستاذ محمد مروان ذكر أن من بين هؤلاء الأعلام «خولة بنت الأزور».

وإن تعجب فعجب القول بوجود «خولة» هذه، وأنها من الأعلام، والحق أنها لا وجود لها إلا في مخيلة من سطر براعة كتاب فتوح الشام المنسوب زوراً وبهتاناً إلى الإمام الجليل محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، وهذه الشخصية ليست من الحقيقة في شيء: وهي شخصية قد ابتدعها وتوهمها مؤلف الكتاب المشار إليه آنفاً.

ومما زاد الطين بلة أن افتنَّ بهذه الشخصية جمهور غفير، بل كثير من مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا ونسجوا لها البطولات والمواقف الرائعة وحتى كتب عنها البعض من كبار علماء الدين: جميعهم أشادوا ومجدوا منْ يسمونها «خولة بنت الأزور».

هذه الشخصية التي لا وجود لها في تاريخنا، بل هي محض افتراء ومن الهوس والعجب بها فقد درَّسوها لأبنائنا في بعض مراحل التعليم، وأطلقوا اسمها على الميادين المهمة وبعض بيوت التربية والتعليم، ونالت حظوة من الناس كبطلة وفارسة أبلت بلاء حسناً في بعض المواقع المهمة في التاريخ الإسلامي.

والعجب الأعجب أن الأستاذ الجليل الدكتور محمد شوقي الفنجري كتب مسرحية بعنوان: «الصحابية الفارسة خولة بنت الأزور: تاريخ حقيقي في قالب مسرحي».

وليت شعري من أين جاء سيادته «صحابية» وكيف سوَّلت له نفسه أن يزعم أنها «تاريخ حقيقي» والحق - فيما نعلم - أن الوهم والخيال أصدق من وجود هذه الشخصية المفتراة على التاريخ الإسلامي.

فإنني طوّفت ما طوّفت في عالمي: المطبوع والمخطوط فربماأكون عثرت على السراب دون أن أعثر على وجود لهذه الشخصية الموهومة التي افتراها واختلقها مؤلف فتوح الشام إن صح التعبير.

وكتاب فتوح الشام الذي يتداوله الناس، والذي هو محراب فكرهم ومستودع رؤاهم عن «خولة بنت الأزور» دون سواه فبتوفيق من الله أثبتّ أنه مؤلف في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وإن نسبته إلى الإمام الواقدي (ت٢٠٧هجرية) محض افتراء كاذب وليس من صنعته، والبون شاسعاً بين منهج المؤرخين الأثبات، وبين منهج الأساطير الشعبية، وما حكمت به على هذا الكتاب إلا بنصوص دبجها ببراعة مؤلف «فتوح الشام».

ومعذرة للدكتور محمد شوقي الفنجري فيما زعم أنها «صحابية» ويا دكتور بين يديك كتاب الطبقات وتراجم الصحابة، والتاريخ الإسلامي الصحيح، وحتى كتب الأدب النسائي في الإسلام لأمثال: ابن طيفور وغيره، وكتب تراجم النساء في المشرق وفي الأندلس لأمثال: «ابن جميل» وغيره، وحتى كتب اللغة مثل: تاج العروس (مؤلفه ١٢٠٥هجرية)، جميعهم لم يذكروا حرفاً واحداً عن «خولة» هذه التي لا وجود لها إلا في كتاب «فتوح الشام» الذي أضلَّ كثيراً من الناس، وصوَّر لهم الباطل حقاً «يا حسرة على العباد».

وأنني كمسلم أتمنى لو أن أحداً يدلني على وجود هذه الشخصية التي ملأ اسمها طباق الأرض فروسية وشجاعة فقد بحثت كثيراً وكثيراً وتجشمت المصاعب الجسام لعلي أحظى بشيء عنها من شتى المصادر والمراجع ورجعت بخفي حنين، ولم أحظ ببغيتي ولو بأثارة علم، ولكن وا أسفاه فأننا جميعاً نفخر ونفخر ونمجد سراباً ولا وجود له البتة.

ولا نفسها أن «ابن عساكر» مؤلف كتاب تاريخ مدينة دمشق اختص النساء اللائي دخلن دمشق في الفتوحات الإسلامية بكتاب كبير من الحجم الأكبر ولم يذكر بين اللواتي ترجم لهن «خولة بنت الأزور» هذه مما يؤكد أنها وهم من الخيال وسراب يحسبه الظمآن ماء قد اخترعها مؤلف «فتوح الشام» فإن أصبت فمن الله.. وإن أخطأت فمن نفسي فالعصمة لله وحده.

فكري زكي الجزاء - مصر

ذئاب في ثياب

عندما ترعى الذئاب الغنم، وصف دقيق لما يجري الآن على الساحة العالمية في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ونحن نعلم يقيناً أن «الذئب لن يكون أبداً راعياً للسلام»، ولن يصبح أحفاد بلفور وسايكس بيكو وأصحاب هيروشيما أمناء على عالم الضعفاء، بل إن غاية ما يصبو إليه استعمار اليوم أن يرى المسلمين ممزقين حينها «يأكل الذئب من الغنم القاصية».

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

بقلم: وائل أحمد العيسوي

جمادى الأولى

يُعدُّ موضوع المرأة، من الموضوعات التي تمس صلب الحياة إذا ما قرن بالعلم الواعي والفهم الدقيق لكل ما يمس المرأة في حياتها كلها.

وقد أكثر الكتاب والمفكرون في إبداء آراء متفاوتة شرقاً وغرباً ومنهم - كما نعلم - مُفْرِطٌ في إعطاء المرأة حريتها المطلقة كما يزعم أو متشدد لم يفهم روح الإسلام الحنيف، وأخضع النص الشرعي لأعراف وعادات أقلُّ ما توصف به أنها جاهلية.

بين هذا وذاك، يبرز صوت متزن ينادي بأن نعرض كل ما وصل إليه العقل والفكر من تفريط أو إفراط، على ميزان الشرع الحكيم، إذ الشرع لا يحابي أحداً، ولا يستمد شرعيته من هوىٰ نفس مريضة، أو صلف تجبر أهوج.

إن أهم ما يربط علاقتنا - بني الإنسان - بعضنا ببعض ويتوجها بتاج العزة والمنعة، هو انضواؤها تحت مظلة الاستسلام المطلق لكل ما يأمرنا الله به، فيما ينظم علاقتنا بالحياة التي نعيشها، وآخرتنا التي لابد من بلوغها.

إنَّ تشعب الحياة وتنوع نشاطاتها يحتاج لضابط علمي، لا يخضع لهوىٰ أحد، ويعرف كل دخائل النفس وأنشطة العقل ويدرك تنوع الحاجات والمطالب والغرائز والفِطَر، وينظم علاقتها بالموارد والمصادر التي خلقها الله وسخرها لخدمة الإنسان.

وليس من نظام تنتظم فيه كل هذه الحلقات بتراص أخلاقي وتناغم عاطفي إلا الإسلام، فما من فرد في المجتمع المسلم، رجلاً كان أو امرأة، طفلاً أو شيخاً، عاملاً عادياً أو ذا منصب رفيع إلا ولكل واحد منهم دور يقوم به شعر بهذا الدور أم لم يشعر، حتى ذوي الاحتياجات الخاصة والقدرات المحدودة لهم دور لا يخفى على أي عقل منصف يتتبع مراقي العلم الصحيح والحقيقة المطلقة.

في هذا الشهر - جمادى الأولى - نقف مع حدثٍ يلفت أنظارنا إلى دور قامت به المرأة المسلمة، يبدو للوهلة الأولى متوارياً خلف شفافية التعامل الكريم وعاطفة تقدر العلاقات الإنسانية بضابط من الخلق الراقي والنفس المتزنة.

في مثل هذا الشهر وجه رسول الله ﷺ سرية تتألف من مئة وسبعين راكباً أمَّر عليها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان هدفها عير لقريش عائدة بتجارة من الشام، وكان قائد هذه القافلة صهر رسول الله ﷺ أبو العاص بن الربيع، فأصاب زيد بن حارثة رضي الله عنه عير قريش وأسر منهم نفراً وأعجزهم أبو العاص هرباً، ولم يقدروا عليه، ودخل أبو العاص المدينة ليلاً واستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ، زوجته - رضي الله عنها فلما كان النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح، صرخت زينب من صُفَّة النساء: «أيها الناس، قد أجرت أبا العاص بن الربيع»(١). فلما سلم النبي ﷺ من صلاته قال: «ما علمت بهذا وإنه يجير على الناس أدناهم»(٢).

ترى ما الذي جعل بنت رسول الله - ﷺ - تقف من أبي العاص - وقد كان حينها مشركاً - هذا الموقف إلا حب صادق عميق، ملتزم بأدب راق لم يمنعها من إجارته، ورسول الله ﷺ لم يكن له سابق علم به وبقدومه قد أقرَّ إجارتها له ولم يمنعها.

إن هذا الحب الذي نشأ حين تزوج أبو العاص من زينب رضي الله عنها قبل الهجرة - ولم تهاجر مع أبيها إذ كانت من المستضعفين، ومكثت معه في مكة بعد الهجرة - قد جعلها حين جاء زوجها مع المشركين في بدر وأُسر مع من أسر منهم، تبعث في فداء بقلادة كانت قد أهدتها أمها لها ليلة زواجها من أبي العاص، تلك القلادة التي حملتها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بيدها وأهدتها لابنتها يتذكرها النبي ﷺ، ويعرفها حين يراها في المال الذي خُصص لفداء أبي العاص، فلما رأى النبي ﷺ القلادة، رقَّ لها وقال: «إن شئتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم؟» قالوا: نعم وأطلقوه(٣)، فأخذ النبي - ﷺ - على أبي العاص العهد إن يخلي سبيلها إليه، ففىٰ أبو العاص بوعده وعادت زينب رضي الله عنها إلى أبيها ﷺ، وتمر الأعوام الأربعة(٤)، ولم يفارق أبو العاص مخيلة زوجه زينب رضي الله عنها، وهو زوجها الذي قال عنه النبي ﷺ: «حدثني فصدقني ووعدني ففىٰ لي»(٥).

حتى جاء الوقت الذي تستطيع فيه زينب رضي الله عنها أن تلعب دوراً مهماً في إسلام زوجها، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وطلبت منه أن يعيد إلى أبي العاص مال قريش الذي غنمه المسلمون في سرية زيد بن حارثه رضي الله عنه، فبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: «إن هذا الرجل منَّا حيث علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه فإنَّا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله فأنتم أحق به» قالوا: بل نرده، فردوه كله»(٦).

أخذ أبو العاص بن الربيع هذا المال وعاد به إلى قريش وقد أضمر في نفسه أمراً، فما إن أدَّىٰ إلى كل ذي مال ماله، حتى قال: يا معشر قريش... هل بقي لأحد منكم عندي شيء؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً. قال: «فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله... والله ما منعني من الإسلام عنده - يعني الرسول ﷺ - إلا خوف أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم».

وكان إسلامه - رضي الله عنه - قبل الحديبية بستة أشهر(٧)، أي في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة، ورد رسول الله ﷺ عليه زينب رضي الله عنها بالنكاح الأول.(٨)

وعاد الحب الذي قاسى من الفراق ولوعة التشتيت إلى دفء اللقاء ولذة الائتلاف ذاك الحب الذي لم ينقطع ولم تبتر عراه سنوات من الفراق المكاني والعقدي الذي ما لبث أن أثمر صدقاً في المودة الخالصة في ظل عبودية لله وحده ومباركة من رسول الله ﷺ.

إن بركة الطاعة هي التي تشيع الود والإخلاص، فييسر الله سبحانه وتعالى قضاءه وجميل تقديره ليعلمنا أن الحوادث والملمات متى ما سلّم الإنسان فيها أمره لله فإنه يفتح له من أبواب الخير أضعافها، بالصورة التي كانت عليها أو بأجمل منها وأبهى وأحسن، وذلك في شؤون الإنسان كلها، وجماع هذا كله - أي بركة الطاعة ولطف التدبير - هو الاستسلام المطلق لكل ما يأتي من الله.

إن العيش في ظل الطاعة والاستسلام لله بكل ما قضى وقدر تضفي على الروح إشراقاً من فيض نور الله يعيش معه العبد في جنة من لم يدخلها في الدنيا فلن يدخل جنة الآخرة، كما في أقوال بعض الصالحين. إن الإيمان حين يتمكن من نفس الإنسان يكسبه قوة الحق، ويجعل من كل شيء من حطام الدنيا هباء لا يغني من الحق شيئاً فلا ينظر لقوته ولا لعتاده وعدته ولا لحسن تدبيره إلا في نطاق استسلام مطلق لإرادة الله وطاعة لأوامره فلا يدع خطة يعظم فيها حرمات الله إلا اتخذها مهما كان الثمن غالياً ومهما كانت الظروف صعبة، وإنه ليتجلى - كل ذلك - واضحاً في حياة الصحابة رضوان الله عليهم ليضربوا مثل المؤمنين بالله حقاً.

في مثل هذا الشهر قد بعث النبي ﷺ بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، أمَّر عليهم - وللمرة الأولى - ثلاثة قواد ينوب أحدهم مكان الذي قبله، أولهم زيد بن حارثة وقال ﷺ: «فإن قتل زيد فجعفر - يعني ابن أبي طالب - فإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة»(٩).

وتوجه الجيش إلى مؤتة، وكان سبب بعث هذا الجيش أن أحد عمال قيصر قد اجترأ على رسول رسول الله ﷺ فقتله، وكان هذا الفعل بمثابة استهانة بالمرسِل وأشبه بإعلان الحرب، وتحرك الجيش حتى نزل بمعان من أرض الشام، وعلموا أن جيش هرقل يناهز المئة ألف ثم انضم إليه من الغساسنة وحلفائهم مئة ألف أيضاً، وتشاوروا في هذا العدد الكبير، إذا ما قورن بجيش المسلمين الذي لا يتعدى الثلاثة آلاف، فأشار بعض المسلمين أن يبعثوا لرسول الله ﷺ بكتاب، فإما أن يبعث لهم بمدد أو يأمرهم بأمر، وفي مثل هذه اللحظات يصفو صوت الإيمان، ويخلص، فلا يبقى بعد صوته صوت، ولا بعد نوره من نور.

قام عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه - وقال: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون - الشهادة - وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة»(١٠).

وما إن فرغ من كلامه حتى استقر الرأي على القتال، وقاتلوا ورسول الله ﷺ في المدينة وعيناه ﷺ تذرفان وهو يخبر الناس باستشهادهم، حتى قال: «أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»(١١).

وبخفة القائد وحنكة العسكري المخضرم احتال خالد بن الوليد رضي الله عنه حيلة خلَّصت المسلمين من هذا الجيش، فقد أخذ جيش المسلمين يتراجع ويحرك الغبار من خلفه حتى ظن الروم أن مدداً قد جاء وأن جيش المسلمين ينسحب ليدخلهم الصحراء فيموتوا فيها، ودبَّ الرعب في قلوبهم فلم يتبعوا المسلمين، الذين لم يقتل منهم سوى اثني عشر قتيلاً.

هكذا يفعل الإيمان فعله متى صدق وخلص لله، وصدق الله إذ يقول: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) الآية ٣٨/ الحج.

إن حاجتنا في كل زمان ومكان لا تنفك عن جميل التوجه إلى الله وصدق الاتكال عليه، فبه - وبه وحده - ننتصر على أنفسنا ومن ثمَّ على كل من يريد منَّا أن لا نرفع بالدين رأساً، تارة بأسماء يريدون بها طمس الحق بالباطل، وتارة بالجهلانية باسم العلم والعقلانية وهي الجنون... (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الآية ٣٠/ الأنفال. ■

الهوامش:

١ - ٢ - ٣ - سير اعلام النبلاء - الإمام الذهبي. ط٩ سنة ١٩٩٣م تحقيق حسين الأسد - بإشراف شعيب الأرنؤوط.

٤ - إذا علمنا أن غزوة بدر الكبرى حدثت في رمضان من العام الثاني للهجرة وكانت سرية زيد رضي الله عنه التي أسلم بعدها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه التي كانت في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة تكون الفترة التي قضتها زينب رضي الله عنها بعيدة عن زوجها أربعة أعوام. وما ذكره الإمام الذهبي في الإعلام أنها هاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، قد يقصد به العام السادس للهجرة، وإلا فإن أبا العاص أسلم قبل الحديبية بستة أشهر، أي في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة.

٥ - أخرجه البخاري.

٦ - نلحظ أن رسول الله ﷺ لم يلزم السرية برد المال الذي أخذوه، ولكنه ترك الأمر خيرة بينهم ليعلم الناس جميعاً أن الغنائم قبل أن تُقسم بين المحاربين فللحاكم أن لا يقسمها، ولكن بعد أن يقسمها بين الناس، قد انتقلت ملكيتها إليهم ولهم بذلك أن يردوها أو يحتفظوا بها لأنفسهم. راجع الأحكام السلطانية للإمام الماوردي.

٧ - ٨ - سير اعلام النبلاء للذهبي.

٩ - رواه البخاري باب غزوة مؤتة.

١٠ - الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري ص ٣٧٠.

١١ - رواه البخاري.

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين

الأسرى .. موجز مأساة إنسانية

بعد مرور سنوات عدة على غزو القوات العراقية لدولة الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م. والذي أدانه العالم أجمع، مازال هناك أكثر من ٦٠٠ أسير يحتجزهم النظام العراقي ويرفض الإدلاء بأي معلومات عنهم.

وانطلاقاً من حرصها على الاعتبارات الإنسانية، والرغبة المؤكدة في انهاء معاناة الأسرى كافة مع الاعتقاد الراسخ في أهمية العمل الدولي لحل النزاعات والخلافات سلمياً، فإن دولة الكويت تعلق أهمية كبيرة على القرارين ٦٨٦ الصادر في الثاني من مارس و ٦٨٧ الصادر في الثالث من أبريل ١٩٩١م (الفقرة رابع/ ٣٠)، وما ينصان عليه، حيث يطالبان العراق - من بين أمور عدة - بضرورة التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر للإفراج عن جميع الأسرى.

من هذا المنطلق، شاركت دولة الكويت بفاعلية في جميع اجتماعات اللجنة الثلاثية التي تراسها اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ مارس ١٩٩١م، وتضم المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا والكويت والعراق طرف آخر.

وخلال الاجتماع الأول وقع جميع الأعضاء على مذكرة تعهدوا من خلالها الالتزام بالتطبيق الكامل لجميع ما نصت عليه معاهدات جنيف لعام ١٩٤٩م وقرارات مجلس الأمن وتقديم كشوف كاملة بأسماء الأسرى والمحتجزين الآخرين تمهيداً لتأمين إطلاق سراحهم فوراً.

وفي أعقاب الاجتماعات الأولى للجنة الثلاثية، تم تسليم عدد من الأسرى إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر من كلا الطرفين، البعض الآخر تم إطلاق سراحه أثناء الانتفاضة في جنوب العراق خلال الاضطرابات التي أعقبت تحرير دولة الكويت، وبشكل إجمالي فإن ما يربو من ٦٠٠ كويتي وجدوا طريقهم من طريق إحدى هاتين الوسيلتين (٧٧٢ عادوا عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر ونحو ٥٠٠ بوسائلهم الخاصة).

وبعد هذه النجاحات المبكرة، وضح أن الكثيرين مازالوا مفقودين، ومن ثم وجهت اللجنة الثلاثية اهتمامها نحو هذه المشكلة، في أبريل ١٩٩١م، وبتوجيهات من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وخبراتها، وافق جميع الأعضاء على خطة عمل محددة تهدف لإعادة رفات المتوفين وتتبع قضية الأسرى الذين لم يُستدل عليهم بعد.

وبينما كانت الكويت تركز كل جهودها لاستكمال ملفات شخصية موثقة يمكن الاعتداد بها وفقاً لهذه الخطة، بذل العراق غاية الجهد لإبطاء وإعاقة عمل اللجنة الثلاثية عن طريق مقاطعة الاجتماعات اللاحقة، وهكذا توقفت اللجنة الثلاثية عن عملها في أكتوبر ١٩٩١م إلى أن عادت للعمل من جديد في يوليو ١٩٩٣م، ولكن من دون مشاركة العراق.

في هذا الوقت أعدت الكويت وقدمت للعراق - عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر - أكثر من ٦٠٠ ملف فردي فائق التوثيق ومدعم بشهادات الشهود ودلائل الاعتقال.

إن نظرة عامة وسريعة على هذه الملفات تبين أن ما يقرب من ٨٩٪ من الأسرى يحمل الجنسية الكويتية من كلا الجنسين، معظمهم من المدنيين وبينهم الكثير من الطلبة، وبالنسبة للعسكريين فقد تم القبض على غالبيتهم في ملابس مدنية بينما هم خارج الخدمة، هناك أيضاً ٧ من النساء و ٢٢ من كبار السن لم يستدل عليهم بعد.

تم إلقاء القبض على نحو ٩٠٪ من الأسرى خلال الاحتلال عندما كان العراق يبذلون الجهد للقضاء على المقاومة الكويتية، والبعض الآخر تم القبض عليه بشكل عشوائي من الشوارع.

وتقدم نسبة ٨٥٪ من الملفات شهوداً من المعتقلين أو المحتجزين في الكويت أو في العراق قبل أو بعد التحرير، والكثير من هذه الملفات تعرض مزيجاً من شهادات متعددة، حيث تظهر أسماء وعناوين جميع الشهود والأشخاص الذين قاموا بالاستعلام (أفراد العائلة الذين قاموا بفتح طلبات البحث) بشكل واضح، إضافة إلى صورة خاصة بالأسير المعني، كما ترفق بعض الوثائق الإضافية إلى هذه الملفات تدعمها مستندات عراقية رسمية تؤكد اعتقال أسرانا في العراق.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام، أن عدد الأسرى يمثل نحو ٠,٠٦٪ من إجمالي عدد

السكان في دولة الكويت. ونفس هذه النسبة في جمهورية مصر العربية تعادل ٦٠,٠٠٠ شخص، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تعادل ٢٥٠,٠٠٠ شخص، وفي أوروبا تعادل ٦٥٠,٠٠٠ وفي الصين تعادل ١,٢٠٠,٠٠٠.

ثم مضى عام آخر قبل حضور العراق - تحت الضغط الدولي المتزايد - اجتماعاً للجنة الثلاثية في يوليو ١٩٩٤م.

ومنذ ذلك الحين، ركزت اللجنة الثلاثية جهودها على تكوين لجنة فرعية تحمل على عاتقها مهام الإسراع في عملية البحث وتسهيل تبادل المعلومات المتعلقة بالملفات وتفنيد جميع اعمال المتابعة على أساس نتائج نشاطات البحث وبناء الثقة المتبادلة بين جميع الأطراف.

تأسست اللجنة الفنية الفرعية في ديسمبر ١٩٩٤م، حيث عُقدت الاجتماعات الأربعة الأولى في جنيف، ومنذ أغسطس ١٩٩٥م عُقدت أكثر من ٣٠ اجتماعاً على الحدود بين الكويت والعراق، ولكن للأسف فشلت هذه الاجتماعات في تقديم نتائج إيجابية حتى الآن «انظر ما يلي لاحقاً»، وبإضافة عدد ٢٣ دورة للجنة الثلاثية يتضح أن ممثلي دول التحالف والعراق قد اجتمعوا بالفعل ٥٩ مرة لمناقشة قضية الأسرى والمفقودين تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وبعد مرور هذه السنوات على تحرير الكويت، وأكثر من أربع سنوات على الاجتماع الأول للجنة الفنية الفرعية، وعلى الرغم من إحباطها من التقدم البطيء لعملية البحث، مازالت دولة الكويت واثقة أن مسؤوليتها تجاه الأسرى إلى جانب دعم دول التحالف وخبرة وحسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر، سوف تصل بهذه العملية إلى النتائج المرجوة.

وفيما يتعلق بالتقدم الضعيف لعملية البحث، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتذكير مرات عدة على المهام غير المرضية التي تقوم بها اللجنة الفنية الفرعية، وترى دولة الكويت أن العراق يتحمل مسؤولية هذا الفشل بشكل كامل.

وحتى الوقت الحاضر، فشل العراق في طرح نتائج مقبولة فيما يتعلق بالأهداف الأساسية للجنة الفرعية.

أما عن دفع عملية البحث، فقد قدم العراق ردوداً غير كاملة لعدد ١٢٢ ملفاً فردياً ما بين أغسطس ١٩٩٤م ويوليو ١٩٩٥م. ولكن منذ انتقال موقع اجتماعات اللجنة الفرعية إلى الحدود وصل ١٤ رداً فقط من هذه الردود كان آخرها منذ أكثر من سنتين، وبما يصل مجموعه الآن إلى ١٢٦ رداً.

إضافة إلى ذلك، فقد فشل العراق في تقديم أي معلومات إضافية مجدية حول هذه الملفات، على الرغم من حقيقة اعترافه في هذه الردود غير الكاملة بالقبض على معظم هؤلاء الأسرى وترحيلهم خلال الاحتلال، وذلك بغض النظر عن المطالب الكويتية المتكررة التي تم تقديمها في هذا الشأن، وفي الواقع فإن معظم المعلومات المقدمة غير واضحة بشكل كبير، مضللة وغير حاسمة لتمكين اللجنة الفنية الفرعية من تحديد مصير هؤلاء الأسرى.

كما أن النقص في الرد على المطالب المتكررة للحصول على معلومات حول الملفات المتبقية البالغ عددها ٤٧٩ ملفاً والتي لم يبت بشأنها بعد، بعد مثالاً آخر على التحفظ العراقي بشأن تبادل المعلومات وتنفيذ إجراءات متابعة ثابتة، ومثل هذا الموقف واجهه الوفد السعودي فيما يتعلق بمطالبه المتكررة للحصول على إجابات محددة حول ١٧ ملفاً لأسرى سعوديين تم تقديمها من قبل المملكة العربية السعودية.

وفي حالة أخرى تتعلق بادعاء وجود موقع تم دفن أسير كويتي في الأراضي الكويتية، قدم العراق لمدة ثلاثة سنوات وثائق مبهمة وغير دقيقة، حيث اعترف العراق في هذه الحالة بأن أحد الأسرى الكويتيين قد توفي السجن في أثناء الاحتلال، وتم دفن جثته في الكويت، ولمدة أربعة عشر شهراً بعد تلقي هذه المعلومات ظل العراق يرفض بعناد واضح إرسال شخص ما إلى الكويت للمساعدة في تحديد الموقع، وعندما وافق على ذلك الأمر، لم يستطع ميعوثوه تقديم المساعدة، ثم استغرق الأمر عاماً آخر قبل أن يوافق العراق أخيراً على إرسال أحد الأشخاص الذين شاركوا فعلياً في عملية الدفن والذي فشل هو الآخر في تحديد موقع دفن الأسير.

وحتى وقت قريب، ما زال العراق يرفض أو يعيق بشكل مستمر مطالب اللجنة الفرعية لمقابلة شهود عراقيين أو للاتصال بهم عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مدعياً أنهم إما قد لقوا حتفهم أو غير معروفين للسلطات العراقية.

أثبتت وسائل العراق التحقيقية حتى الآن عدم جدواها كلية، والتي من بينها التأسيس غير المجدي في أبريل ١٩٩١م، لما يُسمى بـ«اللجنة الدائمة لضحايا الحرب»، وما يطلق عليه طريقة «الاستذكار» التي تعتمد بشكل رئيس على ذاكرة شهود مجهولين.

برغم كل ذلك، تبقى دولة الكويت عازمة على الاستمرار في دعم عمل اللجنة الفنية الفرعية، ومساندتها لتحقيق أهدافها.

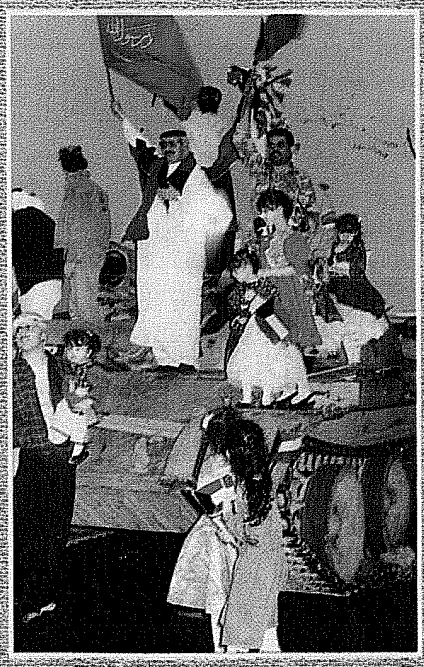

المتحدة، وبالأخص إنهاء الركود الواضح في الوقت الحاضر.

هذا وتستمر دولة الكويت في استخدام مختلف الوسائل المتاحة لرعاية روح من التعاون والثقة بين الأطراف المعنية في محاولة للمساعدة لإنجاح وإثمار عمل اللجنة الفرعية.

وإجمالاً، توصي دولة الكويت الأعضاء الموقرين بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بتكثيف الضغوط الدولية على العراق لحين تحقق نتائج ملموسة في هذه القضية الإنسانية. فليس هنالك أعظم من بث روح الأمن والطمأنينة لمئات من أسر الأسرى والمحتجزين الآخرين الذين لم يستدل عليهم بعد.

وبناء على ذلك، تود دولة الكويت أن تضع أمامكم المطالب التالية:

- أن يعلن العراق فوراً عن أسماء من يزال حياً ومن لقي حتفه من بين الأسرى الكويتيين ورعايا الدول الأخرى لبث الطمأنينة في نفوس أسرهم، فكما هو معروف أن حالة عدم اليقين عن مصير الأعزاء هي سبب أكيد لحزن وأسى لا يمكن تحمله.

- أن يسمح العراق على الفور للمنظمات الإنسانية مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة الأسرى الأحياء، وأن يقدم الدلائل على وفاة الآخرين، إضافة إلى المواقع الدقيقة للأماكن التي تم دفنهم فيها.

- أن يبدأ العراق في التعامل الجاد والفوري مع جميع الحالات التي قدمتها دولة الكويت، وخاصة مع الوضع في الاعتبار مرور أكثر من ست سنوات بالفعل منذ تقديمها، وأن يقوم بالإسراع في عملية البحث وتدفق المعلومات دون أي تأخير.

- أن يدعو العراق اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتنفيذ المهام المفوضة بها في السجون العراقية وأماكن الاحتجاز الأخرى وفقاً لمعاهدات جنيف وبما يتفق مع قوانين ومبادئ العمل التي تطبقها هذه المنظمة.

- أن تقوم الدول الأعضاء في مجلس الأمن ببذل الضغوط المطلوبة على العراق لوضع نهاية لهذه القضية الإنسانية.

- أن يتم طرح هذه القضية داخل مجلس الأمن في كل مرة يتم تناول أسئلة تتعلق بتطبيق العراق لقرارات المجلس، مع وضع ضعف التجاوب العراقي لهذه القضية الإنسانية في الاعتبار في كل مرة يتم فيها اتخاذ قرارات جديدة. ■

أولاً: الجنس:

بيان	العدد	النسبة
الذكور	٥٩٨	٩٨,٨٪
الإناث	٧	١,٢٪
الإجمالي	٦٠٥	١٠٠٪

ثانياً: تفاصيل المدنيين

حسب الأعمار	العدد	النسبة
من ١٦ إلى ٣٠ سنة	٣٤٥	٥٦,٩٪
من ٣١ إلى ٥٠ سنة	٢٣٢	٣٨,٥٪
من ٥١ إلى ٨٠ سنة	٢٨	٤,٦٪
الإجمالي	٦٠٥	١٠٠٪

ثالثاً: الأعمار:

بيان	ذكور	إناث	المجموع	النسبة
كويتيين «مدني»	٣٤٣	٦	٣٤٩	٥٧,٦٪
كويتيين «عسكري»	١٩١	-	١٩١	٣١,٥٪
جنسيات أخرى «مدني»	٣٩	١	٤٠	٦,٨٪
جنسيات أخرى «عسكري»	٢٥		٢٥	٤,١٪
الإجمالي	٥٩٨	٧	٦٠٥	١٠٠٪

عسكريين سعودي	بحريني	عماني	مصري	لبناني	سوري	إيراني	هندي
٣٠	١٤	١	١	٥	٣	٤	٦	١

الشهيد

شعر:
منير محمد خلف

طوبى لِمَنْ
كانت نهايتُه الشهادة
طوبى لمنْ
زرع الحياة قصائد الحبِّ العظيم
وراح يسألُ عن تباشير الصباح
ويُوقظ الدنيا
على أفراحِ مملكة الولادة
طوبى لمنْ
وهبَ الحياة حياتَه
وتفقَّدَ الأجيالَ قبل وصولهمْ
وسما على الأشياءِ
والأشجارِ والأقمارِ
يزرعُ صدره بالشمس
يرسمُ فرحة الأطيار
في شفة الصغار
ويقطف الشمسَ الجديدة
ثم يجعلها لهم أحلى قلادةْ

طوبى لمنْ
تتفتح الأزهار في يده
يقدم ما تخبئه لنا الأمطارُ
تكتملُ البلادُ على بيادر عشقه
دمه البلابلُ
والسنابلُ والنهارْ
أشجارُ تفاحٍ
ورايات من الزيتونِ
صوتُ حبيبة يأتي من الماضي
يحاولُ أن يعانق فجرَ منْ لا فجرَ
إلا في تورد قبلة في صدره المزدانِ
بالتهليل والتكبير والفجر المزين
بالعبادة

طوبى إليك!
يا أيها الغالي
ويا عطش الطفولة للطفولة
يا أناشيد الصباح على شفاه
الأقحوانْ
يا مَنْ ملأت حياتنا فرحاً وفاكهة
وأعلنَ أنَّ حصتَه من الدنيا
كفاحٌ حافلٌ بالكبرياء وبالكفاحْ
يا منْ صعدتَ إلى الفلاحْ!
يا مَنْ زرعتَ محبة الأوطان في دمنا
وغنّى.. ثم راحْ

الآنَ ندركُ أنَّ حبَّكَ صار مملكة
نسورُها بأيدينا
ونحرسُها بنارٍ من مآقينا
ونعلنُ أنَّ حبَّك صار فينا
يوقظُ الدنيا
ويقعدها على صخر الجراحْ
الآن ندركُ أن نشوة جرحك العاتي
صلاةٌ في تقاويم العبادة
طوبى لمن كانت نهايته الولادة
طوبى لمن كانت بدايته الشهادة

ملك المغرب الحسن الثاني

عن عمر يناهز السبعين عاماً وإثر نوبة قلبية مفاجئة فقدت الأمة العربية والإسلامية يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٧/٢٣م، واحداً من أبرز زعمائها المعاصرين ألا وهو الملك الحسن الثاني ملك المملكة الغربية.

ولد الحسن الثاني في التاسع من يوليو ١٩٢٩م في الرباط بعد ثلاث سنوات من تولي والده محمد الخامس الحكم في ظل الانتداب وبعد إتمام دراسته في الرباط حصل في العام ١٩٥١م على شهادة الدراسات العليا في القانون العام، وفي ٢٠ أغسطس ١٩٥٣م قامت سلطات الانتداب الفرنسي بنفي والده وجميع أفراد أسرته إلى جزيرة كورسيكا وبعدها إلى جزيرة مدغشقر في يناير ١٩٥٤م، وبدأ الأمير الحسن يؤدي في هذه الفترة دور مستشار سياسي لدى والده، وفي فبراير عام ١٩٥٦م شارك الحسن الثاني بعد عودته من المنفى في مفاوضات الاستقلال إلى جانب والده وفي الثالث من مارس اعتلى عرش المغرب بعد وفاة والده وفي السادس من نوفمبر ١٩٧٥م نظم الحسن الثاني المسيرة الخضراء التي أتاحت للمغرب استعادة الصحراء الغربية التي كانت خاضعة لسيطرة إسبانيا، وقد ترأس الملك الحسن الثاني لجنة القدس التي شكلت للدفاع عن المدينة والوقوف ضد محاولات تهويدها، وقد رزق الحسن الثاني بخمسة أولاد، وثلاث بنات.

هذا، وقد شيع جثمان الملك الحسن إلى مثواه الأخير بعد ظهر يوم الأحد ٢٥ يوليو بمشاركة نحو أربعين من زعماء العالم وقد مثل الكويت ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح والشيخ مبارك العبدالله الأحمد الصباح ووزير الإعلام الدكتور سعد بن طفلة العجمي ويسجل للملك الراحل رفضه الصريح للعدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت في ١٩٩٠/٨/٢م كما أرسل قوة عسكرية للمشاركة في قوات التحالف الدولي لدحر القوات العراقية وتحرير الكويت من براثن الغزاة.

كما أن للملك الحسن الثاني - رحمه الله - جهود لا ينساها أهل الكويت في قضية الأسرى، وقد قام فيها بدور بارز، وكان لوساطته في قضية الأسرة الكويتية التي دخلت الأراضي العراقية بغير قصد الأثر البالغ، حيث توسط لدى رئيس النظام العراقي لإعادة أفراد الأسرة إلى أهلهم وذويهم.

ومن جانب آخر نودي على أكبر أبناء الملك ولي العهد سيدي محمد ملكاً للبلاد، وأميراً للمؤمنين، كما عين شقيقه مولاي رشيد ولياً للعهد، وتواجه العاهل المغربي الجديد الملك محمد السادس مهمة صعبة لإنعاش اقتصاد البلاد الذي تكتنفه البطالة المتزايدة والأثر المدمر للجفاف الذي يجتاح البلاد، ومن المتوقع أيضاً أن يبدأ الملك الجديد في معالجة الفوارق الاجتماعية بين سكان المغرب البالغ عددهم حوالي ٣٠ مليون نسمة كما سيتخذ الإجراءات المناسبة لمعالجة الكثير من المسائل الاقتصادية والاجتماعية.

ومجلة الوعي الإسلامي التي آلمها المصاب الجلل لتدعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الملك الحسن الثاني بواسع رحمته وأن يلهم أسرته وشعبه الصبر والسلوان كما تضرع إلى الله العلي القدي أن يوفق الملك محمد السادس ويسدد خطاه لمافيه خير شعبه وأمته إنه سميع مجيب. ■

أول حوار مع شيخ المؤرخين الإسلاميين الدكتور أحمد شلبي :

أقسى الطعنات التي قام بها الغرب المسيحي ضد المسلمين هو زرع «إسرائيل» في قلب العالم العربي والإسلامي ! !

يمر العالم الإسلامي بمرحلة خطيرة للغاية... ربما هي أشد مراحله الحياتية على الإطلاق... فما بين الضربات الخارجية والانبهار الداخلي، واختلال أوضاعه السياسية والفكرية والعقدية... وليس من حقنا إزاء هذه الأزمات والكوارث أن نلقي اللوم على أعدائنا... ولكن اللوم على المسلمين أنفسهم جراء ميلهم وانحرافهم عن المنهاج السماوي القويم... (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) آل عمران:١٦٠.

ورغم كل هذه التداعيات إلا أن وسائل وسبل الإصلاح متاحة للمسلمين من أجل نهضتهم وحمل لواء الحضارة الإسلامية لهداية البشر أجمعين.

وفي هذا اللقاء مع شيخ المؤرخين الإسلاميين المفكر الكبير الدكتور أحمد شلبي، أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة القاهرة، نحاول استلهام رأيه حول القضايا الفكرية المطروحة على الساحة والتي تباينت حولها الآراء. كان الحوار مع فضيلته على النحو التالي:

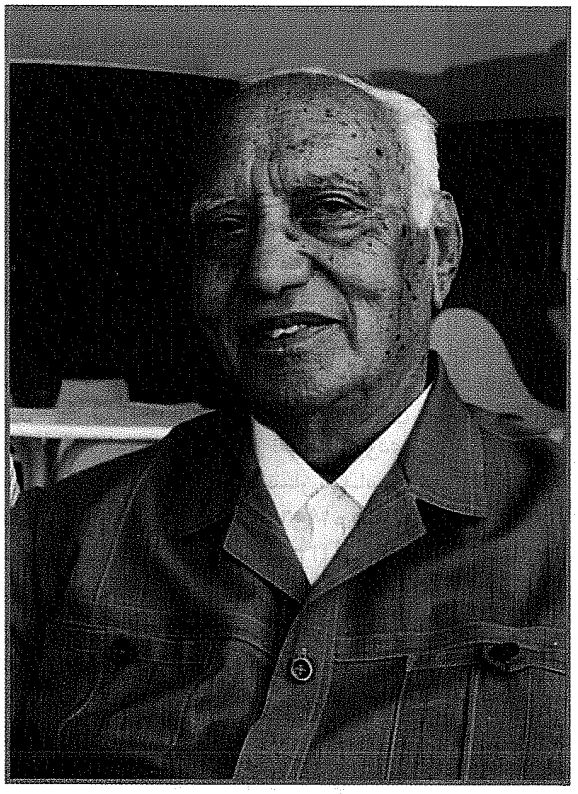

● الدكتور أحمد شلبي

ضعف الدعاة من أسباب التراجع الحضاري الذي تشهده الأمة الإسلامية!!

الحضارة الإسلامية مفخرة قدمها الإسلام للجنس البشري

● ترى ما الأسباب والعوامل التي أدت إلى ضعف شوكة المسلمين وتراجعهم عن دورهم الحضاري في العالم؟

- هناك عوامل داخلية... وعوامل خارجية وراء هذا التراجع الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية... ربما يأتي في مقدمها ضعف الدعاة المسلمين في القرون المتأخرة.

فمثلاً، في الوقت الذي اندفع الدعاة المسلمين ينشرون الإسلام بقوة لا تُغلب، وحققوا نجاحاً عظيماً دونه كل نجاح، وتقهقرت أديان وعقائد أمام نشاط المسلم ودعاته، ولم يكن في هذه البلاد دعاة للأديان والعقائد المتراجعة، أو كان هناك دعاة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يواجهوا دعاة العصر الإسلامي الأول.... ثم تغيرت الظروف للأسف، وجاءت عصور كل الدعاة المسلمين خلالها قليلي الثقافة والحماسة، أو قُلْ كانوا موظفين يتطلعون إلى الأهداف المالية كغيرهم من الموظفين.

وفي الوقت نفسه كان اتباع الديانات والعقائد المنهزمة يعدون من أسموهم «المبشرين» وقد قلدوا المسلمين الأول في اختيار أحسن الكفاءات وذوي الحماسة لهذا العمل، وقد رأينا بين هؤلاء المبشرين أساتذة جامعات وبعض كبار المفكرين الغربيين الذين يجيدون لغات عدة، والذين لهم اطلاع واسع على الفكر الإسلامي، ورأينا وهم يحاولون أن يلتقطوا ما رأوه من نقائص في الإسلام ليذيعوها بين الناس يستمعون إليهم.

وكان مع هؤلاء نفوذ ومال وكتب، وكل ذلك ساعدهم في عملهم.

وللأسف الشديد لا يوجه المسلمون عناية تذكر لاختيار الدعاة حتى الآن، بل هناك جهود واسعة تبذل للبحث عن الأصوات الجديدة للغناء والوجوه الجديدة للتمثيل، ولكن ليست هناك جهود ذات بال للبحث عن دعاة ينشرون دين الله.

وندعو الله أن يهيئ من زعماء المسلمين من يعالج هذه المشكلة لنرى من جديد دعاة المسلمين لهم قدرة، وفيهم جاذبية، واستعداد جيد للأداء.

الحضارة الإسلامية بين الازدهار والانكماش

وعن سنن الله في الكون ومراحل الحضارة يقول د. أحمد شلبي:

إن الحضارة الإسلامية ازدهرت في عصر الإسلام الأول، حيث أورد القرآن الكريم أسس الشورى وأسس الاقتصاد، وشرح الرسول ﷺ هذه الأسس الحضارية ونفذها، وكان في تنفيذها قدوة حسنة لا نكتفي بالواجب بل تزيده عن سماحة وعطاء.

وفي العصور الإسلامية الأولى كذلك سارت التربية والتعليم على النهج الإسلامي، وتكونت الأسر والمجتمعات وفق الفكر الإسلامي، وسار القضاء على النحو الذي رسمه الإسلام... وعلى العموم كانت الحضارة الإسلامية ليست فقط دراسات ونظماً ولكنها كانت أسلوب حياة.

ثم جاءت عهود اختفت فيها الشورى وانتشرت الدكتاتوريات، واختفت العدالة الاجتماعية، وبرز مكانها الظلم الاجتماعي، وكثر الأغنياء الذين يبذلون كل جهد في جمع المال بوسيلة أو بأخرى، وبجوارهم الفقراء التعساء أما ولاة الأمور فقد برزت الأنانية في بعضهم، ولم يعودوا قدوة حسنة لجماهير المسلمين، فاختفاء الحضارة الإسلامية كان من أسباب ضعف العالم الإسلامي، فالركيزة المهمة التي قام عليها المجتمع الإسلامي كانت في سمو حضارته التي انفرد بها بين المجتمعات،

جاءت عهود اختفت فيها الشورى والعدالة الاجتماعية وانتشرت الدكتاتورية

الاستعمار الأجنبي جعل اسرائيل والصهاينة وحدهما في كفة والعالم كله في كفة أخرى

والتي كانت مفخرة قدمها الإسلام للجنس البشري، فإذا اختفت هذه الحضارة من المجتمع الإسلامي، فإنه يفقد أغلى ما يعتز به، ولا شك أن العصور المتأخرة شهدت ضعف الحضارة الإسلامية أحياناً واختفاءها أحياناً أخرى وهذا أو ذاك كان من أسباب ضعف المجتمع الإسلامي.

الإسلام والغرب

● ما رأي الدكتور شلبي في الادعاء أن الغرب كان بمثابة شروق ونهضة ويقظة للعالم الإسلامي والمشرق بصفة خاصة... وليس كما نعتقد بكراهية الغرب لنا؟!

- لم يقل بهذا الرأي سوى العلمانيين والمستشرقين وتلامذة المبشرين وأذناب الاستعمار من الحاقدين على الإسلام... ورحم الله الشيخ محمد الغزالي الذي تصدى بجرأة حكيمة لهذه الافتراءات وأصدر كتابين شهيرين هما: «ظلام من الغرب» «صيحة تحذير من دعاة التنصير».

ولا أحد ينكر أن عناية الصليبيين الأولى كانت متجهة إلى القضاء على الإسلام وسحق المسلمين. كما أن البلاد الإسلامية التي وقعت تحت سلطان المسيحيين الأوروبيين قد عانت ضروباً من الهوان، مزق هؤلاء شملها وأنزلوا بها الذل والاستعباد، ونشروا الجهل والخرافات، وسلبوا مواردها، وتركوا الشعوب فقيرة جائعة، ولقي الأحرار والمفكرون أسوأ المصائر في هذا الظلام القائم، لقوا الحتف والسجن والنفي والتشرد، وأنفقت ثروات البلاد على المبشرين الذين يحاربون الإسلام ويحسنون للناس اعتناق المسيحية.

فلسطين الجريحة

ويستطرد الدكتور شلبي بقوله: إن فلسطين لاقت أسوأ المصائر، فقد أصدر الإنكليز وعد بلفور وشجعوا هجرة اليهود، ولم يخرجوا منها إلا بعد أن أسلموها لليهود لقمة سائغة، وكلنا نعرف ظروف المؤامرة التي حاكها الإنكليز باسم اليهود للقضاء على عروبة فلسطين، وسلب هذه البقعة من العالم العربي، لتكون مركزاً استعمارياً في الحزم الاستعماري الذي يفرضه الغرب على الكرة

الأرضية.

وإذا أخذنا مثلاً ما خلفه الاستعمار الغربي في عالمنا الإسلامي، نرى المستعمر لا يريد أن يعلّم أبناء البلاد الخاضعة له، وإذا اضطر إلى أن يعلّمهم علمهم ما يضرهم أكثر مما ينفعهم، من أجل ذلك لا تستغرب إذا علمنا أن الإنكليز لما غادروا الهند كان عدد الأميين ٨٨ في المئة من مجموع أربعمئة مليون نسمه، اما غير الأميين وهم ١٢ في المئة من السكان فكان منهم ٢ في المئة تعلموا شيئاً من اللغة الإنكليزية، وأما العشرة في المئة الباقية فلم تكن ثقافتهم تتعدى قراءة شيء في لغاتهم الحية، أما بالنسبة لتعليم البنات فلم يتجاوز اثنتين في الألف وحتى هؤلاء كان نصيبهن من التعليم ضئيلاً.

إسرائيل تخدم الغرب

● **ذكرتم دكتور أن الغرب وراء الوجود الإسرائيلي في المنطقة مع أن التاريخ يحكي أنه ليس هناك علاقة حضارية ولا فكرية، أو التقاء عقدي بين الكيان الصهيوني والغرب الصليبي؟**

- أقول: إن أقسى الطعنات التي قام بها الغرب المسيحي ضد المسلمين هي زرع إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي فقد عاش الغرب مدة طويلة وأخرى قصيرة محتلاً لبعض المناطق في الشرق، ولم يكن الشرق مكاناً هادئاً للغرب، إذ يجد الأوروبيون راحة في المناطق الإسلامية على الإطلاق، ومن أجل هذا وبسبب المقاومة المستمرة، وبسبب الضغط العالمي كان الغرب يعلن دائماً أنه سيجلو عن البلاد، وجلا فعلاً بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد أن ظهر في أفق السياسة العالمية الدولتان العظميان الولايات المتحدة والاتحاد والسوفييتي.

ولما كان الغرب يوقن أن يوم جلائه سيجيء، فقد فكر في بديل للاستعمار، على أن يكون البديل مقيماً في المنطقة إقامة دائمة، واهتدى تفكير الغرب إلى خلق إسرائيل بهذه المنطقة متخذاً من أكاذيب التاريخ وسيلة لتفكيره.

وكان هناك نقطة التقى فيها الشرق والغرب وتعاونا تعاوناً عميقاً ليكيدا للإسلام والمسلمين، تلك هي زرع إسرائيل في منطقة

لا أحد ينكر أن عناية الصليبيين الأولى كانت متجهة إلى القضاء على الإسلام وسحق المسلمين

الشرق الأوسط، واختيار مكان خطير لها لترتبط حدودها مع مصر وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية، واهتمام الشرق والغرب بسلامة إسرائيل يبلغ أقصى المدى، وتتجه الولايات المتحدة في ذلك إلى درجة المبالغة، كأن العالم كله في كفة ، وإسرائيل وحدها في كفة، كما أن رجحان كفة إسرائيل في الاقتصاد والمعدات الحربية والتعاون الثقافي والعسكري يعد سياسة عامة للولايات المتحدة حتى ولو كان ذلك سيعود بالضرر على مصالح الولايات المتحدة نفسها.

ومن الواضح أن إسرائيل تلعب دورها في خدمة الغرب وبكل إخلاص فهي مصدر قلق وإرهاق للمال والشعور والإنسان، وبسببها تتجه الجهود في المنطقة للاستعدادات الحربية ربما أكثر من الاتجاه لترقية الإنسان، ولكن الحق أن اليهود أيضاً ضحية وإن لم يدركوا الآن هذه الحقيقة، ولا شك أن إسرائيل ليست أقوى من الصليبيين، وسيجيء يوم تختفي فهي إسرائيل من هذه المنطقة كما اختفت إمارات الصليبيين.

الإسلام الفاتح

● **دكتور شلبي... أرجو أن توضح لنا كيف استطاع الإسلام أن ينتشر وأن ينتصر**

عوامل داخلية وخارجية وراء التراجع الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية

عبر تاريخه الطويل رغم كل العقبات التي واجهته؟

- الجواب سهل ويسير هو أن الإسلام فاجأ العالم بمبادئ سامية رأى فيها الناس إنقاذاً للبشرية المعذبة، ففي الوقت الذي كان فيه الحكام سادة أو آلهة، وكانت الشعوب عبيداً، ليس فقط بسبب قسوة الحاكم وجبروته، بل بدافع داخلي من نفوس هذه الشعوب جعلهم يقنعون بالعبودية ويرون في الحاكم إلهاً لهم، ودماً غير دمائهم، ويتكون من طينة غير طينتهم في هذا الوقت، طلع محمد وأصحابه من بعده على الناس بمبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم.

وفي الوقت الذي كان الحكام يتمتعون بالثراء العريض يجمعونه من عرف الشعوب البائسة، رأى الناس محمداً وأصحابه من بعده فقراء، يرقعون ثيابهم ويخصفون نعالهم.

وفي الوقت الذي كانت أقوال الحكام وأفعالهم هي القانون وهي العدالة، إذ بالإسلام يأتي بقانونه السماوي فيخضع له العظيم والحقير.

تلك بعض المبادئ أو بعض المفاجآت التي أدهشت العالم وجذبت الناس لهذا لدين الإنساني العظيم.

وعندما جذب الإسلام الناس إليه لم يدعهم في حيرة من أمور دينهم ودنياهم، بل أمدهم بنظم الحكم وأرقى نظم الاقتصاد ووضع أسمى الأسس لحياة اجتماعية صالحة.

وإذا استعرضنا أحوال المسلمين منذ عهد الإسلام الباكر حتى اليوم مروراً بالغزوات، فالحروب في فارس والروم، فهجمات الصليبيين والمغول، فحملات المبشرين، قادتنا كلها إلى نتيجة واحدة، هي أن المسلمين كانوا يضعفون ويقوون، ولكن الإسلام كان قوياً في جميع الأحوال، فهم ينهزمون وينتصرون ولكن الإسلام كان ينتصر دائماً... وأساس انتصاره هو أسسه ومبادئه، فلا نزاع إن الهزائم التي ألحقها المسلمون بأعدائهم أكثر جداً مما أحرزوه من انتصارات، لقد كثرت أخطاؤهم فتوالت هزائمهم.

أما الإسلام فلا خطأ منه ولا خطأ فيه، ولهذا لا ينال منه... (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال:٣٠. ■

بقلم : حسن البراق

أهمية التمثيل الصحيح لدور مقاصد الشريعة في حياتنا

2/2

إن مفهوم مقاصد الشريعة قد يصبح مجرد فكرة للتداول النظري إذا لم يتم تحديد علاقة مقاصد المكلف بمقاصد الشارع، والتي يجب أن تكون علاقة موافقة، إذ قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقاً لقصده في التشريع(١)، ومعنى هذا أن على المكلف الإذعان لأحكام الشريعة بحكم عبوديته لله، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق مصالح المكلفين، لأن هذه المصالح تعود إلى المكلفين بحسب أمر الشارع وعلى الحد الذي حدّه لهم، لا على ما يختارونه ويحددونه لبلوغ هذه المقاصد، فقد ثبت أن مقاصد الشرع إدخال المكلف تحت أحكام الشريعة وإخراجه عن داعية هواه.(٢)

وهناك وجه ثانٍ للمسألة هو أن كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم يشرع له فعمله باطل(٣)، لذلك كانت القاعدة الفقهية «الأمور بمقاصدها» من أمات القواعد عند كل المذاهب الفقهية، ومعناها: أن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما المقصود من ذلك الأمر(٤)، ويترتب على هذا أنه لا عبرة بالألفاظ وإنما الاعتبار بالنيات والمقاصد والمعاني، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»(٥).

إذاً فإن إرادة المعنى آكد من إرادة اللفظ، فإنه - أي المعنى - المقصود واللفظ وسيلة(٦)، ويترتب على هذه القاعدة في مجال «العقود والالتزامات» أن العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني.(٧)

ومن الأمثلة الفقهية في هذا الباب ما يعرف ببيع المعاطاة ويدخل فيه كثير من البيوع الصغيرة والمعتادة عند الناس، بحيث يكتفي كل من المتابيعين بالمعاطاة أي هذا يعطي الثمن والآخر يعطي السلعة، من دون إيجاب وقبول، وربما من دون كلام أصلاً أو بكلام لا يستوفي شروط التعاقد الصحيح، أو بكلام أحدهما دون الآخر، فهذا النوع من البيوع وقد كثر اليوم، واتسعت دائرته اتساعاً كبيراً جداً وفي تصحيحه وإبطاله ثلاثة مذاهب(٨)، أصحها وأيسرها على الناس هو رأي المالكية الذي يقضي بالتصحيح المطلق، إذ ينعقد العقد بالفعل أو بالتعاطي متى كان واضح الدلالة على الرضا... فكل ما يدل على البيع أو الإجارة والشركة أو الوكالة وسائر العقود الأخرى - ما عدا الزواج - ينعقد العقد به، لأن المعول عليه وجود ما يدل على إرادة المتعاقدين من إنشاء العقد وإبرامه والرضا به(٩)، وهكذا فإن الأحكام لا تتعلق بالألفاظ إلا أن ترد على موضوعاتها الأصلية في مقاصدها المطلوبة، فإن ظهر في غير مقصدها لم تعلق عليه مقصدها.(١٠)

ويعقد الإمام العز بن عبدالسلام فصلاً في كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، سماه «فصل فيمن أطلق لفظاً لا يعرف معناه لم يؤاخذ بمقتضاه»، ويذهب فيه إلى أن الأعجمي إذا نطق بكلمة كفر أو إيمان أو طلاق أو إعتاق أو بيع أو شراء أو صلح أو إبراء لم يؤخذ بشيء من ذلك لأنه لم يلتزم مقتضاه، ولم يقصد إليه»(١١).

وإذا كانت الشريعة كما يقول الإمام ابن قيم الجوزية «مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور عن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل(١٢)، فإن معرفة المقاصد والعلل للأحكام الشرعية ضرورة لا بد منها لمن يريد أن يدرس الشريعة ويتعرف على حقيقة مواقفها وأسرارها(١٣)، إنه ليس كل مكلف بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة لأن ذلك نوع دقيق من أنواع العلم، فحق العامي أن يتلقى الشريعة من دون مقصد لأنه لا يحسن ضبطه ولا تنزيله، ثم يتوسع للناس في تعريفهم المقاصد بمقدار ازدياد حظهم من العلوم الشرعية لئلا يضعوا ما يلقنون من المقاصد في غير مواضعه فيعود بعكس المراد، وحق العالم فهم المقاصد وتنزيل الأحكام الشرعية وفق ذلك(١٤)، بل إن فهم مقاصد الشريعة على كمالها من جهة وتمكن المجتهد من الاستنباط بناء على فهمه فيها من جهة ثانية شرطان لابد من توافرهما في المجتهد كما ذهب إلى ذلك الإمام الفذ أبو إسحاق الشاطبي.(١٥) وهو بذلك يتجاوز تلك اللائحة الطويلة لشروط المجتهد وما ينبغي أن يحصله من العلوم والمعارف، وهو محق في الاعتداد بهذا الأمر واعتبار الجزئيات بالكليات من غير إهمال الجزئيات أيضاً، وقد منح - رحمه الله - هذا الموضوع اهتماماً بالغاً في كتابه الفريد «الموافقات»، حيث شُغل الأصوليون قبله بالمباحث اللفظية، ولم يعطوا هذا الأمر ما يستحق، كما شُغل علماء الفقه بالأحكام الجزئية، وغفلوا عن المقاصد وترتب على ذلك ظهور فن «الحيل الفقهية» التي يُضاد معظمها مقاصد الشريعة، وهذا ما عُنى بإبطاله العلاّمة ابن القيم، وقبله شيخه الإمام ابن تيمية.(١٦)

بل جعل الإمام القرافي معرفة المقاصد

شرطاً حتى في حق الفقيه المقلّد لأنه إذا وقعت له واقعة ليس منها شيء في حفظه لا يخرجها على محفوظاته ولا يقول هذه تشبه المسألة الفلانية، لأن ذلك إنما يصح ممن أحاط بمدارك إمامه وأدلته وأقيسته وعلله التي اعتمد عليها مفصلة، ومعرفة رتب تلك العلل ونسبتها إلى المصالح الشرعية، وهل هي من باب المصالح الضرورية، أو الحاجية أو التحسينية، وسبب ذلك أن الناظر في مذهبه والمخرِّج على أصول إمامه: نسبته إلى مذهبه وإمامه كنسبة إمامه إلى صاحب الشرع في اتباع نصوصه والتخريج على مقاصده.(١٧) وبناء على ما سبق فإننا يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

١ ـ أولاً: إن خلود الشريعة وقابليتها لمسايرة العصر وتقديم الإجازة الشرعية لما يستجد في واقع الناس من أحوال وأحداث ..... وبشكل حاسم بمراعاة المقاصد الشرعية التي بُنيت عليها الشريعة، ودون ذلك الجمود وتوقف الشريعة عن العطاء المستمر والمتجدد، لذلك، فإن الحديث عن مقاصد الشريعة هو حديث عن المرونة والاتساع، كما أن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية يجب أن يعني أولاً وقبل كل شيء مراعاة مقاصد الشرع الكلية في التشريع وسن القوانين.

٢ ـ ثانياً: الأخذ بظواهر النصوص والاستمساك بحرفيتها دون الغوص في مقاصدها العميقة، قد يوقع ـ في كثير من الأحيان ـ في أخطاء فظيعة، ويمكن أن نمثل لذلك بالإمام المجتهد الفذ «ابن حزم»، الذي أوقعته ظاهريته في أخطاء كبيرة رغم عبقريته وإمامته في الفقه، فالظاهرية كابن حزم وغيره يأخذون بظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فإن لم يكن فالإجماع، وهم لا يرتضون إلا إجماع الصحابة باعتباره مستنداً إلى دليل عن الرسول ﷺ، دون الالتفات إلى تأويل أو تعليل ، بل إن القياس مرفوض رفضاً باتاً، فالنصوص كلها في حكم النص المفسر الذي لا يحتاج إلى تأويل أو تعليل(١٨)، وهذه الظاهرية المفرطة انتهت بابن حزم وغيره إلى أفهام عجيبة وآراء غريبة ينكرها الشرع ويمجها العقل، ومثال ذلك ما قاله ابن حزم في حديث رسول الله ﷺ : «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات»(١٩).

«فإن ولغ في الإناء كلب... فالغرض إهراق ما في الإناء كائناً ما كان، ثم يغسل سبع مرات ولابد أولاهن بالتراب مع الماء، وذلك الماء الذي يطهر به الإناء طاهر حلال! فإن أكل الكلب في الإناء، ولم يلغ فيه أو أدخل رجله أو ذنبه أو وقع بكله فيه لم يلزم غسل الإناء، ولا إهراق ما فيه ألبتة وهو حلال طاهر كله، كما كان! وكذلك: لو ولغ الكلب في بقعة في الأرض، أو في يد إنسان أو في ما لا يُسمى إناء...»(٢٠).

أليس عجيباً أن يغمض الإمام الظاهري أبو محمد عينيه عن معاني الشريعة التي تلزمني مع الطباع السليمة، ولا تتعدى حدود المعقول فيفرق بين أكل الكلب في الإناء، وبين شربه! بل يفرق بين الشرب وبين وقوع الكلب فيه أو بعضه في الإناء. والكلب قذر في كل حال(٢١)!؟

ومثال حرفية ابن حزم وما وقع فيه من مزالق أيضاً ما قاله ـ رحمه الله ـ في حديث النبي ﷺ : «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي يجري ثم يغتسل منه»(٢٢)، فقد استدل «أبو محمد» بالحديث على أن البول مخصوص بالبول في ماء مباشرة، فإذا بال خارج الماء ثم جرى البول إلى الماء أو بال في إناء وصبّه في الماء لم يضر عنده، وقد أنكر جمهور العلماء على الظاهرية هذا الحكم ـ وغيره ـ واعتبروه من الشذوذ والجمود الذي يُعْلم بطلانه.

إن هناك ضرورة ملحّة لتأصيل النظرة الكلية في مجال مقاصد الشريعة الإسلامية، كما أن الحاجة ماسّة إلى التفات الباحثين والدارسين للنظر الواعي والجاد في القضايا العالقة في هذا المجال، ولعل من أبرزها: توسيع الاستقراء لأحكام الشريعة والاستنباط لعللها حتى تصبح موضع اتفاق يرجع إليه الفقهاء والمجتهدون، وكذا إعادة النظر في حصر الضرورات في الخمس المعروفة لأن هذه الضرورات أصبحت لها ـ بحق ـ هيبة وسلطان فلا ينبغي أن نحرم من هذه المنزلة بعض المصالح الضرورية التي أعلى الدين شأنها والتي قد لا تقل أهمية وشمولية عن بعض الضرورات الخمس مع العلم أن هذا الحصر اجتهادي وأن الزيادة على الخمس أمر وارد منذ القديم، كما فعل الإمام القرافي إذ أضاف «العرض» إلى الضرورات الخمس.(٢٣)

ولعل هذا التوسع في مباحث المقاصد الشرعية هو السبيل الأمثل الذي سيفضي إلى تحقيق ما دعا إليه الشيخ «محمد الطاهر بن عاشور» من استخلاص مقاصد الدين وضروراته وتسميتها باسم «علم مقاصد الشريعة» وحتى لا تبقى المقاصد الشرعية مبحثاً من مباحث علم أصول الفقه»(٢٤)، ولعل هذه الدعوة أصبحت يوماً بعد يوم في وقت اختل فيه ميزان الأوليات اختلالاً فظيعاً ما يجعل الكثير من مظاهر الوجود الإسلامي في الداخل والخارج تبدو مشوهة وقبيحة.

وإذا كان علماؤنا الأفاضل القدامى قد تحدثوا عن ما أسموه بـ«جهاد الوقت»، فإنه لا حرج أن نتحدث نحن اليوم عما يمكن تسميته بـ«علم الوقت»، إنه في الوقت الحاضر «علم مقاصد الشريعة». ■

الهوامش :

١ ـ الموافقات، للإمام الشاطبي ٣٢٧/٢.

٢ ـ المرجع نفسه ٢٤/٢.

٣ ـ المرجع نفسه ٢٣١/٢.

٤ ـ شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ـ الصفحة ٥.

٥ ـ أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب في ترك الحيل.

٦ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ٥١/٣.

٧ ـ مجلة الأحكام العدلية، عن نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني ص ٩٧.

٨ ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص ٩٨.

٩ ـ الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١٠٠/٤.

١٠ ـ أحكام القرآن للقرطبي ١٥٠٠/٣٠.

١١ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ٢٧٦/٢.

١٢ ـ أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣/٣.

١٣ ـ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.. للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٤٠.

١٤ ـ انظر الظاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ١٨.

١٥ ـ انظر: الموافقات ١٠١/١٤ ـ ١٠٢.

١٦ ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية... للدكتور يوسف القرضاوي ص٤.

١٧ ـ الفروق للإمام القرافي، الفرق ٧٨، الصفحة ١٠٧.

١٨ ـ انظر تقسيم النصوص في الفقه الإسلامي للدكتور محمد أديب صالح، المجلد الأول ص ٤٣٨.

١٩ ـ أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب.

٢٠ ـ المحلي البن حزم الأندلسي، المجلد الأول، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

٢١ ـ انظر: تفسير النصوص لأديب صالح ٤٥٠/١.

٢٢ ـ انظر شرح تنقيح الفصول، للإمام القرافي، الصفحة ٣٩/١.

بقلم : عبد الصمد التبرودي

نحن أمة الذكر

من خير ما أسعد الله به هذه الأمة أن هداها للذكر الذي تفر به من الشقاء إلى السعادة

الزحام على موارد الثروة والقدرة والسلطان والجاه الاجتماعي وما يعقب ذلك من علل نفسية وصحية، هو زحام يكاد يستأثر بكل ساعة من ساعات النهار وبعض ساعات الليل أيضاً، حتى ليندر أن يجد المرء وقتاً يستطيع فيه أن يخلد إلى نفسه أو يخلد إلى سكينة مستطلعاً أمور الحياة الأصيلة ومستشفا معانيها الباقية متأملاً في الغايات التي يتراكض الناس إليها، وهل هي خليقة بأن تنيلهم السعادة في الدنيا والثواب في الآخرة؟

لقد استحكم هذا الزخم المادي من الناس حتى صار من العسير عليهم أن يستقروا على راحة وطمأنينة واستقرار نفسي، فما الخلاص إذاً وماذا يخفف من غلواء هذا الهيجان الطامي؟

إن الإيمان الصادق يهدينا إلى أن الذكر والتفكّر يعيدان إلى الإنسان الطمأنينة والراحة، ذلك أنهما احتياط روحي عجيب، وأنهما الذخيرة والمعين الذي لا يغيض.

ولعل من أوجب ما ينبغي أن نسرع إليه هو أن نجنب هذا المعين النضوب، حتى يبقى زاخراً، ذلك أن الذكر يسهم في صفاء البصيرة وقوة الروح، ويفيض السكينة على القلوب ويمنحها الثقة في الحق والخير والصلاح، بل إنه يسكب في الضمير قوة واستعلاء يرتفع بهما على الواقع الصغير.

وهذا صحيح تماماً لأن الذكر اتصال روحي يتيح أمام النفس ما لا يتيحه غيره، ذلك أن البشرية لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله عز وجل، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه.

أليس هذا هو ما يعنيه قوله سبحانه في الآية ٨٢ سورة الإسراء: (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين).

كلمتا الأمة والذكر في مباحث اللغة العربية

لعله من المفيد ـ قبل أن نلج بعض المعاني والأفكار في الموضوع ـ أن نقف عند هذا العنوان: نحن أمة الذكر.

الكلمتان الرئيستان في الموضوع هما: الأمة والذكر، فماذا تعني كل منهما في إطار مباحث اللغة العربية؟

الأمة: أصله أمم: أمه يؤمه أما: قصده وتوجه إليه ويممته: قصدته.

وقوله تعالى في الآية ٤٣ من سورة النساء: (فتيمموا صعيدا طيبا) معناه اقصدوا لصعيد طيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم أسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب، والإمة بالكسر الحالة، وأيضاً الشرعة والدين ويُضم فيقال أمه، وفي القرآن الكريم (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) الزخرف ٢٢.

والإمة بالكسر أيضاً النعمة. ومنه قول الأعشى:

ولقد جررت إلى الغنى ذا فاقة

وأصاب غزوك إمة فأزالها

قالوا في قوله تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) البقرة: ٢١٣. أي كانوا على دين واحد.

ويقال فلان لا أمة له أي لا دين له.

والأمة الرجل الجامع للخير، وبه فسر قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين) النحل: ١٢٠.

وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران: ١١٠، أي خير أهل دين.

والإمة أيضاً العيش الرخي، والأمة أيضاً الجيل من كل حي، ومنه قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء) الأنعام: ٣٨، أي أن لكل جنس ولكل نوع خصائص كما لأمم البشر خصائصها.

والأمة أيضاً الحين والمدة ومنه قوله تعالى: (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمّة) يوسف: ٤٥.

ومنه قوله تعالى أيضاً: (ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى

أمّةٍ معدودة ليقولنّ ما يحبسه) هود: ٨.

ويقال للأم الأمة: تجمع على أمات وأمهات، والصواب أن يقال أمهات للعاقل، وأمات لغير العاقل، والهاء في أمهات مزيدة.

أما الذكر بالكسر أي الحفظ للشيء، والذكر الشيء يجري على اللسان وقوله تعالى في سورة البقرة الآية٦٣: (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه وقد قيل: الذكر ذكران: بالقلب وباللسان، والذكر نقيضه النسيان لقوله تعالى: (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) الكهف ٦٣. والنسيان محله القلب، وكذا الذكر لأن الضدين يجب اتحاد محلهما. ومن المجاز في هذا الموضوع أن الذكر هو الصيت والثناء.

نقول رجل مذكور أي يثنى عليه بخير، ومن المجاز أيضاً أن الذكر هو الشرف وبه فسر قوله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف: ٤٤ أي أن القرآن شرف لك ولقومك، ومنه قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك) الشرح: ٤.

والذكر الصلاة لله تعالى والدعاء إليه والثناء عليه، وقال أبو العباس: الذكر الطاعة والشكر والدعاء والتسبيح وقراءة القرآن وتمجيد الله تعالى وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده. والذكرى اسم للتذكير ومنه قوله تعالى: (وذكرى للمؤمنين) الأعراف: ٢ أي عبرة لهم وقال علماء اللغة: الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذكر بالقلب، يقال مازال مني على ذكر أي لم أنسه. والذكر خلاف الأنثى جمع ذكور وذكوره وذكران، وذكر حقه أي حفظه ولم يضيعه ومنه قوله تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم) البقرة ٢٣١ أي احفظوها ولا تضيعوا شكرها. ونقول اذكرت المرأة أي ولدت ذكراً، ونقول في الدعاء للحبلى: اذكرت وأيسرت أي ولدت ذكراً ويسر لها.

أما ادكر بالدال المهملة ففيه عملية صرفية دقيقة، أصله اذتكر افتعل فقلبت تاء الافتعال دالاً لثقلها ولتقارب مخرجيهما، ثم قلبت الذال دالاً ليتأتي ادغامها في الدال لأن الدال أخف من الذال وهذا أفصح إلا بدال في ادكر وهو قراءة النبي في قوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) القمر ١٧.

القرآن أرفع أنواع الذكر

إن من خير ما أسعد الله به هذه الأمة أن هداها للذكر الذي تفر به من الشقاء إلى السعادة، ومن الفتنة إلى الهناء. فالذكر يكسب النفس الراحة والإطمئنان، ومن أرفع أنواع الذكر قراءة القرآن الكريم، إن قراءته لتحيي القلوب وتشفي الصدور من الخرافة التي تملؤها ومن الشك الذي يسيطر عليها ومن الزيغ الذي يمرضها والقلق الذي يحيرها.

نعم إن قراءة القرآن لتفيض على الإنسان البرء والعافية واليقين والطمأنينة. ولا شك أن هذا هو الذي ينبه إليه هذا الهتاف السماوي الذي يهيب بالناس إلى تلقي هذه الرحمة.

(يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) يونس: ٥٧.

ولعل أعرف خلق الله بعظمة القرآن وما يفيضه ذكره تعالى على تاليه وقارئه هو سيدنا رسول الله ﷺ. ولذلك جاءت كثير من أحاديثه تثير اهتمام المسلمين بهذا الذكر الجليل. فمما أخرجه الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود أن الرسول ﷺ قال: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

حينما نحاول أن ندنو من مرامي هذا الحديث - باعتباره دعوة صادقة للذكر والتلاوة - تنهال علينا جملة رائعة من النصوص التي تواكب هذا المعنى وتشرحه وتضيء جوانبه. وكل ذلك نستشف من خلاله أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى هذه الأمة ما يُطب نفوسها ويريح قلوبها ويزيل الهمّ عنها إذا ألم بها همٌّ، ويربط بين قلوب أبنائها إذا طاف بها ما يفرقها أو يوهنها، فلنستمع في هذا السياق إلى هذا الحديث: نقرأ عند الإمام مسلم عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».

إن رسول الله ﷺ يشير في هذا الحديث إلى ما لذكر الله تعالى من أهمية عظمى في بث الطمأنينة في النفس. وأن يجعل الله ذكره لهؤلاء الذاكرين مكافئا لذكرهم. انه الفضل الأكبر. والفوز الأعظم.

ومن ثم فإن المداومة على ذكر الله في كل وقت واستغفاره والدعاء إليه، كل ذلك يقرّب الإنسان من ربه ويشعره أنه في حمايته ورعايته ويقوي فيه الأمل في المغفرة ويبعث في النفوس الشعور بالرضا وراحة البال وينزل عليه السكينة والطمأنينة مصداقاً لقوله جل شأنه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد ٢٨.

فتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن «بذكر الله» أي بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسبب اطمئنان قلوب المؤمنين بذلك علمهم، أن لا آية أعظم من الذكر، ولذلك لا يقترحون الآيات التي يقترحها غيرهم كما في قوله من الآية السابقة: (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه. قل إن الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب. الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله...) الرعد:٢٧-٢٨.

والعدول في هذه الآية إلى صيغة المضارع - وتطمئن - لإفادة دوام الإطمئنان وتجدده حسب تجدد ظروف وأحوال الذكر.

إذا ذهبنا نبحث عن النصوص الإسلامية التي ورد

العلاج بالقرآن زاد تغتني به نفوس المؤمنين وتطمئن وتلجأ إليه عند الملمات

فيها فضل الذكر وشفافيته تكشّف لنا ذلك عن فيض غامر في دنيا الروح والفكر.

فلنستمع إلى هذا الحديث القدسي، يقول عليه الصلاة والسلام فيما يبلغ عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه، وإن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». أخرجه الشيخان والترمذي.

القرآن علاج لجميع حالات القلق

وحتى نرتفع قليلاً للولوج في هذا الموضوع إلى الأجواء العامة التي تشعرنا بضرورة توظيف الذكر وقراءة القرآن الكريم في إسعاد الإنسان والسمو بعقله وقلبه، وحتى نرتفع في ذلك، لابد أن نؤكد أن القرآن الكريم علاج لجميع حالات القلق النفسي والاضطرابات العقلية، وينبغي أن تُفهم هذه المسألة هكذا، وينبغي أن يكرع الأطباء ومعالجو الأمراض النفسية من حياضها، وينبغي أن نعلم أن الرسول ﷺ قد عالج الجنون بالقرآن الكريم.

فمما أخرجه الحاكم النيسابوري عن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله إن لي أخا به وجع، قال: وما وجعه؟ قال: به لمم، «أي جنون»، قال: فأتني به، فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤.

وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران: ١٨.

وآية من سورة الأعراف: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الآية: ٥٤.

وآخر سورة المؤمنون: (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم. ومن يَدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه. إنه لا يفلح الكافرون. وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨.

والآية ٣ من سورة الجن: (وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا).

الذكر المأثور يحارب الفقر الروحي ويرفعنا فوق صغائر الأمور ويجعلنا نستفيق على حياة جديدة وكنز عظيم

وعشر آيات من أول الصافات: (والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكرا. إن إلهكم لواحد. إلى قوله تعالى: (الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب...) وثلاث آيات من آخر سورة الحشر: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) إلى آخر السورة و(قل هو الله أحد) والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشك شيئا قط. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في الزوائد بسند حسن.

الذكر والتفكر يوقظان شعلة العقل المبدع

حينما اخترت أن أتحدث في هذا الموضوع الجليل، رأيت أن أنتهي إلى قضية أساسية، وهي أن الذكر لا يعمل ـ فقط ـ على تنقية الروح وتصفيتها، وإنما يوقظ ـ كذلك ـ تلك الشعلة المتوهجة في الإنسان شعلة العقل المبدع الذي يكشف ويستنبط ويعمق البحث فيبعث فيه ذلك شعوراً بنشوة هي أقرب ما تكون إلى النشوة الروحية.

ونحب أن ننطلق في هذه النقطة من مقطع قرآني كريم مليء بهذه الاشارات، يقول الله تعالى في الآيتين ١٩٠ـ١٩١ من سورة آل عمران: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، فقنا عذاب النار).

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، قام يصلي فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً، ولقد أنزل الله عليّ الليلة آية: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب.... ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

إن من أبرز ما يلفتنا إليه هذا المقطع القرآني الكريم هو الاعتبار بخلق السماوات والأرض، إنه موعظة، وهو ايذان باختتام السورة وشأن القرآن أن يختم بالموعظة لأنها أهم أغراض السورة.

وينبه بعض المفسرين إلى أن المراد بالذكر هو التفكّر بمعنى أن التفكر عبادة. والموضوع في هذه الآيات فيه انتقال من معنى إلى معنى متفرع عنه. ومن ثم فقد أنتج الذكر التفكر وأنتج التفكر للمتفكرين أن المخلوقات لم تُخلق باطلا ثم تفرع عنه تنزيه الله تعالى ونتج عن سؤاله أن يقيهم عذاب النار لأنهم رأوا في المخلوقات طائعا وعاصيا فعلموا أن وراء هذا العالم ثواباً وعقاباً، فاستعاذوا أن يكونوا ممن حقت عليهم كلمة العذاب.

ومن باب الإشارات العجيبة في هذا الموضوع أن أثير الانتباه إلى التفكّر في الخلق للنهي عن التفكر في الخالق لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته جل شأنه.

ثم إن من مميزات هذا الموضوع أنه يرشد إلى أن الذِكْر والتفكر يرشدان إلى دراسة كتاب الكون والتأمل فيما اشتمل عليه من دلالات وآيات، إذ في النصوص ما يحض الفكر الإنساني على النظرة الشاملة العامة إلى الكون كله. من ذلك دراسة الإنسان نفسه، وهذه الدراسة تعتبر منطلقا ذا أهمية لمعرفة خالقه، ومنطلقا لدراسة النبات والقمر والماء والسحاب والمطر، وإمكان التقدير والوزن ونتيجة لذلك يأتي التوجيه للسير في الأرض بحثاً ودراسة وتأملاً والمقصود من هذا هو أن يوضع الإنسان أمام كل المظاهر موضع الباحث الدارس المنقّب عن الصفات الظاهرة والباطنة التي هي آثار من آثار الخالق المتقن اللطيف الذي ينفذ علمه إلى دقائق بواطن الأشياء.

إن الحياة التي نحياها بحواسنا. لا غير - وعن بعد - حياة أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة. ونكاد نحسّ أن الآيات تصرخ بنا أن نسعف الحواس بقوى أخرى فوق الحواس من أجل ولوج هذه العوالم ومن أجل أن نبلغ المطلق الممكن بوساطة الذكر والتفكر.

نقرأ في سورة العنكبوت قوله جل شأنه: (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) الآية ١٩.

إنه خطاب دليله هذا الكون ومجاله السماء والأرض. إن صفحته مفتوحة للحواس والقلوب، يردّنا القرآن فيها إلى هذه الروعة الغامرة.

إن في هذه الآية أمراً بالنظر العلمي المتتبع الذي يعني بتتبع الظواهر للنفاذ إلى البواطن.

ما أكثر النصوص القرآنية التي دعت الفكر إلى التفكر والدراسة العلمية الهادفة. وهذا ما يتيحه مثل هذا النص في الآية ٩٥ من سورة الأنعام حيث يقول جل شأنه: (إن الله فالق الحب والنوى. يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون).

إن فلق الحب والنوى وإخراج النبات والشجر منهما، مجال واسع لمعرفة خصائص الصفات الوراثية، وما فيها من قوى وقوانين وسنن ربانية عجيبة. وهي تصلح للباحثين العلميين المتعمقين، وتصلح للذين يملكون قدرات أقل، وتصلح كذلك للناس العاديين الذين اكتملت لديهم شروط التكليف.

إن التأمل والتفكر في مثل هذه الآيات من شأنه أن ينفع في تعميق الإيمان ومن شأنه أيضاً أن يدك تلك العقبات النفسية عند من يعانون من الحيرة. ذلك أن التطلع نحو المعرفة والتساؤل عن كيفية حدوث الأشياء ومسبباتها، يعتبر ذلك كله من الصفات المهمة التي تتصف بها العقول البشرية الموهوبة. ومن ثم فإنه إذا آمن المشتغل بالعلوم الكونية بخالق هذا الكون، فإن دراسته العلمية مهما كان اتجاهها تزيده إيماناً بالله.

كتب الدكتور أرفنج وليام نوبلوتش مقالا تحت عنوان «المادية وحدها لا تكفي» ومما يقول فيه: «إن العلوم الطبيعية عاجزة عن أن تبحث عن الله بطرقها المادية أو أن تدرك كنه ذاته تعالى، ولكن ملاحظة عجائب الكون، قد دعت علماء الفلك الأمناء إلى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون لهذا الكون - باتساعه الفسيح ونظامه المعجز مدبّر لا نراه، ولا نستطيع أن ندرك كنهه». عن كتاب «براهين وأدلة إيمانية» عبدالرحمن حسن حبكنة.

وقد أفضى هذا التأمل بهذا العالم إلى الإيمان حين قال: «إنني اعتقد بوجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها» المرجع نفسه.

وبعد فإن الذكر المأثور يحارب الفقر الروحي، ويرفعنا فوق صغائر الأمور، ويجعلنا نستفيق على حياة جديدة وكنز عظيم تمثله هذه الذخيرة التي حينما نقترب من معانيها ونلتحم بها تتغلغل في أعماقنا وتغدو مصدراً لتفعيل حياتنا، وحينما نفتح صدورنا لأنفاسها المنعشة ومراميها البعيدة، فإننا سنكون بها - وانطلاقاً من أساسياتها وما تنبته في كياننا - طبا نفسيانيا إسلاميا قويا تنتشر معه الأنوار أبعد فأبعد على شرط أن يقتنع الأطباء - من هذا النوع - بمصداقية العلاج بالقرآن الكريم، وأن يكونوا في مستوى الصلاح وشفافية الروح والنظرة الثاقبة وحب الإنسانية.

إن العلاج بالقرآن زاد تغتني به نفوس المؤمنين وتطمئن وتلجأ إليه عند الملمات وتتخذه واحة تستريح عندها من جفاف الحياة وقتامتها، ذلك أن القرآن الكريم ينساب في دواخل الإنسان وينعش وجدانه ويطمئن قلبه.

بالإضافة إلى أنه عبادة لله من صميم العبادة، وذكر من صميم الذكر ولو اتصلت العلوم الكونية التي تبحث في صميم الكون ونواميسه وقوانينه ومدخراته وأسراره وطاقاته، لو اتصلت هذه العلوم بذكر الله خالق هذا الكون، وشعرت - من خلال ذلك - بجلاله لتحولت - من فورها - إلى عبادة لخالق هذا الكون، ولاستقامت الحياة بهذه العلوم واتجهت إلى الله وأنتجت خيراً مما تنتج وأروع.

ومعنى هذا أن التوجه العلمي في الدراسات العلمية البحت حينما لا تسنده هذه المعطيات الشفافة، فإنه يقطع الصلة ما بين العلوم الكونية والحقيقة الأزلية الأبدية فيتحول العلم - وهو أجمل هبة من الله إلى الإنسان - إلى لعنة تطارد هذا الإنسان وتحيل حياته إلى جحيم، وإلى حياة قلقة مهددة وإلى خواء روحي قاس.

فلو مورست دراسة العلوم الكونية بشيء من صفاء القلب، وشفافية الروح وتفتح الإدراك والاستعداد للتلقي لازداد العلم تقرّبا إلى الله، على اعتبار أن لحظة الذكر والتفكر والاستنتاج والإبداع لحظة عبادة ولحظة اتصال، ولحظة إلهام للحقيقة الخالدة. ■

الإيمان الصادق يهدينا إلى أن الذكر والتفكر يعيدان إلى الإنسان الطمأنينة والراحة

بقلم : ماجد أحمد المومني

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها

سورة محمد :٢٤

العنوان مقتبس من القرآن الكريم، والآية رقم ٢٤، من سورة محمد ولا ريب أن أول عتبات التدبر هو فهم المعنى، والمفردات الواردة في القرآن الكريم حتى يتمكن المسلم من فهم القرآن ويتعلّمه ومن ثمّ يُعلّمه لأفراد أسرته ومجتمعه، فقد أورد البخاري في صحيحه قول الرسول عليه عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه».

وهنا نتوقع من الآباء أن يُعلّموا أولادهم جوامع الكلم والتي لا يستغني عنها مسلم واحد في مشارق الأرض ومغاربها باعتبارها ثوابت يحتاج إليها المسلم فهماً ومعنى ولفظاً وسلوكاً ومن هذه الثوابت:

١ ـ أن يعلّموا أولادهم الاستعاذة من الشيطان الرجيم... عملاً بقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨. ومعناها... أنني أحتمي بالله من شرور الشيطان الرجيم... والرجيم المطرود من رحمة الله... وكلمة أعوذ... ألوذ وأحتمي بالله من شرور إبليس المطرود في رحمة الله. والاستعاذة بكل بساطة تعني الالتجاء أو الاحتماء أو الاستجارة بالله تعالى.

ومع أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إلا أن الاحتماء بالله ضرورة لازمة في أفعالنا وأقوالنا نظراً لأساليبه في الإغواء والضلال كما فعل مع أبينا آدم، وحتى يبقى المؤمن على صلة بربّه... صلة دائمة ومستمرة، مصداقاً لقوله تعالى: (... إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل:٩٩ـ١٠٠.

٢ ـ يحتاج المسلم إلى حفظ شيء من القرآن الكريم ليؤدي به صلاته، فكل مسلم عليه أن يحفظ:

ـ الفاتحة.

ـ سورة الإخلاص والتي تساوي ثلث القرآن الكريم... عن حديث أخرجه البخاري.

ـ سورة الفلق.

ـ سورة الناس: آيات لم ير مثلهن قط، عن حديث أخرجه مسلم.

ـ سورة الكافرون تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الطبراني.

ـ سورة النصر تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سورة الزلزلة تساوي ربع القرآن عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سور قرآنية قصار لها من الأجر والثواب... كأجر من أكمل تلاوة القرآن، وفي ذلك رحمة للذين يدينون بالإسلام من غير العرب... وفضل من الله لكل مسلم.

٣ ـ بقي أن نعرف من الثوابت:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

ـ الحمد لله رب العالمين.

ـ الله الصمد...

ـ أعوذ برب الفلق.

ـ غاسق إذا وقب.

ـ النفاثات في العقد.

ـ الوسواس الخناس.

هذه مفردات يحتاجها كل مسلم في صلاته وأفعاله وسلوكه وطعامه وشرابه، وقبل نومه وحين يستيقظ وفي كل حركة من حركات حياته... وأشد ما كان عجبي حينما لمست أن بعض الطلبة الجامعيين لا يعرفون معنى هذه الثوابت الضرورية لكل مسلم.

ـ بسم الله الرحمن الرحيم...

هي فاتحة كل قول أو عمل ابتداء من الكلام أو تناول الطعام وانتهاء بالاستسلام للنوم... وببساطة تعني أنني أستفتح أقوالي وأفعالي بأسماء الله الحسنى، وأخص من هذه الأسماء الرحمن الرحيم... والتي وسعت رحمته كل شيء... والتي من أبواب رحمته مدخل جنات النعيم... ولا يستطيع أحد أن يدخل هذه

الجنات بأعماله. (... قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

- الحمد لله رب العالمين:

وهو إقرار باللسان وتصديق بالقلب بأن جميع الخيرات هي من فضل الله وهو رب العالمين خالق الكون ومدبّره... وهذا الإقرار والتصديق يصاحبه الشكر لله تعالى على ما تفضل به من نعم وخيرات والتي لا يمكن أن تحصى وهذه الخيرات والأرزاق جميعها من الله. (... قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين...) سبأ:٣٩.

وقفة تأمل على نعمة البصر والسمع والذوق والفؤاد والكلى وسائر أعضاء الإنسان أعطاها الله لنا بالمجان... وهي لا تقدّر بخزائن الأرض... ولا يعرف قيمتها إلا من فقد السمع والبصر ومن أصيب بأمراض القلب والعقل والكلية وسرطان الدم... إنها نعم لا تُحصى... ولا يريد الله سوى أن يشكر ويحمد ربّه على هذه النعم.

- سبحان الله العظيم:

الله بذاته وصفاته ليس كمثله شيء... فكلمة سبحان الله تعني أن الله يتنزّه عن كل نقص في ذاته وصفاته فهو الكمال المطلق في ذاته وصفاته: ... (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) التغابن:١. فكل شيء بالوجود يسبّح بحمد الله مع أننا لا نفهم تسبيحهم، فحتى الجمادات والجبال تراها خاشعة لله تعالى... وتسبّح باسم الله العظيم.

- الله الصمد:

روى الدارمي والحاكم في مستدركه أن تلاوة كل حرف من القرآن الكريم يحظى قارئها بعشر حسنات، فإذا علمنا أن كلمة الصمد هي خمسة حروف من أصل ٤٧ حرفاً هي مجموع حروف سورة الإخلاص، وسورة الإخلاص هي ثلث القرآن الكريم، طبقاً للحديث الشريف الذي أخرجه البخاري فهذا يعني أن تلاوة سورة الإخلاص تعادل بالأرقام ١٠٧٠٤٠ حسنة، ومثل هذا الرقم يستحق منا أن نعرف معنى كلمة الصمد، يقول أبو بكر الجزائري في كتابه «أيسر التفاسير»: إن كلمة الصمد تعني هو السيد الذي يُصمد إليه في قضاء الحوائج وعلى الدوام... إنه تعالى هو وحده المقصود في الحوائج، ومثل هذا المعنى في المعجم الوسيط.

الصمد هو المقصود في الحاجات.. وهو الذي يصمد فوق كل صفة... فلو أخذنا كلمة كريم ففوق كل ذي كرم كريم... إلى أن تصل هذه الصفة إلى الذات الإلهية... فتقف الأبصار والأسماع وكل قنوات الإدراك عن تلمس كرم الخالق سبحانه فكرمه خارج نطاق الإدراك، لكن كل ما هو في مجال الإدراك هو إلى هلاك، بينما كرمه تعالى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر... وقس على ذلك سائر أسماء الله الحسنى من الكمال المطلق... ما يعجز عنه الوصف والإدراك.

- سورة الفلق وسورة الناس:

والتي روى عنها مسلم أن الرسول قد قال فيهما... إنهما سورتان لم ير مثلهن قط... بل إنهما من الاتساع في المعاني مما يغطي مجلدات... فمثلاً الفلق: الصبح، فلو تناولنا فالق الإصباح في الكواكب والنجوم والمجرات التي هي في السماء الدنيا لاحتجنا إلى مجلدات، فكيف الإصباح في السموات العُلى... وكيف هو عند سدرة المنتهى... وكيف هو في جنة المأوى!! وقل مثل ذلك في كلمة غاسق إذا وقب... أي الليل إذا دخل... الليل بظلامه وسواده إذا دخل... وهي الظلمة هي لا شيء بالنسبة لظلمة القبور، وظلمة أعماق البحار، وظلمة المجرات والنجوم والتي بعضها لما يصلنا ضوؤها منذ الخليقة وحتى الآن... فتصوروا بُعدها... قياساً إلى سرعة الضوء في الثانية والتي تساوي ١٨٦ ألف كيلو متر في الثانية، عجزت الأقلام وجفّت الصحف عن وصف صفة من صفاته تعالى.

ففي سورة الفلق أستجير برب الفلق - فالق الإصباح من شر مخلوقاته ومن شر السواحر النفاثات بالإفساد والشرور، والنفث هو النفخ الخفيف، والعقد جمع عُقده في خيط أو حبل... وهكذا يفعل السحرة يعقدون الخيوط ثم بإفسادهم يوهمون الناس بكل هذه العقد بنفخات مسمومة من الشرور والسحر... وهذا الاحتماء بالله يشمل أيضاً شرور الحاسدين الذين يتمنون زوال النعمة عن غيرهم.

بينما سورة الناس تركز على الشيطان الذي يُحدّث النفس الإنسانية من الداخل ويأمرها بالشرور والآثام.. وهذا الشيطان يزين للإنسان سوء الأعمال.. وهو الذي وسوس لآدم فأخرجه من الجنة.

وسْوس: تعني أنه حدّث من الداخل بسوء الأفعال والشرور والآثام والفحش من الأقوال... سورة الفلق وسورة الناس استجارة بالله لمن لا يغفل عنهما من الشيطان وشروره ومن الحاسدين ومن شرور مخلوقاته التي لا نعملها... إنها حصن المؤمن في يقظته وقبل نومه بل في أثناء تقلبه في نومه.

الشيطان هو العدو الأكبر لبني الإنسان وهو الذي أضلّ آدم وزوجه حواء فزيّن لهما أن يأكلا من الشجرة التي منعها الله عنهما... فوسوس لهما أنها شجرة الخلود فأضلهما فكانت النتيجة خروجها من الجنة بعد أن تاب الله عليهما. قال تعالى: (... وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة: ٣٥-٣٧.

ولا سبيل إلى قهر الشيطان إلا بأداء العبادات لله تعالى... من صلاة وصوم وحج وزكاة وشهادة أن لا إله إلا الله... وأن محمداً رسول الله... فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي أنها حصن المؤمن من الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، والصوم وقاية

من سلطان الشهوات التي من خلالها ينفذ الشيطان... روى الترمذي وابن ماجه عن الرسول ﷺ أنه قال: «... إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيِّقوا مجاريه بالجوع...» ويعني الصيام، وكذلك في الحج يُرجم الشيطان بحجارة الحجيج ويخرج مذموماً مدحوراً من قلوب المؤمنين.

وفي الزكاة طهارة النفس من الشحّ وطهارة للأموال من الخبائث: (... ومن يُوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) التغابن:١٦. (... الذي يُؤتي ماله يتزكى...) الليل:١٨. (... وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...) في الآية رقم٢٠ من سورة المزمل.

أيها المؤمنون:

استعينوا بالله على الشيطان الرجيم... استجيروا بالله العظيم من شرور الوسواس وذلك بتلاوة سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس في اليقظة وقبل النوم... وقاموا الشيطان بتلاوة القرآن والمحافظة على العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة... (هل أنبئكم على من تنزَّل الشياطين. تنزل على كل أفَّاك أثيم...) الشعراء:٢٢١-٢٢٢.

معنى رمضان:

ومن المفردات التي تحتاج إلى تفسير معنى كلمة رمضان... وهي اسم الشهر التاسع من تاريخنا الهجري، والشهر الوحيد من الشهور الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، وقد اختلفت الآراء في تسميته، وتعددت الروايات... فمن قائل: إنه مشتق من رمض إذا احترق... والرمضاء هي شدة الحر وسمِّي بذلك من حر الجوع والعطش.

وقيل إنه سمِّي رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال الصالحة... وقيل لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير في أمر الحياة والآخرة، كما تكتسب صخور الفيافي ورمالها من حرارة الشمس.

وقيل لأن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم أي يعرقونها ويشحذونها بين الحجارة استعداداً للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن رمضان مشتق من «رمض» وفي ذلك إشارة إلى حرّ الصيف، فما يدل على الفصل الذي وقع فيه هذا الشهر وما وما يصاحب فصل الصيف من رمض الصائم أي شدة العطش في جوفه.

هذا من الناحية اللفظية... أما من الناحية العقدية

- فصيامه شهراً كاملاً ركن من أركان الإسلام.

- وهو صبر على المعصية... صبر على الطاعة.

- صبر على البلاء والشدائد والصعاب في سبيل الله.

أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار...

وفي رمضان كان الفتح الأكبر عندما دخل الرسول ﷺ مكة المكرمة، والتف أهلها حول الفاتح الأعظم ودخلوا في دين الله أفواجاً. وفي رمضان انتصر المسلمون في تبوك، وعين جالوت، وحطين، وفتح العرب الأندلس. ورمضان أحب الشهور إلى الله.

ليلة القدر:

اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم، فمنهم من قال إنها سُميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العالم كلها، ويدفع ذلك إلى الملائكة كما قال تعالى: (... فيها يفرق كل أمر حكيم...) الدخان:٤، ومنهم من قال: إنها سُمِّيت بذلك لعظم وجلال قدرها عند الله... (ليلة القدر خير من ألف شهر) القدر:٣، وأجر العبادة فيها يعادل أجر عبادة ٨٣ عاماً، ومن علاماتها أن تشرق الشمس صبحها بيضاً ومن دون شعاع كأنها البدر، وهي في العشرة الوتر من أواخر رمضان.

بعض صفات القرآن الكريم:

ينفرد القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية والوضعية بالصفات التالية:

١ - إنه الكتاب الوحيد في العالم الذي يمكن حفظه بكلماته وحركاته وألفاظه وآياته وسوره، وزاد في هذا الإعجاز أن أطفالاً في سن الخامسة يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، وطفل مصري معاق في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، بل إن طفلاً إيرانياً في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، ويفسره تبعاً لتفاسير عدة من التفاسير المعروفة، ابن كثير... الطبري... سيد قطب، وهكذا... ولا يشاركه بهذه الصفة كتاب آخر... حتى كتاب العهد القديم لا يحفظه واحد في العالم والعهد الجديد، والبابا نفسه لا يحفظه بألفاظه وحركاته. مصداقاً لقوله تعالى: (... إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون...) الحجر:٩.

٢ - القرآن الكريم هو الكتاب الفريد من بين الكتب السماوية الذي يتضمن جميع الكتب السماوية التوراة الصحيحة، والإنجيل الصحيح، وصُحف إبراهيم وموسى والزبور، الذي أنزله الله على داود.. ولم يختلف به أحد على أنه نزل باللغة العربية، وبينما لا يزال الاختلاف قائماً بين اليهود والنصارى على لغة الوحي الذي أنزل الله بها التوراة والإنجيل... وحسبنا ذلك قول الله تعالى: (... كتاب فصِّلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون...) فصلت:٣. (... إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف:٣.

٣ - القرآن الكريم به علم كل شيء... علم الأولين والآخرين مصداقاً لقوله تعالى: (... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب...) آل عمران:٧.

ففواتح السور ... حم... ألر... كهيعص... إلخ.

هذه رموز لا يعرف معناها إلا الله والراسخون في العلم ... قال تعالى: (... ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم...) الحجر:٨٧.

هذه بعض من صفات القرآن العظيم. ■

بقلم : بدرت نوّال محمد بدير

يرسم القرآن الكريم صوراً رائعة لكثير من مختلف جوانب الحياة: يرسمها عارضاً ومصوراً أو يرسمها منفراً منها ومزدرياً لها أو يرسمها محبذاً ومشجعاً، وقد يعرض معنى واحداً في صور عدة مختلفة كلها رائع دقيق.

وهو في رسمه لهذه الصور إنما يهدف. ناقداً كان أو محبذاً. لتكوين مثل عليا للأفراد وللجماعات، وهذه الصور إذاً إنما هي نوع من التربية السهلة المؤثرة، حيث تقود الشخص في يسر إلى استشعار ما أراده الله ورسوله.

وإذا كان بعض هذه الصور يدور حول أفراد معينين أو في أزمنة محددة أو في أمكنة معروفة، فإنها عادة عامة شاملة، وهي لذلك تتسم بالخلود وتدخل في نطاق القاعدة الأصولية المعروفة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

فتنة المال أو قارون

والصور التي نعرضها الآن إنما هي صورة قارون، وقد ذكرت في شيء من التفصيل في سورة القصص، حيث تحدث القرآن الكريم عن قارون حديثاً عابراً في سورة العنكبوت وفي سورة غافر. ومن هذه المواضع الثلاثة المتكاملة تنعكس صورة تامة واضحة من الصور الكثيرة التي رسمها القرآن لفتنة المال.

كان قارون من قوم موسى، ونشأ في ربوع مصر وآتاه الله ثراء عريضاً ورزقه من المال ما لا يكاد يحصى ولا يعد، وهيأ له من وسائل الحياة الهانئة وأسبابها الشيء الكثير، فكان مع ثرائه الواسع قوي الجسم وضيء الصورة إلى درجة أنه كان يسمى «المنور»، وكان إلى ذلك طلق اللسان، وجذاب الحديث، آتاه الله كل ذلك وآتاه أكثر من ذلك، فكان منطق الحكمة أن يؤدي لله حق الشكر على نعمه وأن يتصرف فيما منحه الله إياه، تصرف المعترف بالفضل الذي لا ينكر الجميل.

ولكن نفسه كانت تتطلع إلى غير ذلك، لقد أجال بصره في بيئته وفي عشيرته فلم يجد ما يساعده على أن يكون حاكماً أو صاحب ولاية ورئاسة، فأخذ ينسلخ من عشيرته وينفصل عن قومه ويتقرب إلى فرعون، يداهنه ويتملق كبرياءه، ويتزلف إليه حتى أصبح من جلسائه، وفي فترة من الفترات وجد نفسه ينعم بجاه الثروة ويستمتع بجاه السلطان، فانتشى بهذا المجد الزائف وملأه الغرور واستولى عليه الكبر، ورسخ في نفسه أن السعادة إنما هي الثراء والجلوس مع فرعون.

ولما وقر في نفسه ذلك نسي الله أو تناساه، فتعود عادات الذين لادين لهم: ازدراء العشيرة، واحتقار الفقراء، ونضوب معين الرحمة من القلب، واعتبار أن الحياة الدنيا هي كل شيء وأن المثل الأعلى إنما هو الاستمتاع على أي وضع كان وفي أي صورة حدثت وسارت الحياة به على هذا النمط رخاء فترة من الزمان فاعتقد أنها ستسير به هكذا إلى النهاية.

وفي يوم من الأيام، بينما كان يجلس قارون مع فرعون وهامان، دخل موسى عليه السلام يعرض عليهم الرسالة التي كلفه الله بتبليغها (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) غافر ٢٣ ـ ٢٤.

لقد كان المنتظر من قارون أن يدافع عن موسى إن لم يكن من أجل الحق الواضح فمن أجل العصبية والجنسية ولكنه ضرب بالحق والعصبية عرض الحائط وجارى فرعون حرصاً على ماله واحتفاظاً بثروته وقال كما قال فرعون: (ساحر كذاب).

ومن أجل الإبقاء على ثروته جارى فرعون في إسرافه وطغيانه، فقال موافقاً له: اقتلوا الذين آمنوا معه «أي مع موسى» واستحيوا نساءهم».

ولما قال فرعون: (ذروني أقتل موسى) لم يحاول قارون الدفاع عن رسول الله وإنما الذي فعل ذلك رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه.

وارتكب قارون كل ذلك إيثاراً للمال وخوفاً على الثروة من أن يصادرها فرعون لو خالفه فيما يرى من رأي، وغاب عنه أن الثروة والملك والدنيا والآخرة بيد الله وحده ، وبما أن الله سبحانه المانح الوهاب فإنه تعالى المانع القابض.

ولما رأى بعض الصالحين من قوم قارون أن الثروة والجاه أفسدوه تشاوروا فيما بينهم واتفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة، فلما اجتمعوا به تلطفوا في القول ما استطاعوا وأجملوا النصيحة في أمور خمسة هي في الواقع القواعد العامة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه الأثرياء وهي القانون الذي يجب أن يخضع له أهل الغنى:

١ - إنك مباهٍ بثروتك فخور بها، فرح بكثرة المال، وما ينبغي أن يكون الفرح بالمال إلا لأنه وسيلة إلى النفع فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر فإن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك.

٢ - وقد آتاك الله الكثير المتنوع فابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة واتجه في كل ما تأتي وما تدع إلى تقوى الله ومرضاته.

٣ - والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها فلا تنس نصيبك من الخطوات في هذا الطريق بالعمل الصالح الذي سيكون رصيدك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٤ - وأحسن كما أحسن الله إليك فاجعل زكاة مالك مساعدة الفقير وزكاة قوتك نصرة الضعيف وزكاة جاهك معاونة المظلوم حتى يسترد حقه.

٥ - ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين.

ولكن هذه المبادئ السامية التي إذا عممت كانت الدستور لكل صاحب جاه أو نعمة، لم تلق أذناً صاغية لدى قارون الذي ألهاه التكاثر، فقال ساخراً متحدياً لا يبالي: (إنما أوتيته على علم عندي).

لقد أوتيت هذا المال بسبب تدبيري وحكمتي وحسن تصريفي للأمور وحدسي الذي لا يخطئ في شؤون التجارة ورأيي الصائب في ارتفاع الأسعار ونزولها: وأنكر بذلك أي أثر إلهي للنعمة التي ينعم بها، وتناسى قارون وهو في نشوة الثراء وحماسة الجدل: الأخبار الصحيحة التي تدل على أن الله أهلك كل ذي جاه لم يتق الله فيما أنعم به عليه ولم يؤد حق النعمة مالاً كان أو قوة أو رئاسة (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) القصص:٧٨.

وأراد قارون أن يتحدى وأن يسخر وأن ينعم بالتحدي والسخرية ممن نصحوه، فخرج يوماً على قومه في موكب كأبهى ما يكون من الزينة والأبهة وكأضوأ ما يكون بريقاً وزخرفاً. لقد خرج على قومه في زينته، كل زينته - فمدت إليه الأعين وأخذ بريق الذهب الذي يتحلى به الركب يخطف الأبصار ولمعان الفضة المحلاة بها سروج الخيل يخلب الأفئدة، وتهادى الركب بقانون هو ينظر يميناً وشمالاً في كبرياء سافر وفي غرور مكشوف.

ولما رأى هذا المنظر أولئك الذين يسيرون بحسب قانون الغرائز ويريدون الحياة الدنيا، فتنهم بريق الذهب ولمعان الفضة وزخرف الموكب، فقالوا في شهوة غلابة: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم).

ولكن الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ردوا عليهم منبهين: (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً).

وسنة الله لا تتخلف عادة نذكر منها فيما نحن بصدده قوله تعالى: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس) يونس: ٢٤.

وقوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الإسراء:١٦.

وإذا كانت هذه سنة الله في الأرض (وفي القرى) فماذا ينتظر أن تكون في قارون وأمثاله، إنها خسف: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) القصص:٨١.

ولما رأى الذين تمنوا مكان قارون بالأمس ما حل به رجعوا إلى الله وأنابوا إليه (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) القصص:٨٢.

أما العبرة من كل ذلك فيلخصها القرآن الكريم عند انتهاء قصة قارون، تلخيصاً جميلاً موجزاً: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) القصص:٨٣.

وإلى هنا انتهت قصة قارون، وكان يمكننا أن نقف عند هذا الحد، ولكن هناك بعض الطرائف والملاحظات، يقول الله تعالى عن قارون: (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) القصص:٧٦. ومن تلك الطرائف والملاحظات:

١ - يقول صاحب البحر المحيط: (سميت أمواله كنوزاً لأنها لم تؤد منها الزكاة، وعلى ذلك فإن الأموال التي تؤدى فيها الزكاة لا تدخل تحت قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة).

٢ - أما عن المفاتح التي تنوء بها العصبة أولي القوة، فقد قال أبو مسلم رأياً طريفاً في تفسيرها: المراد من المفاتح العلم والإحاطة كما في قوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة الأنعام: (وعنده مفاتح الغيب) والمراد وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها تتعب حفظتها القائمين على حفظها».

٣ - تذكرنا قصة قارون بأثرياء المسلمين في العصور الماضية، وكان من هؤلاء عبدالرحمن بن عوف، ولكنه - رضي الله عنه - كان يؤدي حق الله كاملاً في ماله، حتى لقد تبرع يوماً لفقراء المدينة بقافلة كاملة مكونة من سبعمئة جمل بما تحمل من تجارة.

وإذاً فالمال إنما يكون فتنة إذا لم يؤد حق الله كاملاً فيه، وكذلك الأولاد إنما يكونون فتنة إذ لم يؤد الوالد حق الله والوطن فيهم بتربيتهم خير تربية. ■

بقلم : محمد حمدي الحديدي

أداب السفر

يرى المسلم أن السفر من لوازم الحياة وضروراتها التي لا تنفك عنها، إذ الحج والعمر والغزو، وطلب العلم، والتجارة وزيارة الإخوان والأصدقاء كلها ما بين فريضة وواجب لابد لها من رحلة وسفر، ومن هنا كانت عناية الشارع بالسفر وأحكامه وآدابه عناية لا تنكر، وعلى المسلم الصالح أن يتعلمها، ويعمل على تنفيذها وتطبيقها.

ومن هنا يتبين للمسلم أن الإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وله فيها رؤية ووقفة، وصدق الله العظيم إذ يقول: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام:١٦٢،١٦٣، فالمسلم يتعبَّد لله بكل صغيرة وكبيرة.

أحكام السفر

١ ـ قصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين ركعتين فقط إلا المغرب فإنه يصليها ثلاثاً، ويبدأ القصر منذ مغادرته البلد الذي يسكنه إلى أن يعود إليه، إلا أن ينوي إقامة أربعة أيام فأكثر في البلد رجع إلى التقصير فيقصر إلى أن يصل إلى بلده، وذلك لقوله تعالى: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) النساء:١٠١. قال أنس: «خرجنا مع الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلي الرباعية ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة».

٢ ـ جواز المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها لقول علي ـ رضي الله عنه ـ «جعل لنا النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، يعني في المسح على الخفين» رواه أحمد ومسلم والنسائي.

٣ ـ إباحة التيمم، إن فُقِد الماء أو شق عليه طلبه، أو غلا عليه ثمنه لقوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً) النساء:٤٣.

٤ ـ رخصة الفطر في الصوم لقوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) البقرة:١٨٤.

٥ ـ جواز صلاة النافلة على الدابة حيثما اتجهت لقول ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ «كان يصلي سبحته» (النافلة) حيث توجهت ناقته» متفق عليه، وفي أيامنا هذه فإن الطائرة والباخرة والأتوبيسات الكبيرة تحل محل الدابة في عهد خير المرسلين ﷺ.

٦ ـ جواز الجمع بين الظهرين، أو العشاءين جمع تقديم إن جدَّ به السير، فيصلي الظهر والعصر في وقت الظهر، والمغرب والعشاء في وقت المغرب أو جمع تأخير بأن يؤخّر الظهر إلى أول العصر، ويصليهما معاً، والمغرب إلى العشاء ويصليهما معاً، لقول معاذ رضي الله عنه : «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً» متفق عليه.

أداب السفر

١ ـ أن يرد المظالم إلى أهلها والودائع إلى أصحابها، إذ السفر مظنة الهلاك.

٢ ـ يُعدّ زاده من الحلال، وأن يترك نفقة من تجب عليه نفقته من زوجة وولد ووالد.

٣ ـ أن يُودِّع أهله وإخوانه وأصدقاءه، وأن يدعو بهذا الدعاء لمن يودعهم: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم، يقول له المودعون: زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك إلى الخير، حيث توجهت، لقول الرسول الله ﷺ : «إن لقمان قال: إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه» رواه النسائي بإسناد جيد.

٤ ـ أن يخرج إلى سفره في رفقة ثلاثة أو أربعة بعد اختيارهم ممن يصلحون للسفر معه، إذ السفر كما قيل: مخبر الرجال، وقد سُمي سفراً لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال لقول الرسول ﷺ : «الراكب شيطان والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب» رواه أبو داود، وقوله: «لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ما ساد راكب بليل وحده» رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

٥ ـ أن يؤمّر المسافرون أحداً منهم يتولى قيادتهم بمشورتهم لقول الرسول ﷺ : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» رواه البخاري، وهذه دعوة الإسلام إلى النظام في الأمر كله لعدم الفوضى والاضطراب ويبين حرص الإسلام على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم لينالوا رضا الله تعالى.

٦ ـ أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة لترغيب الرسول ﷺ في ذلك حتى إنه كان يعلّمهم إياها كما يعلّمهم السورة من القرآن الكريم وفي جميع الأمور.

٧ ـ أن يقول عند مغادرته المنزل: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل أو أَزل أو أُزل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل عليَّ».

وإذا ركب قال: «بسم الله» فإذا استوى قال: «الحمد لله» ثم يقول: «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»، فإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

٨ ـ أن يخرج يوم الخميس أول النهار «لما ورد في الصحيحين» لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «اللهم بارك لأمتي في بكورها» ولما جاء عنه ﷺ أنه كان يخرج إلى سفره يوم الخميس.

٩ ـ أن يُكبِّر على كل شرف «مكان عال» لقول أبي هريرة «إن رجلاً قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال: عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» رواه الترمذي.

١٠ ـ إذا خاف ناساً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم لقول الرسول ﷺ ذلك.

١١ ـ أن يدعو الله تعالى في سفره ويسأله من خير الدنيا والآخرة، إذ الدعاء في السفر مستجاب لقول الرسول ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» رواه الترمذي.

١٢ ـ إذا نزل منزلاً قال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، وإذا أقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله، إني أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك، وشر ما يدبُّ عليك، وأعوذ بالله من شر أسد وأسود، ومن حيَّة وعقرب ومن ساكني البلد، ومن الوالد وما ولد» رواه مسلم.

١٣ ـ إذا دخل قرية أو بلدة يقول: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذَرَين. أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها وشر ما فيها» رواه النسائي.

١٤ ـ إذا أشرف على مدينة قال: «اللهم اجعل لنا بها قراراً وارزقنا فيها رزقاً حلالاً، اللهم إني أسألك من خير هذه المدينة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها» إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك.

١٥ ـ أن يعجل الأوبة والرجوع إلى أهله وبلاده إذا هو قضى حاجته من سفره، لقوله عليه الصلاة والسلام : «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته ـ حاجته ـ من سفره فليعجّل إلى أهله» متفق عليه.

١٦ ـ أن لا يطرق أهله ليلاً، وأن يبعث إليهم من يبشرهم حتى لا يفاجئهم بمقدمه عليهم فقد كان هذا من هدي النبي ﷺ.

١٧ ـ أن لا تسافر المرأة سفر يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها لقول الرسول ﷺ : «لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها».

١٨ ـ إذا نام أول الليل افترش ذراعه، وإن أعرس أي: نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفه حتى لا يستثقل نومه فتفوته صلاة الصبح في وقتها.

أخي الكريم... هل نظرت إلى عظمة الإسلام ورحمته؟ وهل ترك الإسلام شيئاً للمسلم لم يتكلم فيه؟! أي دين هذا الذي ينتظم الحياة كلها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها؟! سبحان من ارتضى لنا الإسلام ديناً. فالمسلم في حركاته وسكناته يلتزم بشريعة الإسلام ولا يجد ثغرة واحدة في حياته لم يتكلم الإسلام فيها ولم يضع فيها تشريعاً، حتى قال يهودي لمسلم: لم يترك الإسلام لكم في حياتكم شيئاً يتكلم فيه حتى دخول الخلاء، سبحان الله ! حتى دخول الخلاء فإنك تتعبد لله تعالى به، فالإسلام دين للحياة كلها بصبغة الإسلام، في زيّه وشكله وبيته وصاية جميعاً، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يرى عبده عبداً له في كل أمر وهاهنا «السفر» في سفره وذهابه وإيابه، يذكر الله ويدعو الله ويسأل الله من فضله وقد بيَّن لنا رسولنا محمد ﷺ سنته وهديه في كل شأن من شؤون الحياة، ومن جرَّب هذه الأذكار في سفره وفي حياته وجد لذلك حلاوة لا توصف وأمناً من عند الله وطمأنينة ويشعر بمعية الله تعالى له وإذا نظرنا إلى أحكام السفر وجدنا رحمة الإسلام بأتباعه فخفف عنهم في صلاتهم وفي وضوئهم وفي حاجاتهم رحمة بهم فهو بحق دين الرحمة ونبينا نبي الرحمة ﷺ.

فالمسلم يذكر ربه دائماً على كل حال لا يفتر عن ذكر ربه وهذا الذكر يمنحه القوة في قلبه وبدنه ويلبسه لباس التقوى والعافية، فالسفر أحد هذه المواطن التي يذكر المسلم فيها ربه ويدعوه فلا شك أن السفر جزءٌ من لوازم الحياة ومتطلباتها فليغتنمه المسلم في الدعاء والذكر حتى يقضي الله حاجته ويؤيده بجندٍ من عنده ويحفظه من كل شر.

ولهذا ينبغي علينا أن نعلِّم هذه الآداب لأولادنا وبناتنا وإخواننا كي ننال رحمة الله ومعيته، ولنحرص على المواظبة على هذه الأذكار فهي الحصن الحصين من الشياطين. ■

المراجع:

«منهاج المسلم» لأبي بكر جابر الجزائري.

بقلم : الخضر بن عبدالباقي محمد

مدلول الثقافة لدى كل أمة هو الكيان الحقيقي، وترجمة أمينة عن هويتها لأن الثقافة هي المجموع الكلي المشكّل للهويّة التي تتميز بها شخصيتها عن غيرها، وهذا المجموع الكلي قد يكون عبارة عن معرفة أو خبرة أو معتقد ديني أو قيم أخلاقية أو اتجاهات عامة عن مفاهيم زمانية أو مكانية، أو غيرها مما يكتسبها الأفراد والجماعات ويتوارثونها جيلاً بعد جيل عبر المؤسسات الاجتماعية المعنية بالتنشئة والتطبيع.

وتعد قضية الذوبان والانهزام الثقافي للجيل أهم وأخطر تداعيات الانفتاح على ثقافات الآخرين، لذلك أثارت الكثير من التساؤلات لدى المفكرين والمنظرين قديماً وحديثاً لهذا قوّمت فكرة الانفتاح الثقافي في بعض العصور الإسلامية وعورضت بشكل قوي، نتيجة لإدراكهم بخطورته وما يتبع ذلك من تداعيات سلبية.

ومرت الأيام ودارت دورتها إلى أن جاء عصرنا الحالي المتطور حيث تواجه الثقافة العربية الإسلامية تحديات ومشاكل على اختلاف مصادرها، ولا سيما في ظل التطورات العلمية المتلاحقة تحت مسميات متعددة: «العولمة . العالمية . الكوكبية . الغلوبالية» ... إلخ.

الثقافة العربية في عصر العولمة

ولا يخفى على الجميع ما جلبته هذه التطورات من الآثار والسلبيات، حيث تعرضت الثقافة العربية للكثير من الهجمات والحملات مستهدفة من وراء ذلك إضعافها وزعزعتها عن طريق المزاحمة والملاحقة، متخفية بشعار التطور والتقدم والنهضة العلمية وتنمية البلاد النامية.

وقد ساد الأجواء العربية إزاء قضية الانفتاح الثقافي والتقارب الحضاري بين الشعوب أنواع من الصراعات والنزاعات، فهناك دعاة محليون من أبناء العرب يصرّون على ضرورة الانتفاح على ثقافات وحضارات الآخرين وأنه الطريق الوحيد لنهضة الأمة، وعلى العكس من هذا التيار يوجد دعاة يحافظون ويدعون للانغلاق والعزلة لسلامة الثقافة العربية الإسلامية، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه ضرورة العودة للأخذ بالأصل الصافي، ويُلاحظ أن دعوة الانفتاح نحو الثقافات الغربية يقف وراءها عوامل وأسباب كثيرة أهمها:

أ ـ العامل الطائفي :

وهذا ينطبق على وضع الطائفة المسيحية في مصر ولبنان.

الانفتاح المذموم أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانبهار عبر منافذ الاختراق والتغريب

ب ـ العامل الجغرافي :

حيث نجد أن الدول العربية القريبة من الغرب وبالتحديد من أوروبا هي الأكثر تفاعلاً وانخراطاً في الثقافة الأجنبية، كالمغرب العربي.

ج ـ العامل الاقتصادي :

ويتمثل في الطبقات الغنية في البلاد العربية التي لها مصالح مادية في الغرب، بغض النظر عن انتماءاتها الدينية أو الطائفية أو الموقع الجغرافي.

وفي مراجعة متأنية ونظرة فاحصة للأوساط الاجتماعية في الوطن العربي والإسلامي والاتجاهات الحديثة نحو الانفتاح على الثقافات الوافدة يمكن تصنيف الاتجاهات الموجودة والتيارات الفكرية ـ حيال الانفتاح الثقافي وتقبّل الموجات الثقافية الوافدة من الغرب ـ إلى ثلاث مدارس فكرية جوهرية:

١ ـ التيار المحافظ:

يرفض الثقافة الغربية الأجنبية بشتى أشكالها وأنواعها بسبب أنها ثقافة غازية ويرى أنها تُشكل خطراً على القيم ويمثل اختراقاً لهوية الأمة وثقافتها.

وينتمي أصحاب هذا التيار إلى قسمين نظراً لمنطلق كل منهما العقدي أو الأيديولوجي وهما:

أ ـ الاتجاه الإسلامي:

ويرفض هذا الاتجاه تقبّل الثقافات الغربية منطلقاً من الرؤية الإسلامية حيث أعطاها. ووصفه بالتمكين للحملة التنصيرية لمواجهة الزحف الإسلامي ومصارعته في عقر دياره لتتوسع على حساب الثقافة العربية المبنية في جملتها على مبادئ وقيم الإسلام.

ب ـ الاتجاه القومي العربي:

يرفض تقبّل دعوة الانفتاح الثقافي منطلقاً من الرؤية القومية العربية واعتبر الانفتاح على الثقافات الوافدة استنزافاً للكيان القومي العربي واختراقاً لحضاريته لإدخاله تحت سيطرته ولتتحول الثقافة العربية الأصيلة إلى ثقافة تابعة.

٢ ـ التيار اليساري المتغرّب:

يرى هذا التيار أن تقبل الثقافة الغربية على مختلف أنواعها وأشكالها هو السبيل الوحيد والحل الأوحد لنهضة المجتمع العربي والمجتمعات القومية بشكل عام، واعتبروا الانفتاح الثقافي معياراً ومقياساً لنهضة وتقدم المجتمع لأنه في نظرهم اتصال حضاري وتواصلٌ ثقافي يحقق للمجتمعات البشرية أمناً واستقراراً عكس ما يراه التيار المحافظ.

٣ ـ التيار الوسطي:

يرى ضرورة الانفتاح على ثقافات الآخرين وحضارات الأمم الأخرى للإفادة منها وأخذ ما يناسب بعد التعديل والتحوير بانتقاء شديد وعناية فائقة من مفكري الأمة خوفاً من الذوبان وفقدان الخصائص المميزة والملامح الأصيلة للهوية العربية وثقافتها العريقة.

ولعل من التساؤلات التي يطرحها أصحاب الاتجاه المعاكس «التيار المتغرّب»، كيف يمكن للثقافة العربية الإسلامية وحالها الراهنة تشهد في داخلها وميحطها توسعات وانفتاحات على المستوى الذاتي؟ هذا الاتساع بالتأكيد يترك بصماته على الثقافة العربية الإسلامية وسيشكل أنماطاً جديدة من الثقافات الفرعية بسبب ما شهدته الأمة من صراعات بين هذه التيارات المحافظة والمعاكسة لها، بحجة أن هذا العصر يحمل في طياته تحديات تتمثل في تناقضات الاختراعات والاكتشافات العلمية والتي تخلق أو تترك انعكاساتها وتأثيراتها على الثقافة والقيم الموجودة والموروثة، لأنها مغايرة ومتباينة مع الثقافة السائدة وبمرور الوقت والزمان يتقبلها المجتمع على الرغم من محاولات التيار المحافظ الصد عن ذلك، فيصير جزءاً من ثقافته وعاداته وتقاليده وخصائصه أو مميزاته عن الآخرين.

ساد الأجواء العربية إزاء قضية الانفتاح الثقافي والتقارب الحضاري بين الشعوب أنواع من الصراعات والنزاعات

ويجب أن نشير هنا إلى أن الانفتاح المذموم هو ما أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانبهار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة فقد قال تعالى: (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الأنعام:١٤٨.

ومع ذلك كله فإننا على يقين وثقة كبيرين أنه مهما تكاثرت وتضاعفت التداعيات والأعراض والإجهاد على الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، سواء أخذت صورة التحدي والهجوم المباشرة أو غيرها فإنها ستظل باقية قوية البنية نشيطة الحركة رابطة الجأش منيعة الحصن، وهذا ليس مجرد كلام أو أمان نمني بها أنفسنا إنما هو حقيقة قطعية الثبوت والدلالة، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: (أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد:١٧.

وصدق الله ومن أصدق من الله حديثاً، فعلى الرغم مما بلغته الحضارات المادية الغربية وما حققته من تطورات علمية فقد بدأنا نشهد ومنذ عقود متأخرة أعراض انهيار تلك الحضارات الجوفاء وما يعانيه شعبها من تعاسة وقلق نتيجة إفلاسها وفشلها. ■

بقلم : سالم البهنساوي

في الجزء الأول من هذا المقال والذي نشر في العدد ٤٠٣ تحدث الكاتب عن الشُّبَه المتعلّقة بحقوق الإنسان، والتي ترتبط معظمها بحقوق غير المسلمين من جهة، وحقوق المرأة من جهة أخرى، حيث بيَّن الكاتب حقيقة الجهاد الذي شُرع لنشر الدين وحفظ المجتمع المسلم، وفنّد مزاعم الغرب حول نظام الجزية، كما بيَّن حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، ثم أوضح وصحح بعض المفاهيم التي تهدف إلى احتكار الرأي لدىَ فئة من المسلمين دون غيرها، كما أوضح كيفية التعامل مع المحاربين، ووضع الأطر العامة التي تضبط علاقة المسلمين بغيرهم، حيث سرد الحقوق والواجبات من قبل المسلمين والذميين، وتحدث عن صفاء التعامل معهم في مجتمع واحد من عيادة للمرضى، أو غسل لأموات غير المسلمين، واتباع جنائزهم، كما بيَّن حكم زيارة قبور غير المسلمين.

في الجزء الثاني من المقال يتابع المستشار البهنساوي وبأسلوب شيق، وعبارة رصينة وحيادية وموضوعية ما بدأه في المقال السابق الذي ورد في العدد الماضي.

التعايش مع غير المسلمين 2/2

٤ ـ تعزية غير المسلم:

التعزية هي مواساة أهل الميت وتسليتهم وحضهم على الصبر والإيمان بالقضاء والقدر. هذه التعزية يختلف فيها بعض المسلمين، بين التحريم والجواز، والذين يحرّمون تعزية المسلم لغير المسلم في حالات الوفاة يستدلون بآيات الولاء والبراء وسبق القول إنها خاصة بالمناصرة لهم على المسلمين أو الولاء في القيم والأخلاق المناهضة للإسلام.

أما التعزية بما ليس فيه استغفار لميتهم أو دعاء له أو الشهادة له بالسعادة في الآخرة، فهذه التعزية لشيء غير محظور ليست محرّمة، وهي من البر الذي أمرنا الله تعالى به لهذا ذهب الحنابلة في رواية عن أحمد(١) والحنفية(٢) والمالكية في رواية عنهم وكذا الشافعية إلى جواز تعزية غير المسلم.(٣)

فمن يقول لغير المسلم في التعزية البقاء لله أو أخلف الله علينا وعليك أو جزاك الله خيراً عنه أو غير ذلك فليس فيه شيء يناقض أحكام الإسلام.

من يعزي بهذه الأقوال لا يكون قد ارتكب شيئاً محرّماً ولا ممنوعاً في دين الله تعالى.

٥ ـ استعمال ثياب غير المسلمين:

لقد كان المسلمون في عهد النبي ـ ﷺ ـ يستوردون الثياب من اليمن ومصر والشام قبل أن يسلم أهل هذه البلاد وكانوا يلبسون هذه الملابس ولا يغسلونها لأن الأصل هو طهارتها رغم أن فيهم المجوس وعبدة الأوثان.

لقد ذكر ذلك ابن تيمية في الفتاوى ٢٩/٢٨ والخطابي في معالم السنن ٢٥٧/٤.

قال ابن قدامة في المغني ٦٢/١ «لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في إباحة الصلاة في الثوب الذي نسجه الكفار فإنه ﷺ وأصحابه كان لباسهم من نسيج الكفار».

٦ ـ استعمال أواني غير المسلمين:

يؤخذ من الأحاديث النبوية جواز استعمال أواني غير المسلمين من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنصيب من آنية أهل الكتاب وأسقيتهم ونستمتع بها فلا يعيب ذلك علينا». رواه البخاري ومسلم(٤)

وقال ابن سيرين: إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يظهرون على المشركين فيأكلون في آنيتهم ويشربون.(٥)

٧ ـ ذبائح أهل الكتاب والمشركين:

إن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهؤلاء لا شبهة في حل ذبائحهم لقول الله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم) المائدة:٥.

وقد سئل النبي ـ ﷺ ـ عن طعام النصارى فقال: «لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت فيه النصارى» رواه أبو داود والترمذي(٦).

أي لا تتحرج من أكل طعامهم لأنهم مع إشراكهم بالله في قولهم إن الله ثالث ثلاثة، وإن المسيح ابن الله، فقد أحل الله ذبائحهم وأحل الزواج بنسائهم واستخدم معهم مصطلح أهل الكتاب، أما المشركون فهم الكفار من غير أهل الكتاب كالوثنيين ومن لا دين لهم والملاحدة والمجوس الذين يعبدون النار وغيرهم.

وهؤلاء تحرّم ذبائحهم لأن الحلّ الوارد في القرآن الكريم اقتصر على أهل الكتاب، وعن قيس بن سكن الأسدي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنكم نزلتم بفارس من النبط فإذا اشتريتم لحماً فإن كان من يهودي أو نصراني فكلوا» رواه أحمد وقال واستثنى صيد البحر لأنه ليس من الذبائح.(٧)

٨ ـ تكشف المسلمات لغيرهن:

تتعرض المسلمات في الحياة العملية إلى مخالطة غير المسلمات، وقد تكشف شيئاً من بدنها أمامها لهذا يجيز ذلك فقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة، وبعض الأحناف.(٨)

ويستدل هؤلاء بقول الله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) إلى قوله: (أو نسائهن) فقالوا: إن المسلمة يُباح لها أن تُبدي زينتها للمرأة سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة لأن اللفظ هنا يشمل عموم النساء.

واستدل أصحاب الرأي الآخر بالآية نفسها لتحريم تكشف المسلمة أمام المرأة غير المسلمة وقالوا: إن المراد من الآية النساء المسلمات فقط أي بمفهوم المخالفة فغير المسلمة تصبح أمام المسلمة كالرجل، لكن هذا الذي يستدلون به قد استدل به الذين أجازوا تكشف المسلمة أمام غير المسلمة، ولكن قيّدوا ذلك ما بين السرة والركبة إلا للضرورة كطبيبة النساء.

والقاعدة أن ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال فأصبح هذا الدليل غير قائم ويرجع للقواعد العامة فلا يوجد تحريم إلا بنص، قال تعالى: (وقد فصلّ لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه...) الأنعام:١١٩.

٩ ـ السلام على غير المسلمين:

لقد وردت نصوص لا تجيز ابتداء غير المسلم بالسلام وأظهرها قول النبي ـ ﷺ ـ «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»(٩).

كما وردت نصوص تجيز السلام عليهم ولهذا أجاز ذلك بعض الفقهاء واستدلوا بقول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم لأبيه (سلام عليك) مريم:٤٧، وقوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) الزخرف:٨٩.

واحتجوا بما صحَّ أن النبي ـ ﷺ ـ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود والمشركين فسلّم عليهم(١٠).

وقد سئل ابن عيينة هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم. فقد قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الممتحنة:٨،(١١) كما احتجوا على الجواز بحديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «إن أولى الناس من بدأهم بالسلام» رواه أحمد والترمذي وأبو داود(١٢)، ورواية عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ تفسر هذا الاختلاف في الرأي فقد قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا السام عليك ففهمتها، وقالت: «عليكم السام واللعنة (أي الموت)» فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقالت يا رسول الله أوَ لم تسمع ما قالوا. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «قد قلت وعليكم». رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أخرى أجابها النبي ـ ﷺ ـ: «أوَ لم تسمعي ما رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ».

وقد روى البخاري أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا سلَّم عليكم

أهل الكتاب فقولوا وعليكم».(١٣)

أما رد السلام عليهم فالإجماع أنه لقول الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيو بأحسن منها أو ردوها) النساء:٨٦.

١٠ ـ الاستعانة بغير المسلم:

لقد استقر العمل منذ عهد النبي ـ ﷺ ـ وإلى يومنا، على جواز الاستعانة بغير المسلمين في بعض الأعمال التي يجيدونها سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين.

فالنبي ـ ﷺ ـ قد استأجر عبدالله بن أريقط ليصحبه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، وكان مشركاً وكان المشركون يتربصون بالنبي ـ ﷺ ـ ويخططون لقتله.

وكانت مهمة هذا المشرك هو أن يدل النبي ـ ﷺ ـ على الطريق لخبرته به ولو كانت الثقة والأمانة قاصرة على المسلمين فقط ما استأمن النبي ـ ﷺ ـ عبدالله بن أريقط وما نزل القرآن الكريم بقبول شهادة غير المسلمين في النصر في قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) المائدة:١٠٦.

ولقد دخل النبي ـ ﷺ ـ مكة ـ بعد عودته من الطائف في جوار مطعم بن عدي بعد أن تحالف أهل مكة على منعه من دخولها.(١٤).

وعندما مرض سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع طلب النبي ـ ﷺ ـ من الحارث بن كلدة وكان طبيباً غير مسلم، أن يعالج سعداً مما به.(١٥)

١١ ـ تبادل الهدايا والتهاني:

إن الله تعالى قد أقام الحياة الاجتماعية بين الناس جميعاً على أساس أخوة الإنسانية ولم يقصر المعاملات والمودة والمجاملات على الأخوة في الدين فقط، قال الله تعالى: (يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣. يقول الشهيد سيد قطب في الظلال تعليقاً على هذه الآية إن الذي ينادكم هو الذي خلقكم وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل. أنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

إنه عندما قدم سلمان الفارسي إلى المدينة المنورة ولم يكن قد أسلم دخل على النبي ـ ﷺ ـ وقدّم له مائدة عليها رطب، فلما قال إنها هدية تقبلها ـ ﷺ ـ وفي هذا قال الحافظ العراقي في هذا الحديث هو قبول هدية الكافر، فإن سلمان لم يكن أسلم إذ ذاك.(١٦)

كما أن يهودية قد أهدت النبي ـ ﷺ ـ شاة فأكل منها وتبين أنها مسمومة.(١٧).

وفي صحيح البخاري، أن النبي ـ ﷺ ـ أرسل حلة إلى عمر بن الخطاب فأهداها إلى أخ له في مكة لم يكن قد أسلم وجعل البخاري لذلك باباً عنوانه «باب الهدايا للمشركين»(١٨)، كما أن النبي ـ ﷺ ـ قد أهدى إلى النجاشي قبل أن يسلم حلة وأواني في مسك».(١٩)

أما تهنئتهم في المناسبات، فإنها تختلف باختلاف المناسبة ويتوقف على عبارات التهنئة فإذا كانت التهنئة بأعيادهم التي تخالف العقيدة الإسلامية مثل صلب المسيح ومثل العيد الخاص بالعذراء فيما تزعمه طوائف في أوروبا أنها وابنها إلهين مع الله وهو الذي تتبرأ منه هي وابنها يوم القيامة فيما سجله القرآن الكريم في قول الله تعالى:

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) المائدة: ١١٦-١١٧، فالتهنئة بهذه الأعياد فيها إقرار لهم على هذا الكفر وهي محرّمة.

أما تهنئتهم في مناسبات ليست من الكفر فليست محرَّمة لأنها تتعلق بأمر غير محرّم في الشريعة الإسلامية.

ويدخل في ذلك تهنئتهم في المناسبات التي ليست ديناً، مثل التهنئة بالزواج وشراء المساكن والمناسبات الوطنية، وقد يحرم البعض تهنئتهم في المناسبات جملة سواء أكانت دينية أم وظيفية، لأن الله تعالى حرَّم شهادة الزور في قوله: (والذين لا يشهدون الزور) الفرقان:٧٢، ولكن التهنئة على النحو سالف الذكر ليست شهادة لهم بشيء من الكفر، كما يستند هؤلاء إلى مشاركتهم في الأعياد التي من شعائر دينهم هي تشبه بهم والنبي ـ ﷺ ـ يقول: «من تشبّه بقوم فهو منهم»(٢٠)، وعلى الرغم من أن هذا الحديث غير صحيح، إلا أنه مع افتراض صحته، فالتهنئة التي لا تتفوق على شيء ولا تتضمن اضراراً لهم بشيء يناقض العقيدة الإسلامية، مثل هذه التهنئة هي من الأمور المباحة ومن البر الذي أمرنا الله به معهم، بل إن مشاركتهم الأمور المباحة فيها مصلحة وهي من

وسائل دعوتهم للإسلام وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي ينصح بعدم مشاركتهم في الهدي الظاهر لأنها تورث الولاء، يجيز ذلك إذا كان في المشاركة مصلحة للمسلمين أو تيسر دعوتهم إلى الدين والاطلاع على أحوالهم لدفع الضرر عن المسلمين.(٢١)

١٢ ـ استحلال الدم والمال:

لقد عقدت ندوة عالمية عن دور الإسلام في دول الاتحاد السوفييتي سابقاً، وفي كلمة كل من وزير خارجية الاتحاد الروسي ووزير القوميات يوم ١٩٩٩/٦/٢م كان السؤال عن شرعية قتل المسلمين بعضهم بعضاً كما يحدث في أفغانستان والشيشان.

ولقد أجاب الكاتب على هذا لسؤال وهو أن حكم الله قد ورد في قول الله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة:١٩٠، كما ورد في قول الله تعالى: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) المائدة:٣٢.

وكأن سؤال الوزيرين من قبيل الاستفهام الاستنكاري، فلئن كان لدى هؤلاء سبب في قتل غير المسلمين واستحلال أموالهم، فما سبب قتلهم المسلمين؟

إنه من نكد الدنيا على المسلمين أن توجد هذه الصورة الجاهلية سواء في قتل غير المسلمين أو المسلمين وفي استحلال أموال غيرهم أياً كانت ديانتهم.

إن الإسلام قد حسم هذه الأمور ولم يكن حسمه بالبيانات والأقوال التي لا تسندها الأفعال والتطبيق العملي.

إنه بجانب الآيات القرآنية سالفة الذكر، قد حذَّر النبي ـ ﷺ ـ من استحلال أموال الخائنين، ذلك أن الخيانة لا تبرر أن يسلك المسلم سبيل الخائنين.

قال النبي ـ ﷺ ـ : «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

وعندما اعتدى كفار مكة على النبي ـ ﷺ ـ وعلى الذين آمنوا برسالته وصادروا أموالهم، كان السلوك العملي هو أن أمر النبي ـ ﷺ ـ علياً بن أبي طالب أن يتأخر عن الهجرة أياماً عدة حتى يسلّم كفار مكة الأمانات التي أودعوها لدى النبي ـ ﷺ.

كما أنه في غزوة بني قريظة الممثلة في قتالهم لخيانتهم الظاهرة ومساندتهم لأحزاب الكفار في مكة ضد المسلمين، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه وقال إنه كان يعمل لدى اليهود ومعه أغنامهم ويطلب استلام المسلمين لها، لأنهم خانوا عهدهم، فإذا بالنبي ـ ﷺ ـ يعلن قبوله الإسلام ورفضه المال، وأمر الرجل أن يسلِّم الغنم إلى أهلها، فتعلل أنهم سيقتلونه إذا دخل الحصن، فأرشده النبي أن يسوق الغنم أمامه حتى إذا ما دخلت الحصن تركها لأهلها وعاد هو منفرداً.

وأخيراً نأمل أن تدرك القلة التي تتبنى القتل والكفر أن الله تعالى قد نهى عن أن يضرب القرآن بعضه ببعض بأن يتبنى أحد ما ورد عن فعال المحاربين ثم يزعم أن هذه قد نسخت الموادعة. ■

الهوامش:

١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٧ ص٤٥

٢ ـ المغني لابن قدامة ٢٤٠٥/٢.

٣ ـ حاشية ابن عابدين ٢٤٨/٥.

٤ ـ فتح الباري ج١ ص ٤٤٨ وسبل السلام ج١ ص ٤٤ ونيل الأوطار ١٣/١.

٥ ـ شرح السير الكبير للسرخسي ١٤٥/١، ومعالم السنن للخطابي ٢٥٦/٤.

٦ ـ تحفة الأحوذي ١٨٢/٥.

٧ ـ فتح الباري ٦١٤/٩.

٨ ـ أحكام القرآن لابن العربي ١٣٧٢/٣ والمغني لابن قدامة ١٠٥٧/٧، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٧١/١.

٩ ـ صحيح مسلم ١٧٠٧/٤.

١٠ ـ نيل الأوطار للشوكاني ١٧/٨ والمصنف للصنعاني ١٢/٦.

١١ـ تفسير القرطبي ١١١/١١ ج٥٥/١٨.

١٢ ـ المجموع ٤١٨/٤ وحاشية ابن عابدين ٤١٢/٦ ط الحلبي.

١٣ ـ فتح الباري ٤٢/١١.

١٤ ـ المجموع ٤٢١/٤ وحاشية ابن عابدين ٢٦٥/٥.

١٥ ـ تفسير القرطبي ١١٢/١١.

١٦ ـ التاج الجامع للأصول ج٤ ص ٣٩٧.

١٧، ١٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٣٠/٥.

١٩ ـ نيل الأوطار للشوكاني ٣٨٩/٥.

٢٠ ـ حديث رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير وفي سنده ضعف انظر الفتح الكبير للسيوطي ٣٨/٣.

٢١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ج١٧٦ المطبعة الحكومية بمكة ١٣٨٩هـ.

بقلم : د. خالد سعد النجار

رؤية معاصرة في سيرة

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

صحابة رسول الله ﷺ نجوم في سماء الزمان، تربوا على عين الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وفي كنفه ﷺ نبت إيمانهم من نبع الوحي الصافي، بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فترجموا تعاليم الوحي بقيادة الرسول ﷺ إلى واقع عملي مشرق، وانتشروا يفتحون البلاد ويفتحون معها قلوب العباد وكوّنوا أعظم وأطهر حضارة وقدموا للبشرية خير نماذج يقتدى بها للوصول إلى الفوز الحقيقي في الدنيا والآخرة.

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أحد هذه النماذج الفذة التي حوت سيرته العطره الكثير والكثير من الآراء والمواقف الناصعة، ما يجعلها حلولاً عملية لكثير من المشكلات التي تعاني منها، الأمة الإسلامية في الوقت الراهن. فرأيت أن ألقي الضوء على بعض منها أقدمها لشباب هذه الأمة وشيوخها الذين أعرضوا عن هذا الخير فأصابهم ما أصابهم مما لا يجهله الأمي قبل المتعلم.

أولاً : صدق الإيمان بالله ورسوله في حياة هذا المجاهد الأواب

هذا الصدق الذي دفعه لأن يكون من أوائل المتبعين لرسول الله ﷺ ،فلقد أسلم رضي الله عنه قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، وكان سادس ستة أسلموا واتبعوا نور الوحي في مهده وهذا الصدق حوله من أجير بسيط يرعى الغنم لأحد سادة قريش إلى شجاع في الحق لا يعبأ بسادة قريش ولا بطشهم ويسمعهم القرآن جهراً في جوف الحرم فيروي أصحاب السير أنه «كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال: دعوني فإن الله سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ رافعاً صوته بسم الله الرحمن الرحيم (الرحمن علّم القرآن...) ثم استقبلها يقرؤها فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد؟! ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً قالوا: لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون. لقد كان رضوان الله عليه يستيقن أن الذي يحاد الله مغلوب هيِّن على الله فينبغي أن يكون مهينا عند أولياء الله».

ومن كلماته الرائعة التي تعكس هذا الصدق الذي يملأ قلبه وجوارحه قوله: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والتواضع أحب إليه من الشرف وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء» ففسرها أصحابه فقالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء ويقول

أيضاً ﷺ : «من اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله ولا تحمدن أحداً على رزق الله ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ولا يرده كره الكاره، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط».

ولقد كان فرط حبه لكلام الله مضرب المثل بين الصحابة فشهدوا له بالعلم به والإمامة في تلاوته ولا عجب في ذلك، ألم يكن قدوته وحبيبه ﷺ خلقه القرآن وكان قرآناً يمشي بين الناس، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وهو في عرفه فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل، فقال: من هو؟ ويحك، قال عبد الله بن مسعود. فمازال يطفأ ويسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في أمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فلما كدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» قال ثم جلس يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول له «سل تعطه سل تعطه» فكان فيما سأل اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد قال عمر قلت: والله لأغدون عليه فلأبشرنه قال فغدوت عليه فبشرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه – يعني أبا بكر.

وكان رحمه الله يقول: «والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته».

ويوضح في كلمات رشيقة بليغة ما ينبغي أن يكون عليه صاحب القرآن الصادق فيقول: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزونا حليما حكيما سكينا ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّابا ولا صياحا ولا حديدا».

وأما حبه للرسول ﷺ فحدّث ولا حرج، فلقد كان ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره وكان يشبه بالنبي في هديه ودله وسمته، فعن عبد الله بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله هدياً وسمتاً ودلاً نأخذ عنه ونسمع منه، قال: كان أقرب الناس برسول الله هديا وسمتا ودلاً عبدالله بن مسعود حتى يتوارى عنّا في بيته ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى.

وفي عصرنا هذا ما أحوجنا لمثل هذا الصدق في علاقتنا بالله وبرسوله في بيوتنا ومدارسنا وشوارعنا وصحافتنا وبخاصة بعض الإعلاميين من أبناء أمتنا الذين يلهثون وراء الخبر المثير، والسبق الصحفي ليُصفق لهم في المحافل رغم أن حقيقة الخبر خلاف ذلك فلو أنهم تريثوا في تحري الحقيقة لظهر لهم الواقع الذي هو أبسط من هذا بكثير فلا يسعنا إلا أن نقول لهم قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة ١١٩.

ثانياً: حسن الاتباع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

فلقد أوصى النبي ﷺ صحابته وأمته من بعده بالتمسك بنور الوحي والسنة فقال ﷺ : «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه الترمذي.

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ أنموذجا يحتذى به في اتباع وصية رسول الله ﷺ فكان يرى أن أي خروج عن هدي الإسلام بداية طريق الضلال حتى وإن كان فعل ذلك عن نية حسنة ومقصد نبيل فيقول رحمه الله: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه بذهاب أهله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق» ويقول «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة».

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: «إن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال ما هذا؟ قلت خيط رقّي لي فيه قالت: فأخذه ثم قطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن الرقى والتمائم والتوله شرك» فقلت: لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت فقال: عبد الله إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كفّ عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ «أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما» رواه أبو داود.

وعن عمرو بن سلمة الهمداني قال: كنا نجلس إلى باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أَخَرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مئة فيكبرون مئة فيقول: هللوا مئة فيهللون مئة ويقول سبحوا مئة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم؟: قال ما قلت لهم شيئا انتظر رأيك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع

هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحون باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لم يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدّثنا «أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال: عمرو بن سلمة فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

إن درس الاعتصام بالكتاب والسنة جدير بأن نهمس به في آذان العلمانين من أبناء أمة الإسلام الذين أعرضوا عن منهج الإسلام، وأخذوا يلهثون وراء التعاليم الأوربية والأفكار الغربية عن ديننا يرون فيها رشداً خيراً من رشد الإسلام فتحتم علينا أن نقول لهم: تعلّموا حسن الاتباع لله ولرسوله من خير جيل أقام خير حضارة، ولابد أن تعرفوا أن الله تعالى الذي قال: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المزمل ٢٠ هو الذي قال (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) البقرة ١٧٩ وكما قال (وأتموا الحج والعمرة لله) البقرة ١٩٦.

قال أيضاً (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) النور ٣٠ فالإسلام ليس طقوسا تؤدى، لكنه منهج حياة من أعرض عنه له الخسران في الدنيا والآخرة فيأيها العلمانيون اسمعوا قول الله تعالى لكم ولأمثالكم (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) العنكبوت ٥١ (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ...) الأنفال ٢٤.

ثالثاً: الزهد في الدنيا وعدم التكالب على حطامها

فحب الدنيا وحطامها رأس الخطايا والسيئات وبغضها والزهد فيها أم الطاعات والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها ولقد عرف أبو سليمان الداراني الزهد في الدنيا بقوله: «هو ترك ما يُشغل عن الله تعالى» وما أجمله وأجمعه من تعريف. فالزهد الحقيقي ليس بلزوم الفقر وتعذيب النفس كما يفهم من ذلك الجهلاء، فلقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد الناس في زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال.

ولقد تجسد هذا المعنى الجليل في حياة ابن مسعود رضي الله عنه، فكان حقاً من الزاهدين في تلك الحياة فحرصه الأول على دينه وإيمانه وكل مصيبة بعدهما حقيرة فكان يقول رحمه الله «إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له فإن أعطى خيراً فالله أعطاه ومن وقى شراً فالله وقاه. المتقون ساده والفقهاء قاده ومجالسهم زيادة» ومن أقواله لتلامذته «لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار»(١).

ويقول: «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» ويقول «كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض» ويقول أيضاً: «أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم كانوا أفضل منكم قيل له: بأي شيء قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم».

وعن تميم بن جذلم قال: «جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر، ما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إلى أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود» لله دره ما كان أشد زهده في الدنيا وما أجمل ما تحلى به من تواضع. فلقد خرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم: ألكم حاجة قالوا: لا ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

وعن مسروق قال: قال: رجل عند عبد الله ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إليّ فقال عبد الله: لكن ها هنا رجل ودّ أنه إذا مات لا يبعث يعني نفسه.

إن في سيرة هذا الزاهد الأواب خير درس للذين عماهم حب الدنيا فلا يفهمون إلا لغة المال والأعمال، فلا يبالي أحدهم، أجمع هذا المال من حلال أم من حرام، ففي نداء الله لهم خير شفاء لهذا المرض الوبيل حيث يقول جل شأنه: (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى...) النساء ٧٧ وفي سيرة هذا الصحابي خير أسوة لو كانوا يعقلون.

حقاً لقد كانت في حياة هذا المعلم الجليل دروس ودروس، نحن في أمسّ الحاجة لها الآن في عصر كله متناقضات حيث بسطت علينا الدنيا فيه بطغيانها وماديتها ومفاهيمها، وبينما آثرت طائفة هجر الدنيا وانزوت بفكرها داخل الخرائب كان الترف قد بدأ يتلاعب بالأمة فدارت بين إفراط وتفريط وبين غلو وجفو، وبين أسراف وتقصير، وصارت الدنيا والآخرة طرفي نقيض فهؤلاء لكي يؤمنوا بالله رأوا أنهم لابد وأن يدخلوا الخرائب مهملين تعمير الدنيا بطاعة الله وإقامة خَلافه وحضارة على منهج العبودية لله وأولئك رأوا أن التقدم والتحضر والتطور يستلزم التفلت من قيود الدين فركبوا مركب الغرب ودانوا بالإباحية والإنسلاخ من معاني الإيمان وقالوا (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فلا نجاة إلا بالعودة لسيرة الصحابة الطاهرة نرتشف منها رحيق الإيمان كي ننهض من هذه الكبوة، والله من وراء القصد. (٢) ■

الهوامش والمراجع:

١- قطرب: دويبه كانت في الجاهلية يزعمون أنها لا تستريح نهارها سعياً والمقصود الانهماك طوال النهار في السعي على المعاش حتى إذا جاء الليل نام كلاً تعباً.

٢- من كتاب (صور من الطغيان المادي) بتصرف د/ سعيد عبد العظيم.

- صفة الصفوة لابن الجوزي.
- رجال حول الرسول خالد محمد خالد.
- صلاح الأمة د/ سيد العفاني.

إعداد : محمد القاضي

العالمة المتميزة

الدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»

فقدت الساحة العلمية والثقافية عالمة متبحرة ومفكرة أعطت النموذج الرائع للمرأة العالمة المسلمة إنها الدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة «ببنت الشاطئ»، والفقيدة من مواليد دمياط في مصر سنة ١٩١٢م، تعهدها أبوها الذي كان مدرّساً بإحدى المدارس في دمياط بتحفيظ القرآن الكريم في الكتّاب، فاكتسبت استقامة اللسان وحسن النطق، وبعد ذلك دفع بها إلى مجالس الشيوخ والعلماء والفقهاء، فقرأت ذخائر كتب السلف وأمات الكتب في المكتبة العربية الإسلامية، واختط لها والدها دراسة إسلامية بحتة بعيداً عن أطر مناهج المدارس الحديثة القاصرة، فاشتد عودها في ظل تلك الفرصة النادرة وتفاعل ذكاؤها فواحاً فواراً في أرجاء هذه المدرسة التي شكلها لها والدها في فهم وتقدير عميق لمواهبها واستعداداتها غير العادية.

لكن عائشة كانت تتجاذبها إغراءات الشهادات، فانفلتت من قبضة أبيها لتجرب مع الشهادات، فلم تترك برنامجاً ينتهي بشهادة إلا ودخلته وتفوقت فيه، وكانت في مقدم الطلبة، حصلت على شهادة الكفاءة العلمية سنة ١٩١٩م، والإجازة في اللغة العربية سنة ١٩٣٩م في جامعة القاهرة، ثم نالت الدكتوراة في الأدب من تلك الجامعة العام ١٩٥٠م.

وفي الجامعة تعرفت على أستاذها وزوجها من بعد العلاّمة أمين الخولي (١٨٩٥م ـ ١٩٦٦م): «كنت في المرات القليلة التي ترددت فيها على الكلية خلال العام الأول ألمح الأستاذ الخولي من بعيد بين حين وآخر في ردهات الكلية وأبهائها، بزيه اللافت وسمته المهيب وملامحه المتفردة يحف به دائماً عدد من تلاميذه شبه مسحورين، وقد أخذوا في حوار متصل، فلا أتصور بحال ما، أن هذا الأستاذ غريب عني، وأظل أفكر طويلاً: أين ومتى يا ترى لقيته من قبل؟ مضيت في طريقي إليه، وما أرتاب في أني عرفته من قبيل أن ألقاه!

كنت أتمثّله وأنا في الطريق إليه، وكنت ألقاه قبل أن ألقاه، وبالفعل تزوجت به على ضرة، ولكني حينها نضجت على هذه السن التي تمنعني ضرة من لقائه كنت أشب وأرتفع لأصل إليه»(١).

فعلاً، فقد كان اللقاء مصيرياً غيَّر مجرى حياتها العلمية بحيث كان أمين الخولي الأستاذ والزوج يجمع في ناظريها بين القديم والحديث، في مزج متماسك متوازن مولّد للحيوية الفكرية التي افتقدتها في دراستها القديمة على يد والدها، وافتقدتها كذلك في دراستها الجديدة الجامعية والسطحية قبل أن تراه وتتلمذ على يديه لتندمج معه بعد ذلك كلية. «فقد منهجني، كنت قبل أن ألقاه مغرورة بنفسي، كانت عقليتي فجة، أصحح لبعض الأساتذة قراءتهم، وأتباهى عليهم بما حفظته من شيوخ البلاغة وأعلام المفسرين وأنا في أول سنواتي الجامعية، وكنت أرنو للطلبة المبهورين بالأستاذ أمين الخولي وأعزوها إلى ضعف حصيلتهم، أنا التي طالت صحبتها لكتب التراث منذ أن كنت أرتع في مدارج الطفولة وملاعب الصبا، وكنت وقتها قد حصلت على جوائز ثقافية وأكتب على الصفحة الأولى في جريدة (الأهرام)، لقد أدّبني وعلّمني أنني وإن كنت أملك الرواية فإنني لا أتوافر على الدراية والحفظ غير الفقه، أدّبني بقسوة».(٢)

بنت الشاطئ... العصامية والتحدي

ارتبطت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بالكتابة في الصحافة منذ باكورة شبابها بدءاً من وظيفة معلمة في المدرسة الأولية إلى وظيفة كاتبة في كلية البنات في الجيزة، ثم في الزمالك، فنشرت في مجلة «الهلال» وصحيفتي «البلاغ» و«كوكب الشرق»، وراء اسم مستعار «بنت الشاطئ» خشية أن يعلم والدها بأمرها انها تنشر فأصبح الاسم المستعار علماً أكثر شهرة من اسمها الحقيقي، ودأبت على الكتابة والنشر حتى رسخت قدمها في جريدة «الأهرام» القاهرية منذ صيف ١٩٣٥م، بحيث كانت تضع مقالاتها عن الريف المصري وقضية

الفلاح في صفحاتها الأولى، كواحدة من أسرة التحرير، فقد ضمها جبرائيل تقلا صاحب الجريدة إلى هيئة التحرير بتوصية من أنطوان الجميل، لما لاحظه فيها من نبوغ وقدرة على الإبداع والخلق والوصف، وأصبح لها في الجريدة مكتب استمر حتى السنوات الأخيرة، ودأبت في العقدين الأخيرين على نشر مقال أسبوعي تحت عنوان دائم (شاهدة على عصر) وكان آخر مقال لها في الأهرام قد نشر يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م، تحت عنوان: «من مقاتل الطالبيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه».

عرفت الدكتور بنت الشاطئ بالجرأة والحزم والإخلاص سواء في مجال الكتابة أو في عملها كأستاذة جامعية في الكثير من الجامعات العربية للأدب العربي والدراسات القرآنية، فدرست في جامعة عين شمس المصرية وأستاذة زائرة للسودان ولبنان والسعودية والإمارات العربية والجزائر والمغرب الذي التحقت به سنة ١٩٧٠م كأستاذة كرسي لمادة التفسير في كلية الشريعة، جامعة القرويين في فاس، ثم في دار الحديث الحسنية بالرباط، حيث ظلت تدرس لأكثر من من عشرين سنة، أشرفت فيها على الكثير من الرسائل الجامعية، فوجهت وأرشدت ومنهجت لأصحابها، فمنهم من شق طريقه في ميدان التدريس والتأليف والبحث والدراسة، ومنهم من يحتل مناصب سامية مهمة في بلاده، فقد ارتبطت بعلاقات وطيدة بطلابها المغاربة فأهدت لهم كتاب: «رسالة الصاهل والشامخ» لأبي العلاء المعري الذي حققته منذ سنوات وكتبت تقول في إهدائها: «إلى الأجيال من العلماء المغاربة، الذين رابطوا في الموقع الفكري بالجبهة المغربية ساهرين على حماية العربية والإسلام وتأصيل علومها، والذين حفظوا لنا كنوزاً من ذخائر تراثنا، أهدي هذه الرسالة المشرقية التي صانوها من الضياع، تحية الذكرى والتقدير والوفاء»، وكانت آخر زيارة لها للمغرب في شهر نوفمبر ١٩٩٨م، حيث شاركت في ندوة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حول جامعة الصحوة الإسلامية في دورتها الخامسة بالدار البيضاء.

سواء في المشرق أو في المغرب، فقد سطع اسمها كأستاذة وباحثة متميزة بعطائها وجديتها في ميادين الأدب والفكر والثقافة والعلم، أسست مدرسة تجسمت في اسمها منهجاً وسلوكاً وعلماً زاخراً، وكوّنت برعايتها جيلاً من الباحثين والعلماء الذين ارتادوا البحوث العلمية والإسلامية وفجّرت فيهم روح الابتكار والمجاهدة العلمية، والمنهج العلمي والسلوك الذي يربط العالم والمفكر بشرف أمانة أداء الرسالة.

كما أغنت المكتبة العربية بالكثير من الكتب والبحوث والمقالات حتى جاوزت شهرتها الآفاق طوال نصف قرن من العطاء المتصل، نذكر منها: دراساتها وتحقيقاتها حول المعري الذي صحبته لأكثر من خمسين عاماً دون انقطاع، فقد أحبت فيه الصدق «لقد رفض كل شيء لتسلم له كلمته نقية، وقد اختلفت فيه مع الخولي ومع طه حسين فأنا اعتقد أنه ركل الدنيا بإرادته وهما كان يريان أنه كان محصوراً في أن يتزهد. لقد كان عدواً للزيف والاتجار بالدين وناقماً على الساسة فناصبوه العداء وقولوه ما لم يقله»(٣)، ثم التفسير البياني للقرآن، الإعجاز البياني للقرآن، القرآن والتفسير العصري، الإسرائيليات في الغزو الفكري، القرآن وقضايا الإنسان، تراثنا بين ماض وحاضر، قراءة في وثائق البهائية، قيم جديدة للأدب العربي، أرض المعجزات، مع المصطفى في عصر المبعث، مسائل ابن الأزرق، السيدة زينب بطلة كربلاء، موسوعتها المتميزة عن «سيدات بيت النبوة» التي تضم تراجم بالغة الدّقة والإحاطة والاستيعاب للسيدة آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ولزوجات النبي ولبنات النبي، ولحفيدة النبي السيدة سكينة بنت الحسين، سيرة ذاتية لحياتها سمتها (على الجسر)، وغيرها من الأعمال الإبداعية والنقدية والتحقيق والتراجم الأدبية.

كما شاركت في الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في مصر وخارجها، شُهد لها فيها بالتفوق والبراعة والأستاذية بما أسهمت به من أفكار وآراء سديدة ومعلومات غزيرة وإرشادات وجيهة، كما كانت عضواً في مجمع البحوث الإسلامية الذي ضم كبار علماء الأزهر الشريف، وقد أثار ترشيحها لعضوية المجمع سنة ١٩٨٨م، ردود فعل قوية لأصوات أزهرية تعترض على فتح مثل هذا الباب للنساء! ولكن بنت الشاطئ كانت فريدة عصرها في العلم والنبوغ بين الرجال والنساء على السواء، علامة متألقة بين مفكري هذا القرن من المفكرين المسلمين والعرب، إضافة إلى عضويتها في مجلس الثقافة الأعلى المصري.

نالت الدكتورة بنت الشاطئ الكثير من الجوائز والأوسمة نذكر منها: جائزة الدولة المصرية الأولى للدراسات الاجتماعية سنة ١٩٣٩م، جائزة الدولة التقديرية في مصر ١٩٧٨م، جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، جائزة المجمع اللغوي للقصة القصيرة، شهادة تقدير من المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة، وسام الكفاءة الفكرية من الملك الحسن الثاني العام ١٩٦٧م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في مصر العام ١٩٧٣م، وجائزة الملك فيصل العالمية للآداب ١٩٩٤م، وكان موضوع الجائزة: «الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم».

مواقف حاسمة حول قضايا فكرية مهمة

عندما فازت بجائزة الملك فيصل العالمية لخصت مجالها المعرفي فيما يلي:

إن الجمع بين مجالي الدراسات العربية والدراسات القرآنية والإسلامية هو رسالتي ومجال تخصصي من حيث إنه لا يصح في مدرستنا الإسلامية رسوخ في علوم الإسلام دون العلم بالعربية، كما لا يصح رسوخ في العربية دون فقه في الإسلام، إن الدراسات اللغوية والنحوية شغفناها صناعة وقواعد وبها يسهل الكشف عن أسرار القرآن البيانية من حيث هو كتاب العربية الأكبر، مع كونه كتاب الإسلام المعجز، فهو بالفعل معجزة عربية وإسلامية(٤) لقد تميزت بين أقرانها بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإسلام وعلوم العربية، حيث قررت البيان القرآني أصلاً للدرس البلاغي، والدلالات القرآنية أصلاً للدرس اللغوي، والشواهد القرآنية أصلاً للدرس النحوي، ومنهج علماء الحديث أصلاً للمنهج النقلي وتحقيق النصوص وتوثيقها.

وترى أن اللغة العربية تدين بحيويتها وبقائها وسعة انتشارها إلى نزول كتاب الإسلام بها، فانتشرت معه حينما أظل لواءه تلك الأقطار التي اعتنقت الإسلام ديناً واستبدلت بلغة كتابه لغتها القديمة، ومع اتساع الدولة الإسلامية واختلاط الألسن والثقافات وفشو العجمة، نشطت حركة الجمع لتراث الفصحى، في القرن الثاني الهجري، قصداً إلى حماية لسان الأمة ولغة كتاب دينها، ومن هذا التراث

الأصيل صنفت معاجم اللغة لخدمة ألفاظ القرآن، ووضع علم النحو واللغة لتوجيه إعرابه، وصُنفت كتب البلاغة لمعرفة أسراره في التعبير والبيان كما ألّفت علوم الإسلام باللغة العربية، وبقدر ما للقرآن الكريم من نفوذ على الضمير الشعبي، كان له الدور القيادي في وحدة هذه الأمة العربية من أقصى الشرق الآسيوي إلى أقصى المغرب الأفريقي، يلتقي أبناؤها فكراً ووجداناً ولساناً، عبر الحواجز الفاصلة والأسوار العازلة.

آمنت الدكتور بنت الشاطئ بحرية المرأة المسلمة، وذلك طبقاً لما جاء في كتاب الإسلام الذي حررها - كامرأة - من عقدة الذنب التي ظلت تلاحقها منذ بدء الخليقة، بأنها بدأت حياتها بالغواية وكانت ذريعة الشيطان لإغواء آدم وإخراجه من الجنة، وقد ظلت هذه اللعنة تطاردها جيلاً بعد جيل حتى نزل القرآن الذي حررها من هذه العقدة، وبرأها من لعنة إغواء آدم، ولم يقل قط: إن زوجه كانت ذريعة الشيطان إليه، كما أنه ليس في كتاب الإسلام أن المرأة مخلوقة من ضلع آدم، وإنما الذي فيه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وترجّح حكاية الضلع هذه إلى الإسرائيليات التي روّجها من أسلموا من اليهود في عصر المبعث، وقد دخلت كتب التفسير وظن كثير أن لها ما يؤيدها من حديث رووه، وأوصى فيه الرسول صلى الله عليه وسلام بالترفق في معاملة النساء، وشبههن بضلع، إن أنت حاولت تقويمه بالشدة كسرته، وقد تأولوا الحديث على معناه الحرفي، وما أراه إلا من البيان المجازي، إن المرأة في الإسلام مخلوق كامل، خلقت والرجل من نفس واحدة، وحقها في الحياة يتقرر بحكم إنسانيتها وليس منحة من غير خالقها، ولا هو متوقف على كونها تلد أو لا تلد، تنجب ذكوراً أو لا تنجب، إن كتاب الإسلام قد حرر المرأة من تلك العقدة الموروثة، وقرر مسؤولية المرأة عن سلوكها وفصيلتها، وشرفها بتبعة التكليف شرعاً، فهي مكلفة كالرجل سواء بسواء، تحتمل تبعة عملها خيراً وشراً وتلقى جزاءه ثواباً أو عقاباً.

كما كانت دراساتها المتميزة للقرآن الكريم من المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين، ونالت إعجاب القراء في كل مكان لأنها تقوم على التمييز بين الفهم والتفسير، بحيث ترى أنه من حق كل إنسان أن يلتمس من القرآن ما يلبي حاجته إلى المعرفة، ويقدم له عطاء الدين في ختام رسالاته، ولهذا عكف على فهمه المستشرقون من المسيحيين واليهود والملاحدة، وقدموا الكثير من الترجمات لما فهموه من معانيه، فأعطوا قومهم ضوءا كاشفاً لأصل العقيدة الإسلامية، ومناط الوحدة الجامعة لأمتها في فكرها الديني وعقليتها المشتركة ومزاجها العام.

وعلى مدى أربعة عشر قرناً، كان المسلمون يفهمون من كتاب دينهم ما يلبي حاجات وجودهم ومطالب حياتهم، ومنه أخذوا نور بصائرهم ودليل مسعاهم ومنار مسراهم حيثما اعتكر الليل وأدلهم الظلام، فهم القرآن إذاً مباح لأبناء عصرنا وكل عصر، وعطاؤه غير محظور يأخذ منه من شاء ما يشاء، دون حجر أو مصادرة.

ولكن الأمر يختلف في نظرها تماماً، إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره، فيتصور بعضهم أن إباحة فهمه لكل الناس، متعلمين وأميين، مؤمنين وملحدين، تعني إباحة تفسيره للناس دون قيد أو شرط، لأن التفسير توجيه للنص القرآني، ولا أحد يملك أن يوجه نصاً أي نص، دون دراية بأسرار لغته وفقه لسياقه ودلالاته وهذا من المسلمات البدهية في النصوص بعامة، يفهمها من شاء كما يشاء، لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على ذوي الفقه بها والاختصاص، وهؤلاء أنفسهم يتفاوتون بقدر دراستهم بأسرار النص والأمر أدق من هذا، في القرآن الكريم، من حيث لا تصح قراءته ابتداء لمن يتصدى لتلاوته أو تفسيره، من المصحف مباشرة، دون التلقين من شيوخ القراءة، لأن القراءة في المصحف، غير متروكة للاجتهاد كما يتصور عامة المثقفين، وإنما هي علم دقيق صعب له قواعده في الضبط والأداء، والمعنى يختل تماماً، لا بخطأ في الضبط الإعرابي فحسب، بل بالوقوف حيث ينبغي الوصل، وبالوصل حيث ينبغي الوقف، ومن هنا كان الخطر التقليدي على طلاب حفظ القرآن: «أن يأخذوه من مصحفين»، بمعنى النهي عن أخذ القرآن ممن قرأه في المصحف، ولم يتلقه تلقيناً بالسماع من فقهاء القراءة فيغيب عنه وجه الصواب في التلاوة والأداء.

لم تكن الدكتورة بنت الشاطئ بعيدة عن متابعة الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فكانت حاضرة في الساحة الأدبية منذ خمسين سنة، وهي تحتكم في كل ما تعرض له من أمور الفكر الإسلامي إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتعرضه عليها كل ما يقدم إلى العصر من بضاعة هذا الفكر، لكيلا يلتبس الأمر فيتشابه ما هو أصيل بما هو دخيل على الفكر الإسلامي من مقولات مدسوسة وشوائب طارئة وبدع محدثة، ولكيلا نخلط بين جوهره الحر، وما يسود المجتمعات الإسلامية من عقليات وأنماط للتفكير تحمل علم الإسلام أو يظن أنها موصولة به راجعة إليه.

وترى أن كلمة الوحي الأولى لخاتم المرسلين عليهم السلام: (اقرأ) وأن معجزة نبوته كتاب يستهل بآية الإنسان والعلم، لافتاً إلى قيمة العلم في تحقيق هذه الإنسانية المختصة بالعلم الكسبي المفردة دون سائر الكائنات بإدراك سر الحرف والكلمة والقلم والمنطق والبيان.

كانت رحمها الله تنتمي إلى مدرسة الأصالة العربية العريقة والتي تنطلق من التجديد الأدبي القائم على هضم القديم والتعمق فيه واستيعاب مضامينه، وهي المدرسة التي تجمع بين الدراسات الأدبية المعمّقة القائمة على الأسس الأكاديمية الراسخة وبين الدراسات الإسلامية المستوعبة لخصائص الفكر الإسلامي الأصيل، خصوصاً في مجال التفسير البياني للقرآن الكريم الذي تبوأت في ميدانه مكانة مرموقة بين كتّاب العصر وعلمائه، قال عنها الأستاذ عبدالكريم غلاب: «ثقافتها الإسلامية اتسعت علماً ودراسة وتحليلاً، أسهمت في كثير من مجالات الحضارة الإسلامية وعلومها، وتابعت تاريخ الإسلام، وجهود المرأة المسلمة... منبع ذلك الرسالة التي حملتها في الدفاع عن المرأة المصرية والمسلمة في بداية حياتها الثقافية، ثم تطور الدفاع عن المرأة إلى دفاع علمي، أرادت أن تثبت الذات، فكان لها ما أرادت، أي عالمة عاملة كانت هذه السيدة العصامية».(٥) ■

الهوامش:

١ - انظر حواراً معها أجرته صحيفة «الشرق الأوسط» عدد٨ يوليو ١٩٩٤م، ص ٢٢.

٢ - المرجع نفسه.

٣ - المرجع نفسه.

٤ - انظر صحيفة الشرق الأوسط، عدد ١٤ فبراير ١٩٩٤م، ص١٧.

٥ - انظر صحيفة «العلم» المغربية عدد٩، ١٩٩٨م، ص١٢ «عائشة العصامية» عبدالكريم غلاب.

بقلم : وائل مصطفى فايز محمود

نحو مفهوم إسلامي للشخصية

لعل موضوع الشخصية من أهم المواضيع التي عنى بها الفلاسفة والمفكرون منذ القدم، حيث الاهتمام بماهيتها، وكيفية إخراجها وتشكيلها، وهذا ما نستشفه من قراءة تاريخ الأوائل، سواء الذين عاشوا في العصور الهيلينية (١) المتقدمة، أو الذين عاشوا في العصور الهيلنستية (٢) المتأخرة، أو ما بعدها من عصور الرومان أو غيرهم. فقد ظهر في تلك الحقبة الزمنية من يهتم بموضوع الشخصية أمثال افلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٨ق. م)، وارسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م)، وابيقور (ت٢٧٠ ق. م)، وغيرهم. ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا والبشرية تهتم بمسألة الشخصية، وما يتعلق بها من كيفيات ووضعيات، وأحوال وأشكال. والمسلمون كغيرهم ممن اهتموا بذلك الأمر. وأشهر من اهتم بدراسة موضوع الشخصية الفيلسوف والعالم أبو نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، حيث ذكر في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) عن الإنسان كعنصر اجتماعي، ودوره في الحياة الاجتماعية، بل وصف لنا أهم سمات الشخصية التي ينبغي توافرها لدى زعيم الجماعة (القائد). ثم جاء دور الطبيب المسلم والفيلسوف العلاّمة ابن سينا (ت٤٢٨هـ)، حيث أوضح لنا كيفية ادراك العقل للكليات، ومراتب العقل والإدراك، وتحدث عن الانفعالات الموجودة لدى الإنسان، وبين اختلافها عند الحيوان. ثم جاء دور حجة الإسلام الإمام أبو حامد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، فادلى بدلوه، وكان حقا المصور الفعلي لعلم النفس عند المسلمين، وكان يطلق عليه اسم «علم المعاملة». ثم جاء دور العلامة ابن خلدون (ت٨٠٣هـ)، حيث كان أول من تحدث عن صلة سمات الشخصية باحتمالات النجاح أو الفشل في مهنة معيّنة من المهن، وهذا ما يقوم عليه اليوم فرع كامل من فروع علم النفس الحديث، والمعروف بـ «علم النفس الصناعي Indstrial psycholoqy. ولكن كون الغرب هو المهيمن والمسيطر منذ أن نهضت أوروبا من سباتها العميق، نراه وقد عرض نفسه على المسرح العالمي على أنه الرائد في جميع مجالات الحياة المختلفة في الفكر والسياسة، والعلم والاقتصاد، والنفس والاجتماع. بل فرض ما يراه مناسبا من أفكار وثقافات ديكارتية، وميكافيلية، وداروينية، وجمسية، وفرويدية، ودركايمية، على غيره من شعوب العالم. فأصبح هنالك التابع والمتبوع، فالمتبوع هو الغرب، والتابع سواده الأعظم من أبناء المسلمين. وهكذا ضاعت جهود المسلمين الأوائل، وانتكس المسلمون، وتراجعوا عن دورهم الحضاري وأصابهم الإحباط واليأس والقنوط، وأصبحوا يحيون حياة تقهقر ونكوص، بل فوضى واضطراب، وأصبحنا في ذيل الأمم!

عمد الإسلام إلى إخراج الشخصية الإسلامية التي تصلح بحق لقيادة البشرية نحو المعالي

وعلى الرغم من أن ظاهر التقهقر والنكوص ظاهرة عالمية، تعاني منها البشرية جمعاء، حتى الذين قدموا أنفسهم على أنهم البديل الحضاري للمسلمين. فما جناه الغرب في الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرهما في كوريا وفيتنام ليس إلا دليل على حال الفوضى والاضطراب التي خلفها الفكر الغربي وتصوراته عن الكون والإنسان والحياة. ويكفيه فشلاً أنه منذ ثورته الحضارية وهو عاجز عن تقديم نموذج إنساني يستحق بحق وحقيقة أن يكون قدوة وأسوة، ومرجعية يرجع لها، ويستند إليها، في تكوين وتشكيل الشخصية الإنسانية المثالية، التي يرضى عنها الله وترضى عنه.

كما أنه وعلى الرغم من جهود علماء النفس المبذولة، وبالذات ما يسمى بـ «علماء نفس الشخصية Personality Psycholoqist»، لإخراج شخصية سوية متزنة في بلاد الغرب لا تعرف الانحراف والشذوذ، إلا أن القوم ما زالوا بعيدين عن تحقيق ذلك الهدف. وإن كان من سبب وراء ذلك، ففي نظرنا أنه يعود إلى كون أولئك العلماء يجهلون أو يتجاهلون حقيقة الطبيعة البشرية أو ما يسمى «بفقه الفطرة الإنسانية». ولكي نرفع العتب عن أنفسنا كان لزاما علينا أن نسهم في تبيان المفهوم الإسلامي للشخصية من خلال النظر في كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ.

وقبل أن نبدأ لابد من توضيح مفهوم الشخصية، وأهم

عناصرها من وجهة النظر السيكولوجية الغربية. خصوصاً أن مفهوم الشخصية مصطلح متداول بين عامة الناس، فكثيراً ما نسمع أن فلانا ذو شخصية قوية جذّابة، وفلانا ذو شخصية ضعيفة مهزوزة، وفلانا لا شخصية له، وما إلى ذلك من تعبيرات ومفاهيم عامة لا تستند إلى وجهة نظر علمية موضوعية أو فكرية منطقية.

ومن أهم العلماء الذين تناولوا مفهوم الشخصية بالتعريف، العالم الأميركي جون بي واطسن - مؤسس الاتجاه السلوكي في علم النفس Behavioural Approach - الذي يعرّف الشخصية أنها: «مجموعة الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الإمكان، وذلك لكي تعطي معلومات موثوق بها»(٣).

ويرى البورت Allport: «أنها عبارة عن تنظيم دينامي (متحرك) داخلي للعناصر النفسية التي تحدد خصائص السلوك والتفكير لدى الفرد» (٤). والبورت كما نعرفه من أكبر المنظّرين الذين عرفهم القرن العشرون في علم نفس الشخصية.

ويرى وودورث Woodworth: «أنها سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية وتعبيراته واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل، وفلسفته في الحياة» (٥).

ويعرف روكسي رود الشخصية: «على أنها ذلك التوازن بين السمات التي يتقبلها المجتمع والسمات التي يرفضها ولا يتقبلها من الفرد صاحب الشخصية» (٦).

أما وارن وكارمايكل فيريا: «أنها التنظيم العقلي المتكامل للإنسان خلال مرحلة معينة من مراحل نموه وتطوره، كما أنها تتضمن جميع الجوانب النفسية من معرفية ومزاجية وأخلاقية، بالإضافة إلى مهاراته، واتجاهاته التي كونها خلال حياته» (٧).

وهكذا نجد تعاريف كثيرة ومختلفة لمفهوم الشخصية، قد تتجاوز في عددها المئة، بل الألف، فمنها ما يؤكد المظاهر والقشور الخارجية للفرد، ومنها ما يؤكد التكوينات والعناصر الداخلية له، أو كلاهما. والجدير بالذكر، أن معظم أولئك العلماء والباحثين ينطلقون في تعريفاتهم من منطلقات مبنية على الأطر التي جاء بها فلاسفة الغرب ومفكروهم، ووجهة نظرهم إلى الكون والإنسان والحياة، وبخاصة أفكار الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) الذي يفصل بين النفس والبدن، ويؤمن بأن العلاقة القائمة بينهما، هي علاقة تفاعل آلي ميكانيكي. (٨) وأفكار شارلز دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) صاحب النظرية البيلوجية التي تنادي بحيوانية الإنسان، وبأن أصله قرد متطور.(٩) وأفكار العالم الروسي إيفان بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦م) الذي يؤمن بأن سلوك الإنسان عبارة عن انعكاسات صادرة عن الجهاز العصبي المركزي (الدماغ والحبل الشوكي)، وأن السلوك عبارة عن ردود فعل منعكسة (شرطية وغير شرطية).(١٠) وأفكار الطبيب النمساوي جموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) الذي يقسم النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام منفصلة عن بعضها بعضاً، ولكنها متفاعلة على أساس صراعي. ويؤمن بأن دفعة الليبيدو (الطاقة الجنسية والغضبية) هي المحرك الحيوي الأولي للسلوك الإنساني (١١).

هذا هو مفهوم الشخصية القائم على وجهة النظر الغربية، ويبقى أن نشير إلى مفهوم الشخصية من منطلق التصور الإسلامي الذي يقوم على فكرة «ازدواج الطبيعة التكوينية للإنسان».

الروح هي السر وراء تميز الإنسان وتفرده عن الحيوان فبها منح الإنسان الوعي والإدراك والحرية والإرادة في الاختيار

فكما هو معلوم في كتاب الله أن الإنسان مخلوق من مادة وروح. وهذا ما أخبرنا به خالق الإنسان (الذي خلق فسوى) (١٢) يقول تعالى في محكم التنزيل: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (١٣). ويقول في موطن آخر: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (١٤). هكذا أخبرنا القرآن الكريم عن خلق آدم - أبو البشر - على أنه مادة وروح، مادة من طين الأرض وترابها، وروح من أمر الله. وكما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «إن خلق أبو البشر» وأصلهم كان هكذا، فإن الله - سبحانه - أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض، ثم خمرها حتى صارت طينا، ثم صوره، ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره، فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً. (١٥) ثم شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل نسل بني آدم من سلالة من طين، قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) (١٦)، وأن يجعله نطفة في قرار مكين، (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (١٧)، وأن يكلف ملكاً من ملائكته لينفخ فيه الروح. وقد جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح...» (١٨). إذاً قبل كل شيء، الإنسن بطبيعته التكوينية مخلوق من مادة الأرض، مضاف إليها نفخة من روح الله.

وتعتبر تلك الطبيعة الإطار المحدد لمختلف سلوكيات الإنسان، سواء المتعلقة بحاجاته ودوافعه البيولوجية المنبثقة عن غريزتي البقاء والنوع، أو المتعلقة بحاجاته ودوافعه الروحية المنبثقة عن غريزة التدين، ومعرفة الله سبحانه وتعالى. ولولا تلك النفخة العلوية (الروح) لما تميّز الإنسان وتفرّد عن الحيوان، حيث إن الإنسان

والحيوان يشتركان في غريزتي البقاء والنوع، وما ينبثق عنهما من حاجات عضوية ودوافع فطرية ضرورية لاستمرار الحياة واستمرار النوع. والفارق بينهما يعود إلى مسألة الروح.

فالروح بلا شك، هي السر وراء تميز الإنسان وتفرده عن الحيوان، فبها منح الإنسان الوعي، والإدراك والحرية، والإرادة في الاختيار. ولولا إغفال علماء الغرب لهذا الجانب المهم في حياة الإنسان لكانوا أقرب إلى معرفة الطبيعة البشرية، وما ينبثق عنها من دوافع وميول، وما تحتاج إليه من ضوابط. وقد تنبه إلى هذا الخطأ الطبيب عالم النفس المصري الأستاذ محمد عثمان نجاتي، وإلى ما قد يؤول إليه. وعبّر عن ذلك قائلاً: «إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية، قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى إلى عدم اهتدائهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية». (١٩)

إذاً الشخصية: هي تلك الظاهرة السيكولوجية المنبثقة عن طبيعة الكيان الإنساني، المزدوج الطبيعة التكوينية (المادة والروح)، والمتمثلة بمختلف الانماط السلوكية الصادرة عن حاجات ودوافع وغرائز الإنسان (العضوية وغير العضوية)، وكيفية الاستجابة إليها كيفا وكما ونوعا.

فهذا التعريف، كما نعتقد لا يستثني حركة ولا سكنة صادرة عن النفس البشرية إلا ويتضمنها. فهو شامل لجميع سلوكيات الإنسان دون استثناء، ويكفي أنه يستند في مرجعيته إلى الطبيعة التكوينية للإنسان، تلك الطبيعة المكونة من طين الأرض المتمثل في حقيقة الجسد: وفي عضلاته ووشائجه وأعضائه وأحشائه... ونفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحي للإنسان. وتتمثل في الوعي والادراك والإرادة، وتتمثل في كل القيم والمعنويات التي يمارسها الإنسان. (٢٠)

معظم العلماء والباحثين ينطلقون في تعريفهم للشخصية من منطلقات مبنية على الأطر التي جاء بها فلاسفة الغرب ومفكروهم ووجهة نظرهم إلى الكون والإنسان والحياة

وانطلاقاً من فهم الفطرة البشرية ومكنوناتها، عمد الإسلام إلى إخراج الشخصية الإسلامية التي تصلح بحق لقيادة البشرية نحو المعالي، فكان أول ما بدأه رسول الله ﷺ - معلّم البشرية ورأس كمالها - العمل على تحرير العقل البشري من الانقياد إلى الهوى، والتقليد الأعمى، والضلالات والانحرافات، والخرافات، واتباع الظنون، وما لا يغني عن الحق شيئا. والإسلام بهذا كما يقول العلاّمة محمد عبده: «أطلق العقل من كل ما كان قيّده، وخلّصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته، يقضي فيها بحكمه، وحكمته مع الخضوع في ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته. وبهذا.. تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما، وهما: استقلال الإرادة، واستقلال الرأي والفكر، وبهما تمت له إنسانيته، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله بحكم الفطرة التي فطر عليها». (٢١)

«ثم العمل على تغذية ذلك العقل من نبع العقيدة الإسلامية، وما جاءت به من مبادئ وأفكار وتصورات يقوم عليها اعتقاد الإنسان النظري، وسلوكه العملي. ثم كان التوجه في إشباع الحاجات والدوافع والميول والرغبات، حسب مقتضى الشريعة الغراء، وما جاءت به من أحكام وتشريعات وتعاليم تنظم للإنسان مجرى حياته، ونمط سلوكياته. وتحدد له طبيعة علاقاته الأربع: علاقته مع ربه، ومع نفسه، والناس من حوله، والأشياء التي تحيط به، والتي يشبع بها جوعاته ويحقق عن طريقها رغباته». (٢٢) ■

الهوامش والمراجع:

١ - Christopher Cook. Pears Cyclopaedia, ed. 97, by Richard Clay Ltd. Bunqay, 1988, 89.

٢ - المرجع السابق.

٣ - طلعت منصور وآخرين: أسس علم النفس العام. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨.

٤ - Carver,C.S. & Scheier,M.F. Perspective on Personality. Routledqe, 1988.

٥ - مختار حمزة: مبادئ علم النفس. جدة: دار المجتمع العلمي، ١٩٧٩.

٦ - أحمد فائق، ومحمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٧ - المرجع السابق.

٨ - محمد محمود محمد: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام. جدة: دار الشروق، ١٩٩٦.

٩ - عائشة ليمو: نظرية التطور في الإسلام. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٤.

١٠ - عبد الرحمن عدس، ومحي الدين توق: المدخل إلى علم النفس. ط٢، جون وايلي وأولاده، ١٩٨٦.

١١ - مصطفى فهمي: علم النفس الاكلينيكي. الفجالة: مكتبة مصر، ١٩٦٧.

١٢ - سورة الأعلى/ ٢.

١٣ - سورة ص/ ٧١، ٧٢.

١٤ - سورة الحجر/ ٢٨، ٢٩.

١٥ - ابن قيم الجوزية: الروح. تحقيق السيد الجميلي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦.

١٦ - سورة المؤمنون/ ١٢.

١٧ - سورة المؤمنون/ ١٣.

١٨ - رواه البخاري ومسلم.

١٩ - محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس. ط٦، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧.

٢٠ - محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م. «طبعة غير مشار إلى ناشرها».

٢١ - محمد عبده: رسالة التوحيد. ط١٦، القاهرة: دار المنار، ١٣٧٣هـ.

٢٢ - محمد شوكان: الإنسان والمبادئ الثلاثة. ط١، لاهور: المكتبة العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

أعدت الرسالة : ماجدة محمد أمين السمالوطي

إعداد : محمد عباس محمد عرابي

رسالة دكتوراة

التربية وقضية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي

تعد قضية التغيير الاجتماعي من القضايا التي أثارت اهتمام المفكرين منذ الماضي البعيد، كما أنها موضع اهتمام كثير من العلماء والباحثين، وهناك الكثير من النظريات التي تحاول تفسير التغير الاجتماعي، والتي تعكس الفلسفة التي يدين بها المجتمع، وتأخذ في توجهاته وتربيته، فمن الفلسفات ما أنكرت التغير، ونادت بالثبات والاستقرار كالمثالية وجاءت التربية فيها تطبيقاً لفكرة الثبات والاستقرار وتبريراً لها، ومنها ما أثارت الثبات والاستقرار، وأقرت التغير من «البراغاماتية»، فكانت التربية مجال التطبيق العملي والممارسة الفعلية لهذه الفلسفات.

أما الإسلام، فإنه ينظر إلى التغير الاجتماعي نظرة مخالفة لنظرة تلك الفلسفات السابقة، فهو لا ينكر التغير، ومن ناحية أخرى يقر الثبات، فتجيء التربية في الإسلام جامعة بين الثبات والتغير.

وقد نجم عن التغير الاجتماعي الذي أصاب الأمة الإسلامية الآن أزمة عميقة الجذور، فهي تجتاز مرحلة صعبة للتخلص من الإحساس بالعجز وفقدان التوازن إزاء مواجهة تراكمات عدة، تكاثفت عبر الأجيال من تخلف حضاري وفقدان الهوية، وأزمات اقتصادية واجتماعية.

وعلى الرغم من إجماع اتجاهات الفكر العربي الحديث على ضرورة التغيير للخروج بالأمة من هذه الأزمة، إلا أنه مازال موقف كثير من المجتمعات الإسلامية تجاه التغيير يتميز بالحيرة والتخبط، وقد يرجع ذلك إلى افتقار تلك المجتمعات إلى نموذجها الخاص ما جعلها تلجأ إلى استعارة نماذج الآخرين «كالليبرالية والبراغماتية..» ما أدى إلى الكثير من التناقض والمسخ، وبالتالي ابتعدت عن التغيير الحقيقي المطلوب.

وللإسلام موقف متميز في التغيير الاجتماعي، حدث في عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجح بشكل لم يحدث له مثيل، ما دفع الباحثة إلى محاولة التعرف على قضية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي، ووظيفة التربية في تغيير كل من الفرد والمجتمع.

تساؤلات الدراسة وإجراءاتها:

حاولت الباحثة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١ ـ ما مفهوم التغير الاجتماعي؟ وما العوامل المسببة له؟ وما أهم النظريات المفسرة له؟

٢ ـ ما طبيعة قضية التغير الاجتماعي في بعض الفلسفات الغربية؟ وما انعكاس نظرة كل منها لهذه القضية على التربية؟

٣ ـ ما طبيعة التغير الاجتماعي من منظور إسلامي؟ وما أهم خصائصه وضوابطه؟

٤ ـ ما دور التربية في عملية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي؟

جاءت الدراسة في خمسة فصول، تناول الفصل الأول منها موضوع الدراسة وأهميته، أهداف الدراسة، تساؤلاتها، مصطلحاتها، منهجها، حدودها صعوباتها، الدراسات السابقة وتنظيم فصول الدراسة.

أما الفصول الأربعة الأخرى فتجيب على التساؤلات التي طرحتها الدراسة كالتالي:

- الفصل الثاني: ويجيب على التساؤل الأول من تساؤلات الدراسة، فيتناول مفهوم التغيير الاجتماعي، والعوامل المسببة له، وأهم النظريات المفسرة له، ثم إشكالية التغيير تربوياً.

- الفصل الثالث : ويجيب على التساؤل الثاني، فيتناول قضية التغيير الاجتماعي في بعض الفلسفات الغربية والمثالية، الماركسية، البراغماتية، وانعكاس نظرة كل منها لهذه القضية على التربية (هدفاً ومنهجاً).

- الفصل الرابع: ويجيب على التساؤل الثالث من تساؤلات الدراسة، فيعرض لمفهوم التغيير الاجتماعي وطبيعته من منظور إسلامي وأهم خصائصه وضوابطه.

- الفصل الخامس : ويجيب على التساؤل الرابع والأخير فيتناول جانبين هما: وظيفة التربية في تغيير الفرد وذلك من خلال الأهداف والمناهج والمعلمين ودورهم في تغيير الفرد، ووظيفة التربية في تغيير المجتمع.

- ثم ختمت الباحثة دراستها ببعض التوصيات والبحوث المقترحة.

نتائج الدراسة:

توصلت الباحثة من خلال دراستها إلى نتائج عدة أهمها ما يلي:

١ - الإسلام هو المصدر الأول في التخطيط لتربية الإنسان وإعداده للتعامل مع متغيرات العصر المختلفة.

٢ - رؤية الإسلام لقضية التغير رؤية شاملة متكاملة تتناسب مع تطورات العصر وأحداث الحياة.

٣ - التغير الاجتماعي من منظور إسلامي ليس مطلقاً، بل يتم داخل إطار ثابت ويدور حول محور ثابت هو القيمة الإسلامية الثابتة.

٤ - الإنسان صانع التغيير ومحوره، وهو في الوقت نفسه هدف عملية التغيير.

٥ - الحاجة إلى بناء نظرية اجتماعية من منظور إسلامي تفسر التغير وتوجه التغيير الهادف تحدثه.

٦ - إبراز العلاقة العضوية القائمة بين التغيير الاجتماعي والتربية، حيث بيَّنت الدراسة أنه لا يمكن إغفال الدور التربوي في مواجهة التغير أو إحداث التغير باعتبار التربية التجسيد الحي الواعي والمعادل الموضوعي لأي تغير أو تغيير.

٧ - إبراز دور التربية في تغيير ما بالنفس باعتباره الدافع الحقيقي لإحداث أي نهوض أو تقدم في المجتمع.

٨ - رفض الصيغ الثنائية ذات الطابع المتناقض «أصالة - معاصرة» «ثبات - تغير» وتأكيد أهمية الرؤية الموحدة التي تزيل هذا التناقض.

التوصيات:

في ضوء ما اشتملت عليه فصول الدراسة، توصي الباحثة بما يلي:

١ - تربية الفرد وتنشئته على القيم الثابتة الراسخة المستمدة من جوهر العقيدة وغاية الخلق والوجود وذلك من خلال العملية التعليمية في أبعادها المختلفة ومراحلها المتتالية.

٢ - إعداد الفرد وتنمية قدراته على مواجهة التغير ومعايشته باعتباره ضرورة وحقيقة وذلك بتوعيته بأبعاد التغير ومجالاته وعوامله ومظاهره كهدف أساس للسياسة التعليمية.

٣ - ضرورة تحقيق التكامل بين المؤسسات التربوية المختلفة الوسيطة والمباشرة بهدف توعيتها وتعريفها بدورها في مواجهة التغير واحتوائه في ضوء القيم الأساسية الثابتة.

٤ - الأخذ بفقه الأوليات في مواجهة التغير وضرورة مراعاة ذلك في التخطيط للعملية التعليمية.

٥ - ضرورة صيانة الأهداف والمناهج الدراسية وإعداد المعلم في ضوء الحضور الواعي لطبيعة التحديات العصرية وما يقتضيه من انتقاء واحتواء واستيعاب وتوجيه.

٦ - ضرورة معايشة المدرسة كمؤسسة اجتماعية لهذا الواقع المتغير والعمل على إسقاط الحواجز الوهمية التي تعزل المدرسة عن نبض الحياة في الخارج بحيث تصير المدرسة تكسب المهارات الجديدة وتبني الاتجاهات الموائمة لمنطق التغير والتجديد.

٧ - ضرورة إعداد المعلم ثقافياً بما يمكنه من التفاعل الهادف مع التغير وعدم الاكتفاء بالإعداد المهني والأكاديمي.

٨ - ضرورة الأخذ بأسلوب التعليم المستمر لاستمرار الخبرات وتجدد المواقف الحياتية.

٩ - ضرورة الاستعانة بآليات العصر وتقنياته والانتقال بالطالب من دور المحاكاة والنقل إلى دور المشاركة والإبداع.

١٠ - تنمية التفكير العلمي السليم، والتمييز بينه وبين أنماط التفكير الخاطئة بما يضبط التغير ويوجهنه نحو الغاية المنشودة.

١١ - ضرورة التعامل الواعي مع التراث بالتبسيط والانتقاء والتطهير والإفادة منه في فهم الواقع والتخطيط للمستقبل. ■

بقلم : آمال عبدالرحمن محمد

التوكل والإيمان شفاء للنفس البشرية

التوكل على الله تعالى من أهم أسباب الشفاء النفسي في الإنسان المؤمن، فالمتوكل على الله يحمل الله تعالى كل متاعبه وهمومه، وبذلك تُزاح عن نفسه متاعبها وهمومها.

وصدق الله إذ يقول: (وتوكل على الحي الذي لا يموت) الفرقان:٥٨، قال الإمام الخواص: «ما ينبغي لعبد يقرأ هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى لأن أي أحد غير الله يموت، فإذا مات صار المتوكّل عليه ضائعاً، أما الله عز وجل فهو الحي الذي لا يموت، فلا يضيع المتوكّل عليه مطلقاً».

وليس التوكل على الله هو ترك العمل أو ترك السعي إلى الرزق، فهذا ليس توكلاً بل ينبغي أن يعمل ويكد ويأخذ بالأسباب ثم يترك باقي الأمور لله عز وجل، فالتوكل على الله علم وحال وعمل، العلم هو أصل التوكل، والعمل به ثمرة العلم، والحال ثمرة العمل، من هذا ندرك أن التوكل على الله ليس حالاً سلبية، ولكنه حال إيجابية.

فأصل التوكل الإيمان بالله تعالى، لذلك لابد أن يسبق الإيمان التوكل، وتوكل بلا إيمان ليس توكلاً أبداً. فالإيمان أساس التوكل كما جاء في قوله تعالى: (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) الملك:٢٩، وقال في آية أخرى: (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يونس:٨٤، فالتوكل الحق هو التوكل المؤسس على الإيمان العميق بالله عزّ وجلّ كما يؤكده الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً» أخرجه الشيخان.

وكما قال رسول الله ﷺ أيضاً: «من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله» رواه مسلم، وهو أقوى الناس حقاً لأنه يعلم يقيناً أن وكيله هو الله تعالى ومنه يستمد القوة والعون، وقد يصاب الإنسان في الدنيا ويُبتلى ويسبب ذلك له اضطرابات نفسية كثيرة، إلا أن الإنسان المتوكل على الله في منأى عن ذلك ولا يقع في أي اضطرابات نفسية أبداً لأنه يعلم أن الله تعالى معه ومن كان الله معه فمن عليه؟

والتوكل على الله ثلاث درجات... توكل، وتسليم، وتفويض، كما في قوله تعالى: «وتوكل على الله وكفا بالله وكيلا» الاحزاب ٤٨ . والتسليم كما في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمّوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء:٦٥.

والتفويض كما في قوله تعالى: (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) غافر:٤٤، ولو نظر الإنسان إلى مشكلات الحياة الدنيا وصعوباتها نظرة مجردة من الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه لبدت غير محتملة ولأثّرت في نفسه تأثيراً سلبياً، ولكن الإيمان بالله والتوكل عليه يرى الإنسان الدنيا على حقيقتها، فإذا هي مشكلات فارغة وصعوبات وقتية وهينة لا تستحق الخوف والعناء النفسي، وبذلك ندرك أن التوكل على الله ضرورة من ضرورات الحياة الدنيا، فهو سند للمؤمن وحصن ضد متاعب الحياة، كما أن الإيمان من دعائم التمتع بالصحة النفسية، حيث يرى علماء الصحة النفسية أنه نظراً لزيادة حالات القلق والاكتئاب في أنحاء العالم ظهرت الحاجة المتزايدة للعودة إلى دور الإيمان والقيم الروحية في مجال الصحة النفسية وقاية وعلاجاً، فالإيمان الروحي يخلق في الإنسان إحساساً بالرضى والسعادة وينبع هذا الإحساس من الالتزام بالقيم الخلقية.

وقد أكدت الإحصاءات أن الاكتئاب يؤدي إلى الانتحار في المجتمعات التي ينقصها الإيمان، أما من يتمسكون بالإيمان الذي يحرّم الانتحار فإنهم محصنون ضد هذا الجرم وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء:٢٩، فالتمسك بالدين يكون له تأثير قوي وفاعلية أكثر من تحسين الصحة والوقاية من الأمراض المتعلقة بالسلوك، وهذا يتطلب نظرة أوسع للصحة في مظاهرها المادية والاجتماعية والنفسية إلى جانب مظهرها الروحي.

تقوية الإيمان: وعن الوقاية بالإيمان بالله الخالق أشار علماء الصحة النفسية إلى أن الأنبياء أوضحوا أن الإجراءات الوقائية هي أوامر من عند الله الذي خلق الإنسان وتعلّم ما ينفعه وما يضره وأن هذا الإيمان الذي كان له تأثير قوي في الماضي لابد من إحيائه وتقويته ولا سيما أننا قد أدركنا الأخطار الكبيرة التي يتعرض لها البشر نتيجة لضعف الإيمان الذي عليه مسؤولية تحديد وتقوية أخلاقية الإنسان كالصبر والشجاعة والحب وتكون هذه الأخلاقيات العناصر الروحية التي تقوي الحال النفسية، وقد أعطت التجارب العملية نتائج عن تأثير الصبر والإيمان على الأجهزة العصبية التي

تفرز مواد كيماوية نتيجة للصبر تساعد على الاستقرار والتحمل وتزيد من ثبات الإنسان وتقوي شعوره بالرضى والطمأنينة، ما يؤكد أن العامل الروحي يحتوي على قوة كبيرة شافية للأمراض النفسية في تلك الصحراء القاحلة التي تسمى الحياة الحديثة، لذا يجب كشف القوى الفاعلة للإيمان في مجال الصحة النفسية وإماطة اللثام عن طاقتها إدراكاً من أن الإيمان يقوى ويتشكل بالمكونات المتضمنة لسمات وملامح شخصية المؤمن. الأخلاقيات الإسلامية: تعطي أخلاقيات الإسلام اهتماماً كبيراً لإعلاء المثل والمبادى وتحرّم ارتكاب المعاصي والانحرافات الجنسية حماية لصحة المسلم وأملاً في استقلال الأسرة وأفرادها لئلا يصابوا بالقلق والاكتئاب والأمراض النفسية، وذلك بالوسطية في كل أمور الحياة اليومية إضافة للحرص على العبادات التي تحول دون الانحرافات.

فالملاحظ أن الانتحار نادر الحدوث في المجتمع الإسلامي، فالعقيدة تحصّن النفس ضد الاعتداء عليها، ومن صفات المعالج النفسي أنه لابد من أن يتصف بالتقوى والورع والصبر ليعطي للمريض المثل والقدوة الحسنة والأمل لمرضاه بأن الشفاء من عند الله، ولكن بشرط الإيمان بأن الرحمه من الله الذي يقول: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الحجر:٥٦.

وينصح خبراء الصحة النفسية بضرورة الاهتمام بالتربية الدينية قبل سن السابعة كعملية وقائية مهمة في حياة الناس فكلما نضجت طاقة أولادنا النضوج الديني مبكراً تحصّن النشء من الضعف والهوى، وكبر على الإيمان والسلوك القويم الذي يهذب سلوكه ويبعده عن الاندفاع والكراهية والغش والعنف الذي يؤدي فيما بعد إلى عدم الاتزان فيطغى الهوى على الميزان وتهتز الشخصية وتتعرض للأمراض النفسية.

إن الفكر الإسلامي قد وضع الأسس في إنقاذ النفس البشرية من الأفكار المقلقة والأمراض النفسية، فالقرآن الكريم يهتم بالطب النفسي، ففي مئات من الآيات يوجه الناس فيها سواء كانوا أصحاء أو مرضى إلى الطمأنينة والسكينة فيبشر الإنسان باليسر بعد العسر وغفران الذنوب بعد القنوط، ومما لا شك فيه أن عماد الطب النفسي هو زوال الاضطرابات النفسية والانهيارات العصبية التي يكون مصدرها القلق أو الإحباط أو الاكتئاب ما يؤثر سلباً على كل تصرفات الإنسان، بل تدفع أحياناً إلى الانتحار وهو ما انتشر عند الغربيين لضعف إيمانهم، لهذا يبين القرآن الكريم أن الطمأنينة والسكينة من معالم الظفر والنصر، ذلك لاقتناع المؤمن بوجود الله حيث تطبع نفس المؤمن بالرضا بالواقع في أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولابد من التركيز على أن ذلك لا يعني أن يهمل المسلم العلاج بترك نفسه للأقدار، بل لابد من العلاج الذي جعله الله سبباً للشفاء إضافة للسكينة والطمأنينة لما لهما من أثر فعّال في مقاومة الأمراض فضلاً عن انشراح أسارير النفس ونشاط خلايا الجسم وآثاره على الطاقة الكامنة في الإنسان التي قد تجعله يقاوم أي مرض ويؤمن بأن الله قادر على أن يشفيه ويتخطى به أي أزمة نفسيه قد تهدد حياته وصدق الله تعالى: (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء:٨٢.

وعن المنهج الوقائي من الإصابة بالأمراض النفسية في الإسلام أجريت البحوث والدراسات، وقد أكدت أن الاكتئاب والقلق وظهور الإحباطات وما تعانيه شعوب دول الغرب من التفكك والانحلال والجريمة يعود على أنهم حُرموا من نعمة الإيمان، فحياتهم بلا مذاق ولا معنى ولا هدف سوى الماديات فلا ينعمون باطمئنان القلب وهدوء النفس، وقد عالج الإسلام محنة عدم تحقيق التوازن بين الجانب المادي والروحي بين البشر وحدد أساليب الوقاية من الأمراض النفسية، ذلك ما تشير إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على ما يشفي القلوب من أمراض الجهل والضلال وتُذهب صدأ النفس من الهوى والدنس.

فالقرآن يستهدف تمتع النفس البشرية بحياة سوية خالية من العقد والانحرافات، فهو يدعو إلى حياة مستقيمة تحقق الطمأنينة وعدم الفزع من المستقبل مادام الإنسان يأخذ بالأسباب ويترك النتائج على الله.

خواء العقيدة: وأضافت الدراسات أن مصدر الأمراض النفسية خواء العقيدة وضعف الإيمان في القلب وخير علاج هو وقاية النفس من مشاعر القلق والتأزم، فالإيمان يكسب صاحبه المناعة ضد الأمراض النفسية، فثمرة الإيمان سكينة النفس التي بها ينشرح صدر الإنسان، وتستقيم جوارحه ويعيش حياته بلا أمراض وفي سعادة، ولا مراء أن السبيل إليها لا يكمن في الذكاء والعلم والقوة والمال، بل في إدراك المرء أن له رباً يسمعه حين يناجيه ويعطيه إذا سأله ويذهب عنه الهمّ والحزن إذا دعاه، ووقف بين يديه، ومن ثم يعيش متمتعاً بالصحة النفسية في الدنيا فضلاً عن مثوبة الله في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل:٩٧.

فالإيمان يؤصل نزعات الحب في الإنسان، فيحب للناس ما يحب لنفسه وبه تقوى إرادة الإنسان، فيمكن السيطرة على نزوات النفس والشيطان ويجعل الإيمان المؤمن بربه صابراً غير قانط ولا يتسرب اليأس إليه، وذكر أن العبادات التي يؤديها المسلم من صلاة وصوم وزكاة وحج لها دور كبير في الوقاية من الأمراض النفسية لأنها تهذب النفس البشرية وتسعى لتنمية خلق الإنسان وضميره وتحرك فيه الطاقة الروحية لأنها تغذي روحه فيهدأ ويستريح ويبعد عن القلق. ■

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ رياض الصالحين للإمام النووي.

٣ ـ محمد محمد عيسوي الفيومي: فاعلية العلاج المتمركز على العميل في تحسين حالات الأمراض السيكوسوماتية ـ رسالة دكتوراه ـ تربية بنها ـ ١٩٩٥م.

٤ ـ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث ـ الإسكندرية ـ ١٩٧٣م.

٥ ـ عبدالعزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

٦ ـ حامد زهران: الصحة النفسية، العلاج النفسي، عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

بقلم : د. خالد سعد النجار

العلمانيون المعتدلون

كان التخلف الفكري والحضاري الذي أصاب المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة أكبر عامل ساعد على وجود بيئة خصبة لنمو العلمانية، حيث غرس الاستعمار الغربي إبّان احتلاله للأمة الإسلامية البذور الأولى لهذا الفكر الغريب وما ترك ديارنا إلا بعد أن حصد من ثمارها بضعة أجيال تولت قيادة التوجيه في أغلب القطاعات بعد رحيله.

وهلل العلمانيون من أبناء أمتنا لفكرهم الوليد في ديارنا وصاحوا في الناس بأن الرخاء قام بعد أن نبذوا بزعمهم رداء التخلف والجمود، وعلت صيحة هنا بنبذ اللغة الفصحى - القرآن الكريم - وصيحة هناك، باتباع الغرب وحضارته المادية في كل خير وشر حلوه ومره، وانتشر التبرج السافر والاختلاط تحت شعار حرية المرأة، وأصبح الشغل الشاغل لكثير من قطاعات الإعلام هو عرض روايات وأغاني الحب والغرام تحت ستار الحرية الفكرية، وكسر القيود بين الرجل والمرأة، وكأن القيم الإسلامية واللغة العربية وحجاب المرأة كانوا أهم عوائق مسيرة البناء والتقدم.

إلا أن الأيام تكفلت بإثبات فشل الفكر العلماني في تحقيق الرخاء وظهر لكل ذي لب زيف الدعوة العلمانية كمنهج بديل تقوم عليه مسيرة البناء والتقدم المنشود ففي غياب القيم الإسلامية والتشريعات الربانية زادت معدلات الجريمة والإدمان وتفشت الرشوة وسوء الإدارة في قطاعات كثيرة وأسفرت الرذيلة عن وجهها كما ظهرت طائفة لا يُستهان بها من الوصوليين والانتهازيين والماديين الذين شكلوا أكبر معاول للهدم في بنيان الأمة الإسلامية وفي الوقت الذي قامت فيه من حولنا تكتلات صناعية وزراعية ونمور آسيوية واتحاد أوروبي اقتصادي ونقدي مازال المسلمون يغطون في نوم عميق ليس لهم حديث إلا عن حضارتهم القديمة ومجد الآباء وعبقريتهم عبر قرون مضت.

ولقد كان هذا الواقع المرير أكبر درس لقنته الأيام للعلمانيين من أبناء جلدتنا، وأيقن المنصفون منهم بعد طول تجربة أن بناء الأمة لا يكون إلا بترسيخ القيم الإسلامية والتعاليم الربانية في النفوس وتربية المسلمين على معاني الإيمان والتقوى التي تخلق فيهم الضمائر الحية فتأبى معصية الله والوطن حتى ولو في الخفاء وفي غياب الرقابة والقوانين ثم يأتي بعد ذلك الأخذ بالأسباب المادية والنواحي العلمية، وهكذا عادت طائفة من العلمانيين إلى رشدها وأقرت بدور الدين في التوجيه الأمثل لشؤون الحياة، إلا أن عودتهم إلى رحاب التعاليم الإسلامية لم تكن كاملة مئة في المئة، فلقد أعرضوا عن بعض النقاط في الشريعة الإسلامية، تارة لأنهم رأوا فيها عدم ملاءمتها للواقع الحالي (كتطبيق الحدود وتعدد الزوجات) وتارة لأنهم وجدوها لا تتجانس مع المناطق العقلية والقوانين المادية «كقضية الحسد» وأطلق هؤلاء العلمانيون الجدد على أنفسهم - تحت دعوى الرؤية المستنيرة للشريعة الإسلامية - لقب (العلمانيون المعتدلون)، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نناقشهم في هذه النقاط مناقشة هادئة نجلو فيها وجه الحقيقة، ونبين موقف الإسلام تجاه هذه القضايا.

نظام الحدود في الشريعة الإسلامية

نظر العلمانيون ورجال التشريع الوضعي إلى نظام الحدود في الإسلام نظرة استفظاع ظهر الإسلام فيها متعطشاً إلى إراقة الدماء ما دفعهم إلى رفض الأخذ بأحكامه في الحدود، وأخذوا بأحكام ظاهرها فيه الرحمة، ولكنها تنطوي في الواقع على شر كبير ونتائج سيئة على المجتمع وأفراده.

فالقوانين والدساتير التي من صنع البشر تنظر للفرد باعتباره عنصراً مهماً في الحياة، وتغفل أنه جزء من كل هو الجماعة، فكثيراً ما تنشط وتغالي في حرية الفرد ولا تقيد حقوقه بمصلحة المجموع، ولكن التشريع الإسلامي يلائم بين المثالية والواقعية، حيث يقرر للفرد حقوقه كاملة بشرط ألا يُضار غيره باستعمال صاحب الحق حقه فشرع المولى الحكيم العليم القصاص وأوجب تنفيذه على الحكام صيانة لدماء الناس ومحافظة على أرواح الأبرياء وأموالهم وقضاء على الفتنة في مهدها ذلك لأن أخذ الجاني بجنايته يكون زاجراً له ولغيره ورادعاً لأهل البغي والعدوان فإذا هَمَّ أحد بقتل أخيه وعلم يقيناً أن عقوبة المجتمع له هي القتل كفَّ عن إزهاق روح بريئة، فكان في ذلك حياة له وحياة لمن أراد قتله وحياة لأفراد المجتمع، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة:١٧٩.

أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة:١٧٩.

أما الغفلة عن جناية الجاني والنظر إليه بعين الرحمة والشفقة من أكبر الخطأ لأن المقتول ظلماً الذي أزهقت روحه ورمّلت زوجته ويُتم أولاده أولى بالرحمة والشفقة وقس على ذلك من سرق ماله أو هتك عرضه كما أن هذه الغفلة ستؤدي لا محالة إلى إثارة الفتن وتعريض المجتمع إلى سفك الدماء البريئة أخذاً بالثأر، فإن الغضب للدم المراق فطرة في الإنسان والإسلام، راعى ذلك فقرر شريعة القصاص حتى يستل الأحقاد من القلوب ويقضي على أسباب البغي والخصام والعدوان فرحمة المجتمع أهم بكثير من رحمة فرد لا يستحقها.

ولو نظرنا إلى نظام العقوبات في التشريعات الوضعية، لوجدنا أنه أخفق في تقليل معدلات الجريمة حيث إن السجون لم تحل المشكلة، فالسنة في السجون تحسب تسعة أشهر فقط، فضلاً عن أن المجرم يخرج بعد قضاء ثلثي المدة، إذا ثبت حسن سيره وسلوكه في أثناء قضائه فترة العقوبة، وبالتالي يصبح صافي المدة التي يستمر فيها المحكوم عليه هي النصف أو أقل، وهكذا سرعان ما يخرج للنور مرة أخرى ويرتع في المجتمع الذي لم يوقع عليه العقوبة الرادعة له والكفيلة بأن تكفه عن مجرد التفكير في ظلم الناس والبغي عليهم، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أن ٧٠ في المئة من المجرمين يعودون إلى ارتكاب جرائمهم بعد خروجهم من السجن، وفي تقرير لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٩م، عن معدلات الجريمة في البلاد التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية بالمقارنة بالبلاد الأخرى، نجد أنه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصاً، وفي فرنسا ٣٢ ألفاً، وفي كندا ٧٥ ألفاً، وفي فلندا ٦٣ ألفاً وفي ألمانيا ٤٢ ألفاً. فالإسلام بنظامه الرباني قد نجح في خلق مجتمع متوازن، في حين أن غيره من المجتمعات أضحت الجريمة فيه مشكلة لا تجد لها أي حل، وكفى أن نعلم أن في أميركا وحدها ينفق ٢٦ مليار دولار سنوياً لمكافحة الجريمة، وليت هذه المليارات عالجت المشكلة أو وجدت لها مخرجاً.

الإسلام وتعدد الزوجات

إن قضية تعدد الزوجات في الإسلام ليست عورة نسترها أو تهمة نتكتمها أو مسألة نتوارى بها خجلاً وندخل معها في قفص الاتهام نتلمس البراءة لديننا أمام أعداء الإسلام والمسلمين، فتعدد الزوجات بمثابة الدواء والعلاج لكثير من المشكلات الاجتماعية التي قد تعرض للأسرة وهو أمر مباح ويسن إذا حسنت النوايا وروعيت فيه الضوابط الشرعية وقد ينقلب حراماً إذا ما خاف الإنسان الجور وعدم العدل. فقد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً يطول برؤه أو يستعصى على العلاج ما لا يمكنها من أن تقوم بواجباتها تجاه أسرتها وزوجها الأمر الذي يدفع الزوج إلى طلاقها إن لم يجد سعة وحلاً في إباحة التعدد له.

وبعض الرجال يغلب عليهم سلطان الشهوة ولا تندفع حاجته بزوجة واحدة، فلو سد عليه باب التعدد لفتح لنفسه باب الزنى واتخاذ الخليلات بدل الحليلات، وهذا شر مستطير يُهلك المجتمعات ويُفسد الأخلاق.

وكذلك إذا كانت الزوجة عقيماً لا تلد، فغياب الأطفال في بعض الأسر سبباً يجعل محيط تلك الأسرة تسوده الكآبة وعدم البهجة وبخاصة إن كان الزوج شديد التعلق بالأطفال وله رغبة ملحة في الإنجاب، ففي رحاب التعدد كان الزواج بأخرى من أسلم الحلول لاستمرار الحياة بينهما والحفاظ على أواصر الوفاء تجاهها وفي الوقت نفسه، تحقق رغبة الزوج في إنجاب طفل يملأ عليه الحياة سعادة وسروراً، كما أنه من المشاهد أن الكثير من الإناث مستعدات للزواج وكثير من الرجال لا قدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم، فلو قصر الواحد على الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضاً، لعدم وجود أزواج فيكون ذلك سبباً لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة والانحطاط الخلقي وضياع القيم.

أما في البلاد التي خرجت من الحروب، فإن للتعدد فوائد عظيمة في استقرار المجتمع وأمنه، حيث إن الحروب تخلّف وراءها جيشاً جراراً من النساء والأرامل اللواتي يزيد عددهن بكثير عن عدد الرجال ويصبح في تلك الظروف الاقتصار على زوجة واحدة يحرم كثيراً من النساء من حياة عائلية مستقرة ولا يجدن طريقاً لهن إلا الرهينة وما أقساها، وقد تكون ستاراً لأمور شنيعة وإما يلجأن إلى ركوب الفاحشة، وما أتعسه من حل!!.

بالإضافة إلى كل هذا قد يصبح التعدد علاجاً ناجعاً لكثير من الدول التي تعاني من نقص في المواليد وقلة كثافة سكانها ما يضعف شوكتها ويطمع فيها جيرانها فكان التعدد من أهم العوامل التي تساعد على بناء قوتها البشرية وتوافر الأيدي العاملة التي تستخرج خيراتها وتدعم اقتصادها وكيانها.

ومن هنا، كان التعدد في الإسلام وكانت الاستفادة من مزاياه لحل كثير من المشكلات الاجتماعية وسد باب الفاحشة والرذيلة يقول تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) النساء:٣.

قال العلاّمة الشنقيطي - عليه رحمة الله تعالى -«وقد أباح القرآن تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطيل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من عمى الله بصيرته بظلمات الكفر وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطل منافع الرجل وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع».

ولقد فشلت النظم الغربية في إيجاد حلول منطقية للمشكلات الناتجة من غياب نظام «تعدد الزوجات» وأدى تفاقم هذه المشكلات إلى زيادة عدد البغايا على عدد المتزوجات وكثرة عدد المواليد من السفاح بنسبة تصل إلى الملايين كما عزف الرجال عن الزواج، حيث أصبحت المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسؤوليات وانحلت عرى الصلات الوثيقة بين الزوجين مما جعل الحياة الزوجية في اضطراب دائم، ووصل الأمر ببعض الرجال إلى أن يتهم زوجته بالزنى حتى يتيسر له الخلاص منها بالطلاق، أما عن الأمراض الجنسية فحدّث ولا حرج، حيث أصبحت خطراً يهدد حياة المواطن الغربي، كل هذه الأزمات جعلت المنصفين من مفكري الغرب ينادون بالعودة إلى نظام تعدد الزوجات حفاظاً على المجتمع من عوامل التردي التي تفشت

فيه، يقول الفيلسوف الإنكليزي (برناردشو) عن تعدد الزوجات في الدين الإسلامي: «إن أوروبا لو أخذت بهذا النظام لوفرت على شعوبها كثيراً من أسباب الانحلال والسقوط الخلقي والتفكك العائلي».

ويقول الفيلسوف الألماني «شوبنهاور: «إن قوانين الزواج في أوروبا قوانين فاسدة بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة، فأفقدت الرجال نصف حقوقهم وضاعفت على النساء واجباتهن»، ثم يقول: «إن المرأة في الأمم التي تجيز تعدد الزوجات لا تعدم زوجاً يتكفل شؤونها، إن المتزوجات من بناتنا عددهن قليل، أما غير المتزوجات فلا يحصى عددهن تراهن هنا وهناك بغير كفيل، ففي مدينة لندن وحدها آلاف الفتيات اللاتي فقدن شرفهن ضحية نظم الاقتصار على زوجة واحدة».

الإسلام والحسد

يقول ابن القيم: «تأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها عن الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثرون في المعين بالوصف من غير رؤية»، ويقول ابن خلدون: «ومن قبيل التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمَّن اتصف به فيؤثر فساده وهو جبلة فطرية».

ولقد ذكر الحسد في القرآن الكريم تراة باللفظ الصريح في خمسة مواضع، وتارة بالمعنى، ومثال النوع الأول قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) النساء:٥٤، وقوله تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد) الفلق:٥، ومثال النوع الثاني قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يوسف:٦٧.

قال القرطبي: «لما عزموا على الخروج خشي.. عليهم العين فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها أربعة أبواب وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لأبٍ واحد وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة)، وقوله تعالى: (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) القلم:٥١، قال ابن كثير: (ليزلقونك) لينفذوك (أبصارهم) أي يعينوك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك منهم وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة».

أما في السنة النبوية فما أكثر الأحاديث الصحيحة عن المعصوم - ﷺ - التي تثبت الحسد وتأثيره منها حديث عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلو» رواه مسلم، وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله - ﷺ - قال: «إن العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر» رواه أبو نعيم، وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي - ﷺ - رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة» رواه البخاري.

إن الذين ينكرون وقوع الحسد من الماديين الذين لا يؤمنون إلا بكل ما هو محسوس محجوجون بكل الظواهر من حولنا التي ندرك آثارها ولا نشاهدها كالروح التي تسري في أجسادنا وتهب لنا الحياة فإذا فارقت الجسد صار جثة هامدة رغم سلامة أجهزته وأعضائه، والكهرباء التي تسري في الأسلاك ويدار بها أعظم الأجهزة والآلات كلها ظواهر تؤكد عدم استحالة وجود الحسد وخطأ من ينكر حقيقته على الرغم من أن آثاره يراها الفرد من حوله في الكثير من المواقف ما لا يدع مجالاً للشك في الإيمان به.

وفي النهاية نقول للعلمانيين أصحاب «الرؤية المستنيرة للشريعة الإسلامية» لستم على شيء حتى تقيموا شرائع الإسلام كاملة، وتعضوا عليها بالنواجذ معتقدين اعتقاداً جازماً بأنها سبيل النجاة والتقدم فهذه الرؤية القائمة على الأخذ ببعض أحكام الإسلام وترك البعض الآخر - رغم عدم صحتها - ستؤدي لا محالة إلى فقد المصداقية في تعاليم الوحي وصلاحيته لقيادة البشرية مما ينعكس على الأحكام التي أخذتم بها نفسها فيذهب العمل بها سدى مع الأيام من الأجيال اللاحقة تحت الدعوى نفسها، ولقد وبَّخ الله تعالى في كتابه الكريم أمثالكم من الأمم السابقة الذين نهجوا النهج نفسه، فقال جل شأنه: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) البقرة:٨٥، كما أوضح الله تعالى حكمه في تلك الدعوات فقال جل شأنه: (يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) البقرة:٢٠٨.

يقول سيد قطب: «ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان، إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان، إما هدى وإما ضلال إما إسلام وإما جاهلية إما طريق الله وإما طريق الشيطان، وإما هدى الله وإما غواية الشيطان وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات. إنه ليس هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحداً منها أو يخلط واحداً منها بواحد كلا إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لم يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر... إن هذا في سبيل الشيطان سائر على خطوات الشيطان، ليس هنالك حل وسط ولا منهج بين بين ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك إنما هناك حق وباطل هدى وضلال إسلام وجاهلية منهج الله أو غواية الشيطان». ■

المصادر:

١ - تفسير آيات الأحكام - للصابوني.
٢ - الغرب يطالب بالتعدد - رفعت محمد طاحون.
٣ - نظرات في مسألة تعدد الزوجات - سعيد عبدالعظيم.
٤ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير.
٥ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.
٦ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.
٧ - في ظلال القرآن - سيد قطب.
٨ - الحسد - مجدي محمد الشهاوي.

بقلم: محمد السيد

المرأة المسلمة

من مؤتمر مكسيكو ٧٥ م وحتى مؤتمر بكين ٩٥ م

نظرة إلى أصل الدعوة وهذا الضجيج

هل كان أمر المرأة يحتاج إلى اجتماعات مدة زمنية طويلة في جلسات تحضيرية لمؤتمر المرأة في بكين؟

وهل كان الأمر يحتاج إلى تدبيج (١٧٧) صفحة؟ لإيجاد حلول لقضايا أكثرها وهمية، تدور في رؤوس شيطانية مهووسة، لاشغال عدد كبير من المندوبين والمندوبات، حضروا من جميع أنحاء العالم، في مهرجان استعراضي بكيني أي في بكين، يبتغي الداعون إليه والمحضرون له وعلى رأسهم غربيون متطرفون شاذون أن يخلعوا المرأة من جذورها ويلقوها في فضاء سحيق لا متناهٍ من الضياع، وهي محاولات تحب أن تطمئن الذين قاموا على ذلك المؤتمر من الذين تخفوا خلف اسم الأمم المتحدة والشعارات ذات البريق الزائف إن محاولاتهم تلك مهما بدا لهم أنهم نجحوا في تسويقها لن يكتب لها توفيق أبداً، وسيجدونها في لحظة ما ملقاة في مزابل التاريخ المزوّر لصورة الإنسان وبيد المرأة نفسها: المرأة العاقلة المؤمنة، التي تدرك مدى ما يُراد لها أن تسير فيه من دمار، إن هي نزلت على رغبة شواذ البشر، وسيمضي التاريخ في طريقه سوياً معافى من هلوسات الجنون والشذوذ والمرض، التي تحاول عبثاً الطفو فوق سطح الأحداث.

لقد هانت المنظمة الدولية على نفسها وعلى العالم، يوم وضعت قيادها بيد شواذ الغربيين، ونقول شواذ لأن هناك في الغرب كثير من العقلاء، الذين لا يرضون أن يسيروا خلف الدعوات والسياسات النشاز.

إن المتنفذين في الكثير من ديار الغرب أغراهم أنهم أصبحوا يقولون للمشتغلين في السياسة في كثير من ديار العالم (الثاني والثالث) اقعدوا فيقعدون، أو ناموا فينامون، ولذلك فهم لم يكتفوا بالرضوخ السياسي من هؤلاء الذين فقدوا وسائل الاتصال بأممهم، بل إنهم هدفوا إلى قيادة المرأة ومن ورائها أناس هذا العالم بالقيم الغربية غير النافعة، وهم إنما دعوا إلى كل المؤتمرات المختصة بالمرأة والأسرة والسكان ومنها مؤتمر بكين الذي حضّروا له أشهراً طويلة من أجل أن يعلنوا على العالم وثيقتهم الموبوءة وليجرّوه خلف دعاوى الفارغين والفارغات من الغربيين، الذين غرقوا في متاهات الشذوذ الجنسي واستعمرتهم غرائزهم الحيوانية، واستولت على كياناتهم دعوات الصهيونية المجرمة، التي تريد لهذا العالم أن يغرق إلى أذنيه في مقولات لا تحوطها قيم ولا مبادئ ولا أخلاق، على دروب فرويد ودارون ودوركايم وماركس وغيرهم، الذين صنعوا على عين خبيثة اجتثت من نار جهنمية، وألقيت في وجوه وصور مخلخلة التكوين..!

كل ذلك ليقود الصهاينة هذا الغثاء، في عتمة الرؤية وظلمة الخطوب إلى حيث يفرضون إرادتهم التي لايرد لها طلب.

إن الانطلاق من مفهوم الفردية الغربية ـ الذي نتحفظ عليه ـ إلى تفكيك كل شيء، هو الذي حدا ويحدو بالغربيين إلى إنتاج الدعوات الشاذة دائماً، وهو الذي يدفع بهم إلى تفكيك البنى الفكرية للإنسان بعامة، وجعلها تسير في خطوط متصارعة أو متوازية لا تلتقي، ومن هنا وبناء عليه اندفع الكثير من النساء الغربيات بزخم غير عادي خلف الصراع لنيل الحقوق، بانيات صراعهن على أساس من التفكيك الذي نراه في كل البنى الفكرية الغربية، فهناك عالم للمرأة مستقل، وعالم للطفل، وعالم للرجل، وعالم للمراهقات و.. و.. وكل عالم قائم على صراع مع العوالم الأخرى، بينما ائتلفت هذه الأبعاد في الإسلام بصورة إنسانية رائعة منسجمة متراحمة متلاحمة، ومن ثم انصبت في بوتقة متكاملة كوّنت الإنسان بهيئته ورؤيته وحركته الفطرية التي فطره عليها خالقه، وأراد له من خلالها الاستقامة والسداد

الدائمين اللذين يقيانه شر الوقوع في الخطل والهوس القاتلين، من مثل ما جاء في الوثيقة الأصلية لمؤتمر بكين، ومن مثل ما قرره يوستين خطيب اليونان من قبل الذي لم يكن هو ولامجتمعه على صراط الفطرة الربانية حين قال: «نحن نتخذ الزوجات فقط لينجبن لنا الأولاد الشرعيين».

ومن مثل ما قرر المجتمع الإغريقي القديم عندما اعتبر المرأة متاعاً ليس لها حقوق الإنسان ولا أهلية لها.

إن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها

وقد أكد هذا المعنى أرسطو حين قال: «إن المرأة بالنسبة للرجل كالعبد بالنسبة للسيد، وكالعامل بالنسبة للعالم، وكالبربري بالنسبة لليوناني، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة».

ليس هذا هو المؤتمر الأول الذي يتعلق بأمر المرأة، بل بدأت مثل هذه المؤتمرات منذ العام ١٩٧٥ بمؤتمر مكسيكو، ثم مؤتمر كوبنهاغن ١٩٨٠، ومؤتمر نيروبي ١٩٨٥، وغيرها حتى جاء مؤتمر بكين أيلول ١٩٩٥، وقد حُضّر له جيداً «خلال أشهر طويلة من قبل لجنة تحضيرية لم تشترك فيها مختلف الفعاليات والاتجاهات، بل سيطر عليها وقادها اتجاه واحد، لذا فإننا نستطيع أن نقول ومن خلال نظرة فاحصة موضوعية نلقيها على وثيقة المؤتمر - كنموذج عن المؤتمرات التي سبقته - أو مقرراته بعد التعديل: إن المؤتمر لا يعدو عن أن يكون مظاهرة مفتعلة، تهدف إلى جر المرأة في العالم إلى العيش في ظل القيم والمصطلحات والسلوكيات الغربية، كجزء من محاولات الغرب لاستيعاب العالم كله تحت مظلته وضمن مساره وهيمنته. وقد أُعطي المؤتمر غطاءً دولياً، كي يموه على الصورة الفعلية والهدف المراد، وغُلفت مواده السامة بسيل من الشعارات البناءة، التي لا يختلف عليها أحد من مثل المساواة، وتنمية وضع المرأة وزيادة مشاركتها والمحافظة على صحتها وبعث السلام..!!

وعندما يستطيع الغربيون جرّ المرأة إلى الانخراط في تيارهم السلوكي والفكري والحياتي، فإنهم حينئذ يعتبرون أنفسهم قد كسبوا المعركة الحاسمة مع العالم الآخر، ولا نريد أن نسمي أو نقول بالتحديد مع المسلمين، حتى لا يقال إن العصبية وفكر المؤامرة على الإسلام هما اللذان دفعا إلى هذا الاستنتاج، هذا مع قناعتنا التامة أن المراد بهذه الضجة وهذا الجرّ وبالذات المرأة المسلمة، لأنها هي التي تختزن المنظور الحضاري الإسلامي، الذي استعصى على أمراض الغرب السلوكية والخلقية والحياتية.

علينا نحن المسلمين الا نجاري الدعاة الذين يتبعون الهوى «نساءً كانوا أم رجالاً»

الوثيقة والمرأة

لا نريد من الكلام السابق أن نهوّن من شأن ما تتعرض له المرأة من عدوان وإبعاد ولكننا نريد أن نبيّن أن الإنسان بشقيه: (الرجل والمرأة) مبعد اليوم في غالب الأمكنة والبلاد، عن المشاركة في بناء كيانه وصنع مستقبله وتكوين حاضره، ليس المرأة فقط، وليس الرجل فقط، وليس الطفل فقط، وليس المراهقة فقط، حسبما يحب أصحاب المرجعيات التفكيكية أن يقسموا الإنسان ويفصلوا في أنواعه.

إن جميع هؤلاء الذين هم بالأصل وحدة واحدة هي الإنسان مبعدون مضطهدون مهضومو الحقوق، تتناوشهم سياط القمع والإبعاد والتهميش والقتل الفردي والجماعي معنوياً وجسدياً.

ففي معظم أنحاء العالم الثالث يتعرض الجميع؛ الرجل والمرأة والطفل والطفلة لعمليات القمع وتكميم الأفواه والإبعاد عن المشاركة بالقرار وصنع المصير، وفي جميع أنحاء العالم الأول والثاني يعطى الإنسان؛ (الرجل والمرأة) فرصة شكلية للمشاركة في انتخاب ممثليه واختيار حكامه إلا أن هذا الاختيار لا يصنعه من خلال إرادة حرة، بل إنه ما بين العرض والاستجابة، يقع هذا الإنسان تحت ضغوط هائلة من كم إعلامي متراكم، يوجه عقله وإرادته وبالتالي اختياره، حسبما يريدون، هذا فضلاً «عن الضغوط السياسية والاقتصادية وما تفعله مراكز القوى وما تقدمه من إغراءات وإرهاب فكري في الوقت نفسه، من خلال ما تملكه من وسائل الإنتاج وأدوات وآليات التأثير، التي لا تقاوم، والتي تخضعه بالتالي إلى التوقيع على الاختيار الذي ترتئيه هي وتجنده من أجله.

فهل تظن المرأة الغربية أنها سلكت سبيل النجاة عندما أسلمت قيادها لشياطين الأنس؟ يخططون لها معركة مع الرجل، لا تصنع في النتيجة إلا تدميراً لإنسانيتها وتدميراً لأنوثتها التي هي سر بقائها، وإلا تخبطا عشوائياً لن تخرج منه إلا تائهة خاسرة مدمرة للأسرة التي لا يمكن للمرأة أن تحتفظ بكيانها ومكانتها إلا في إحضانها.

فماذا تريد المرأة يا ترى؟

هل حقاً إنها تريد أن تكون رجلاً كاملاً في شؤون الحياة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم جسد؟ إن كان الأمر كذلك أفلا تشعر أن وجود الرجل بتركيبة جسدية وكيماوية ونفسية مختلفة عن التركيبة الجسدية والكيماوية والنفسية عند المرأة أمر عبثي إذا كان الاثنان سيقومان بالمهمة الحياتية نفسها؟ وعندها نقول: حاشا لله الخالق أن يجعل في تركيبة خلقة يخلقها عبثاً!!

كما نقول: إن العقل لا يمكن أن يقتنع بأن هاتين التركيبتين مخلوقتان عبثاً، وأن اختلافهما لا يترتب عليه دوْران متكاملان لكل من الرجل والمرأة.

إن المرأة مساوية للرجل في القيمة الإنسانية وفي الخطاب التكليفي وفي الجزاء، لكنها من خلال النظرة المنطقية العقلية والنظرة الفطرية الربانية غير متماثلة مع الرجل في الدور الموكل إلى كل منهما، بل إن دور كل واحد منهما الملائم

لطبيعة تركيبه - مع أصل المساواة الذي بيناه - مكمل لدور الآخر وعاضد له ومؤيد ولو كان الأمر على غير هذه الصورة لما كانت هناك حاجة لوجود أحدهما ولكان وجود واحد منهما كافٍ لقيام الحياة واستمرارها، وهذا ليس قراره بيد البشر المخلوقين، بل بيد بارئ البشر وموجدهم جل شأنه، فهو العليم بما يصلح حالهم، وبما يصلح للحياة؛ قيامها واستمرارها..

وهل حقاً إنها تريد حقوقاً وكرامة إنسانية بلا دين ولا خلق ولا روح..؟

وإذن كيف ستحصل المرأة التي هذا شأنها على ذلك..؟

إن وثيقة بكين عندما تنص في بند (٨) على تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية المتأصلة وسائر المقاصد والمبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغير ذلك من الصكوك الدولية. إن هذه الوثيقة التي تذكر كل الصكوك والمواثيق وتنسى أو تتناسى ذكر ما جاء في الإسلام من تنظيم رفيع لحقوق المرأة ورفع شأنها ومساواتها بالرجل مساواة تقيم الحياة بتكامل رائع، يفرز للمرأة دورها المهم جداً، وللرجل دوره الذي ينسجم مع طبيعته وتكوينه الذي فطره عليه الخالق البارئ المصور جل شأنه وعلت حكمته.

هذه الوثيقة وبهذا التغافل عن الدين لا يمكن أن تحقق للمرأة شيئاً مهما نُصَّ فيها، لأن مجافاة الأديان التي تحكم أكثر أهل الأرض يجعلها معزولة منبوذة من مئات ملايين النساء اللاتي يعز عليهن دينهن وتعز عليهن المبادئ والقيم.

إن الذي يقرأ البنود الصادرة عن مؤتمر بكين «وهي كما قلنا نموذج عن كل بنود المؤتمرات التي سبقته» لا يمكنه إلا أن يفهم أن هناك قضية واحدة ألحّ عليها المؤتمرون هي قضية تساوي المرأة مع الرجل تساوي تماثل ووضع القدم على القدم بل تساوي تزاحم وعراك.. فلم يترك بند من البنود كلمة المساواة هذه إلا وألحّ عليها بما يفهم أن المرأة يجب أن تكون متقاسمة بالتساوي مع الرجل كل مكان، تزحمه في البيت، وتنافسه في المدرسة، وفي المصنع، وفي الدائرة، وفي الأرض، وفي السماء، وإنها إذن قضية صراع جديد أنيجس - كما قلنا - عن تلك المرجعية الغربية في تفكيك البنى الأساسية لكل شيء وجعل كل جزء يصارع الآخر بما لا يعود إلا بالدمار والهلاك على العالم أجمع.

وحسناً فعل مندوبو الدول العربية والإسلامية، عندما تحفظوا على الوثيقة والمقررات، بأن جعلوها غير ملزمة، وأنهم سينفذون منها ما يتلاءم مع سيادة الدول وقوانينها ودينها وقيمها الأخلاقية ودساتيرها..

وإن الذي يقرأ البنود المذكورة مرة أخرى متمعناً في كلماتها وسطورها وما بينها، يجد أن كلمة المرأة في تلك البنود لا تعني أغلب نساء العالم في شيء، فهي تتكلم عن امرأة موجودة في خيال من دبّجوا الوثيقة في الأصل؛ امرأة

في العالم الثالث يتعرض الرجل والمرأة والطفل لعمليات القمع وتكميم الأفواه

المرأة مساوية للرجل في القيمة الإنسانية وفي الخطاب التكليفي وفي الجزاء

عاملة لا بيت لها ولا أسرة ولا مسؤولية ولا أولاد ولا واجبات ولا أخلاق ولا قيم.. كل ما يهما أن تدفع الرجل بكتفها، لا أن تتعاون معه تعاون تكامل بالأدوار. ولنستمع إلى بعض البنود:

بند (٨) - «تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية».

بند (٩) - «ضمان الإعمال الكامل لحقوق الإنسان للمرأة والطفلة» وأين حقوق الإنسان للرجل والطفل..؟

بند (١٣) - «إن تمكين المرأة ومشاركتها الكاملة على قدم المساواة في جميع جوانب حياة المجتمع بما في ذلك المشاركة في عملية صنع القرار وبلوغ مواقع السلطة أمور أساسية لتحقيق المساواة والتنمية والسلم».

المرأة الغربية أخذت هذه الفرص منذ عشرات السنين، فهل حققت شيئاً ذا بال في هذا الاتجاه؟ أم أن الخبثاء الذين يخططون لسيادة مثل هذه المفاهيم يعلمون علم اليقين أن المرأة بطبيعتها وتكوينها لا تهفو نفسها إلى مثل هذه الأمور ويريدون من وراء نشرها الوصول إلى حال من الفلتان الأخلاقي والجنسي! والقيمي؟ وهو عين ما حققوه في الغرب، إذ إن المرأة رغم حصولها على كل الحقوق وفتح الفرص أمامها لم تصل إلى ما رُغبت به ورفع شعار لإغرائها، وعلى العكس من ذلك، فقد امتلأت شوارع وبيوت الغرب بالرذيلة والشذوذ والأمراض الفتاكة وتفكك الأسرة، حتى وصل الأمر بشواذ البشرية إلى أن ينشئوا جمعيات وهيئات لهم أصبحت تؤثر على انتخاب الرئيس في الولايات المتحدة الأميركية!!

بند (١٥) - «إن المساواة في الحقوق والفرص والوصول إلى الموارد وتقاسم الرجل والمرأة المسئوليات عن الأسرة بالتساوي والشراكة المنسجمة بينهما أمور حاسمة لرفاهيتهما»..

بند (١٧) - «إن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء بالتحكم بجميع الأمور المتعلقة بصحتهن وبخاصة تلك المتصلة بخصوبتهن وتأكيد هذا الحق مجدداً أمر أساسي لتمكين المرأة».

بند (١٨) - «إن السلم المحلي والوطني والإقليمي والعالمي يمكن تحقيقه ويرتبط ارتباطاً لا انفصام له بالنهوض بالمرأة التي تمثل قوة أساسية في مجالات القيادة وحل النزاعات وتعزيز السلم الدائم...».

وعندما تحقق للمرأة الغربية هذا النهوض في أوروبا وأميركا حققت كل هذا الرفاه والسلم للمجتمعات هناك!!. حققت لهم في أميركا سلماً اجتماعياً يقتل فيه كل عام بأيدي الأميركيين وبالسلاح الأميركي خمسون ألف إنسان ويعتدى فيه كل دقيقة على أعراض النساء بالاغتصاب وترزح أكثر من ٥٠٪ من النساء في أميركا (حسب إحصاءات أميركية رسمية) تحت عبء تهديد الأزواج والأقارب بالضرب والإيذاء الشديد

حتى القتل. وتصرف الولايات المتحدة (حسب إحصاءات رسمية) ما يعادل (١٣) مليار دولار سنوياً لإعالة الأولاد الذين لا آباء لهم إذ تبلغ نسبة الولادات عن غير طريق الزواج في بعض أحياء نيويورك مثلاً إلى ما يعادل ٨٠٪ من الولادات عامة.

وفي هذا ما فيه من تشوه هؤلاء الأطفال بلا تربية ولا عاطفة ولا رعاية سليمة.

وهذا ما يفسّر كثرة الجرائم هناك وزيادة عدد المجرمين.

فأين هو هذا السلام المزعوم الذي يمكن أن يبنى على مبادئ وأفكار تحرر المرأة وخروجها عن كل قانون سماوي أو بشري صالح..؟!

أصوات وأصوات

هل النساء مع شولاميت فايرستون اليهودية التي هاجمت منذ السبعينات الأمومة واعتبرتها مصدر النظام الطبقي الذي يجعل الرجل رجلاً والمرأة امرأة ومصدراً لقهر المرأة؟

هل هن مع هذا الصوت اليهودي الفاحش الذي أوصل الحال في آخر المآل إلى المناداة بتحييد الجنس، ذلك المفهوم الذي تفوح رائحته من كثير من بنود وثيقة مؤتمر بكين؟

وهل هن مع هذا الصوت الذي جمع أصواتاً كثيرة في العقدين الأخيرين من هذا القرن، تنادي بالتخلص من الأسرة والأمومة معاً لكي تستطيع المرأة أن تنهض وتقوم لها كيان سوي مساوٍ على حد زعم دعاة هذا الاتجاه من الرجال والنساء..؟

وهل هن مع ذلك الصوت الذي وجد له صدى بين الشاذين والشاذات، الذين يخالفون اليوم وعلى الملأ طبيعة الأشياء وفطرة المخلوقات جميعاً بغرائزهم النتنة وميولهم المنحدرة الغارقة في الانحراف، إذ تؤدي تلك الغرائز والميول بأشكال وآليات ووسائل يستحيل على أي لسان سوي أن يذكر شيئاً عنها حفاظاً على الذوق العام؟ ولقد وجدت تلك الأصوات لها مسلكاً سلكته إلى وثيقة بكين على استحياء اليوم، وكان مغلفاً بألفاظ وتدبيجات تفوح منها رائحة الغفن!!

هل النساء مع كل ما ذكرنا من انحراف..؟

أم أنهن مع الأصوات العاقلة الرزينة الحريصة على مصير الإنسان وسموه وكرامته من أن ينحدر إلى مستوى لا يرضاه حتى الحيوان لنفسه..؟ إننا نعتقد أنهن مع الأصوات العاقلة في الغرب وغيره فهذه «ديل أوليري» الأميركية التي عنونت كل هذا الخبال الذي كتبته اليهودية شولاميت تحت عنوان «تدمير المرأة» وهذه «هيلين أندلين خبيرة الأسرة الأميركية تقول: «إن فكرة المساواة (التماثل) بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية وأنها الحقت أضراراً جسيمة بالمرأة والأسرة والمجتمع».

الرجال والنساء متساوون أمام الله في الكسب والمسؤولية تماماً

هل تظن المرأة الغربية أنها سلكت سبيل النجاة عندما أسلمت قيادها لشياطين الأنس

وهؤلاء هن نساء فرنسا تستفتيهن مجلة «ماري كير» فتدلي «٥ ,٢» مليون امرأة من مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية فيكون جواب ٩٠٪ من النساء بنعم على سؤال يقول: هل تفضلن ترك العمل ولزوم البيت.. والأسباب التي أوردنها كما عددتها المجلة هي:

١ ـ مللت المساواة مع الرجل.

٢ ـ مللت حياة التوتر الدائم ليل نهار.

٣ ـ مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو.

٤ ـ مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم.

٥ ـ مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا عند مائدة الطعام.

وهذه فرانسواز ساغان المستشرقة الفرنسية تقول: «أيتها المرأة الشرقية إن الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرجل إنهم يضحكون عليك وقد ضحكوا علينا من قبلك»!!.

هذا هو الصوت العاقل الذي يقول: إن المساواة التي تعني المماثلة ومقاتلة الرجل وجعل المرأة نداً له مرفوضة من النساء قبل الرجال وإن الدين ثم العقل والمنطق والفطرة كل أولئك يقولون إن الرجل رجل والمرأة امرأة ولو صرُخ بغير ذلك في بكين كما يقولون!!

صوت الله يعلو فوق الجميع

وهو يقول في الآية ٣٦ من سورة يس: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) فهما (الرجل والمرأة) مخلوقان زوجان متكاملان.

(ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فهي هبة من الله لا يستطيع أحد أن يغير فيها شيئاً.

وهو الذي يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وهي مساواة لابد أن يكون فيها درجة لواحد منهما فلا يمكن لأي شراكة أو شركة أن تقوم وتنجح إلا بوجود من له درجة ويقول: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) فهل نقص من حق المرأة شيء في التكليف ومساواتها بالرجل مساواة عادلة ويقول:

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما).

وإذاً فهو نداء عام للبشرية يقول إن الناس سواء (أكانوا رجالاً أم نساء) قد يفضل أحدهم

الآخر في أصل الخلقة لكن في الكسب والمكتسبات فالرجال والنساء متساوون أمام الله في المسؤولية تماماً. ويقول الله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم) رجالاً ونساءً سواء.

ويقول رسولنا الكريم ﷺ «النساء شقائق الرجال» فهما متساويان في الإنسانية والتكليف الجزاء غير متماثلين في الأدوار.

كما يقول الرسول ﷺ: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

وأي كرامة لهن بعد ذلك..؟!

ويقول تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).

وبين سبحانه (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) النساء:٣٤.

وكل هذا الذي أوردناه صوت الله يحدد للرجل وللمرأة مبادئ وأسس وقواعد لا يمكن للحياة أن تستقيم وتستمر بسلامة إلا بالعمل بها بعد الإيمان والتسليم.

فالحياة كل الحياة زوجية «الإنسان والحيوان، والنبات» فهناك ذكر وهناك أنثى، وبينهما فوارق تحدد دور كل واحد منهما في هذه الحياة، وإن هذه الزوجية عطاء رباني لا يد للمخلوق فيه، وأي محاولة عبثية للتغيير في هذا الأصل هو دمار للعلاقة وخروج بها عن خطوطها السليمة، وهذا ما حدث في الغرب يوم أن قامت فيهم دعوة مساواة المماثلة بين الذكر والأنثى؛ فلا الأنثى استطاعت أن تحصل على حقوق الذكر تماماً ولا الذكر ارتاح مع هذه الأنثى التي حاولت وتحاول تقليد الذكر ومزاحمته كتفاً بكتف في كل مكان وخيمت على حياة الغرب سمات القلق والحيرة والانفلات، وهم اليوم يحاولون تعميم هذا النموذج المدمر على جميع أهل الأرض، بصور براقة مغرية، مغلفة بعبارات العطف على المرأة المسكينة المغلوبة مهضومة الحقوق.

إنها الفطرة التي لا تصادم ولا تعاند لأن في المصادمة والعناد الهلاك والانحدار إلى الهاوية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الروم/ ٣٠.

وفي كتاب الإنسان ذلك المجهول لـ«الكيس كاريل» في الصفحة ١٠٨ قول مفصّل في ذلك يقول: «الحقيقة إن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين الفيزيولوجية غير قابلة للين شأنها في ذلك شأن العالم الكوكبي فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور فإن

الإنسان مبعد اليوم عن المشاركة في بناء كيانه وصنع مستقبله وتكوين حاضره

دورهن في تقدم الحضارة اسمى من دور الرجال فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المتحددة».

ومتى علمنا من الهدي الرباني أن الرجل رجل والمرأة امرأة وهما مجتمعان متساويان في الإنسانية ومتكاملان غير متماثلين في الأدوار الحياتية.

وإذا أخبرنا علماء التشريح والفيزيولوجيا أمثال الكسيس كاريل بعلم مطابق لذلك.

كان علينا أن نؤمن بالعلم الرباني وأن نستجيب فوراً لهديه أولاً وقبل كل شيء، ثم نتفهم العلم الإنساني القاطع، وبعد ذلك ننطلق للعمل بمقتضى الإيمان والاستجابة والتفهم، فلا تصادم الفطرة الربانية بأن تتمنى المرأة ما أعطي للرجل، أو يتمنى الرجل ما أعطيت المرأة، أو تحاول المرأة أن تأخذ دور الرجل، أو يأخذ الرجل دور المرأة، لأن في كل ذلك كما أسلفنا خلط للأمور وعكس للوضع الطبيعي، وهذا فيه ما فيه من خراب وانهيار.

وعلينا نحن المسلمين بصورة خاصة ألا نجاري هؤلاء الدعاة الذين يتبعون الهوى في كل شيء «نساءً كانوا أم رجالاً» فهم ينطلقون من فراغ، تؤزهم فيه شهواتهم وأهواؤهم من دون علم ولا هدى ولا كتاب منير.. إنه كموجات الفراش التي تأتي تباعاً لتسقط في النار، رغم أنها رأت أترابها من قبل قد سقطت لكنها ضيعت الدرس، إنهم يرون ما حل بمجتمعاتهم، إثر خروج المرأة إلى العمل خارج أسرتها، مختلطة متبرجة متبجحة مختلية بالرجال، غير مضطرة للعمل، متذرعة بدعاوى المساواة والحرية والحقوق والتنمية، وقد أضافوا إليها أخيراً السلام!! وكأن السلام سيتحقق بإهمال الأسرة وإهمال الأطفال وإهمال الزوج وإحلال الخادمات مكان الأمهات، أو دور الحضانة مكان المنازل الهادئة المنظّمة.

وبعد: فليخفت صوت الانتحاريين: فهذه نتائج دعواتهم تحل بمجتمعات الغرب؛ أسرة مهدمة، وجيل تائه ضائع وأمهات بلا أزواج، ولهاث وراء الوظيفة والعمل وزيادة الدخل. لقد ضاعت المرأة هناك أو ضُيِّعت، وهي تركض وراء سراب المساواة والحرية وحقوق المرأة - تلك الجزرات التي نصبها لها (رجال خبثاء) قاصدين جسدها - ولكنها في النتيجة لم تحقق شيئاً غير التيه والشذوذ والفراغ، لأن ما دعوها إليه مستحيل، فلا يمكن أن تتغير طبيعة الأشياء (ولن تجد لسنة الله تبديلاً).

المرأة الغربية أخذت الفرص منذ عشرات السنين فهل حققت شيئاً ذا بال ؟

فليخفت صوت الانتحاريين عندنا، الذين يلهثون خلف سراب حطم من جرّبه وخبره، فتعالى الله وجلّت قدرته وتنزه عن أن يخلق زوجين من نوع واحد (رجلاً وامرأة) ليكونا متضادين متناحرين، وهو الذي خلق الكون كله وجعله قائماً على قاعدة الانسجام التام في نظامه. وفيما بين عناصره، والتكامل الإيجابي البنّاء بين كل زوجين من أزواجه... ■

بقلم : د. حسان شمسي باشا

من أسرار عالم النحل

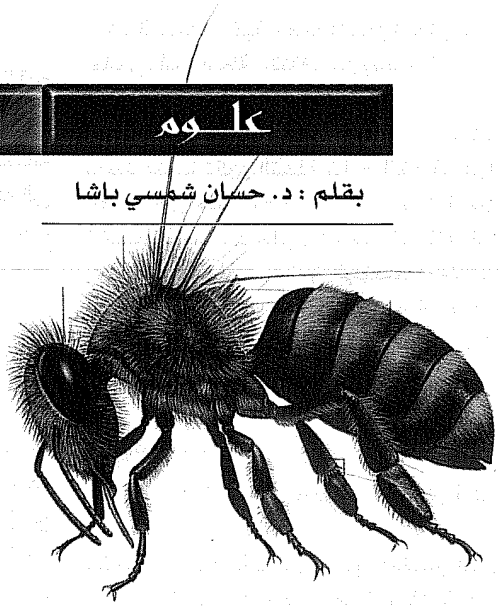

يقول العالم فترلنك في كتابه «حياة النحلة»: «لو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة، لما وسعنا إلا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل».

ويقول كريس موريسون - رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك - بعد أن يستعرض وظائف الملكة والعاملات في خلية النحل «لابد أن يكون هناك خالق أرشدها إلى كل تلك الأعمال العظيمة التي تقوم بها بإتقان بديع».

وفي حياة النحل أسرار عجيبة اكتشف الإنسان في العصر الحديث بعضاً منها، ومازال هناك الكثير من تلك الأسرار التي أودعها الله في ذلك الكائن الحي الذي أوحى إليه. قال تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل: ٦٨ - ٦٩.

ورأيت في رحلة البحث في موضوع النحل والعسل لفتات تجعل المرء يسرح في عالم آخر فيه ملكة وعاملات... وفيه نظام وانضباط... وفيه تناغم واتساق... وكلها مظاهر من عظمة الخالق المبدع الذي جعل من أمة النحل مثالاً يحتذى به في التعاون والنظام، الكل يعمل حسب سنه ودوره، المهندسات والبناءات يشيدن قرص النحل، والعاملات يقمن برحلات للكشف عن أماكن الرحيق والكيمياويات يتأكدن من نضوج العسل وحفظه، والخادمات يحافظن على نظافة الشوارع والأماكن العامة في الخلية، والحارسات على باب الخلية يراقبن من دخل إليها ومن خرج... يطردن الدخلاء أو من أراد العبث بأمن الخلية.

فمن علَّم النحل كل هذا؟ ومن أوحى لها هذه الأدوار؟ إنه رب العالمين الذي يقول: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) الأنعام: ٣٨.

هل الملكة تحكم خلية النحل؟

يقول كتاب Nature : «رغم أن الملكة هي أهم فرد في مجتمع النحل، إلا أنها لا تحكم خلية النحل على الإطلاق، غير أنها تنتج هرمونات تحدد مختلف نواحي سلوك النحل، فكيف تتحكم هرمونات الملكة بسلوك الآخرين؟

إن العاملات وهن يقمن بتنظيف جسد الملكة يحملن هذه الهرمونات ويوزعنها بسرعة على باقي أفراد الخلية من النحل، ويتم ذلك خلال تبادل الطعام فماً بفم.

أما عمل الملكة الحقيقي فهو إنتاج البويضات، فالملكة هي الأنثى الوحيدة المكتملة جنسياً، أما العاملات فلم تكتمل الأعضاء الجنسية لديهن، ولا تقوم الملكة برعاية أبنائها، ولكنها تعتمد على العاملات اللاتي يحضن صغار النحل ويطعمهن الطعام.

إذاً من يحكم خلية النحل؟ إنهن العاملات أنفسهن، فهن اللواتي يقررن متى وأين يجمعن رحيق الأزهار، وهن اللاتي يقررن متى تستبدل ملكتهن، وهن اللاتي يحددن متى يهاجرن في حشد كبير لتشكيل خلية جديدة، فلا خلاف بين العاملات ولا صراع.

هل ذكور النحل كسالى؟

كانت نظرة الإنسان إلى ذكور النحل نظرة خاطئة، فكان يظن أن هؤلاء الذكور كسالى لايحبون العمل، فوظيفة ذكر النحل في حياته كلها هو تلقيح الملكة، ولكن هل هو خامل بليد لا يحب العمل؟

تشير الأدلة العلمية الحديثة إلى غير ذلك، فليس هو بخامل عن العمل... إنما خلقه الله غير قادر على القيام بما تقوم به العاملات، إذ ليس في أرجله سلل يستطيع أن يجمع رحيق الأزهار فيها، ولسانه قصير لا يقوى على امتصاص رحيق الأزهار، فهو في الحقيقة عاجز حتى عن تغذية نفسه، بل إنه يستجدي الطعام من زميلاته العاملات!!

فالكسل ليس من طباعه، ولكنه لا يقوى على القيام بما تستطيع العاملات فعله، ولكن الله تعالى أناط به عملاً مهماً متى أدّاه مات وذهب إلى عالم الفناء.

قال رسول الله ﷺ : «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» رواه البخاري.

ولا يستطيع سوى عدد قليل من مئات الذكور إنجاز مهمتهم في الحياة، ألا وهي تلقيح الملكة، وتتسبب عملية التزاوج هذه في موت الذكر الذي يؤدي تلك المهمة، والحقيقة أنه لو لم يكن هناك ذكور لما أمكن حدوث الإخصاب، ولأدى ذلك إلى موت الخلية.

ماذا يعني موت الملكة؟

عندما تموت الملكة، تبدأ شغالات الشمع ببناء عدد من الخلاليا الملكية وهي ذات شكل مميز

شبيه بإصبع القفاز، وتقوم الشغالات بتربية يرقات ملكية عدة في آن واحد بتلقيمها الغذاء الملكي... وما أن يتم فقس أول بيضة عن ملكة، حتى تبدأ حملة قتل جماعية تستهدف جميع العذارى الملكات التي لم تنته من تطورها بعد، فالتشريعات في مملكة النحل تقضي بألا يبقى في المملكة الواحدة سوى ملكة واحدة فقط.

مشاهد من الزفاف الملكي:

وأول ما تقوم به الملكة الجديدة ضمن استعدادها لرحلة الزفاف، هو قتل منافساتها من الملكات، وإذا تصادف أن خرجت ملكتان في آن واحد، فإنه يحدث بينهما نزال ينتهي بموت إحداهن.

وبعد أسبوع من الاستعداد والتجهيز، تبدأ مراسم الزفاف الملكي، فتغادر الملكة الخلية وتحلّق فوقها من جهات عدة، كي لا تخطئ طريق الرجوع بعد الانتهاء من عملية التلقيح، ثم تقوم ببث عطرها الملكي الجذاب المثير، وترسل أنغامها الرنانة المغرية.

ويبدأ الطيران، وتلحق بها الذكور بعزيمة ونشاط، وكلما أوشك أحدهم على اللحاق بها، زادت سرعتها وارتفعت في الفضاء.

ويتساقط بعض الذكور واحداً تلو الآخر حين يعجزون عن اللحاق بها، ولا يبقى معها إلا قلة من الذكور، وهنا تنطلق بأقصى سرعة تستطيعها، وترتفع لأعلى مسافة يمكنها بلوغها، ويظفر بها أقوى الذكور بنية، وأجلدها على تحمل المشاق، ويتم تلقيحها وتنتهي مراسم الزفاف الملكي بعد ١٥ ـ ٣٥ دقيقة من بدئها.

وتعود الملكة العروس جارة خلفها تركة عريسها الفقيد، الدالة على نجاح الزفاف، إذ ينفصل عضو التذكير، ومعه جزء من أحشاء الذكر المسكين فور الانتهاء من التلقيح، وينزف ذكر النحل المسكين حتى الموت، بينما تبادر الوصيفات إلى تنظيف الملكة مما علق بها، وتعم الفرحة أرجاء المملكة، وتبدأ العاملات بتجهيز عيون شمعية جديدة استعداداً لوضع البويضات فيها، ويقدر العلماء أن الملكة تضع نحو ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف بويضة في الموسم الواحد، وتترك وراءها قرابة مليون بويضة قبل أن تخطفها يد المنون.

ما الحكمة من هذه الرحلة الخطرة التي تقوم بها الملكة؟ ولماذا يستلزم الزفاف وجود مئتي ذكر؟

الحقيقة أن أحد الذكور المئتين سيكون أباً لجميع نحل الخلية التي ستظهر خلال سنوات أربع أو خمس مقبلة، فلو كان الذكر ضعيفاً أو ذا صفات وراثية غير جيدة، لأدى ذلك لانقراض المملكة خلال شهورها الأولى.

وقد يتساءل البعض: ألا يمكن حصول التلقيح دون موت الذكر البطل؟

والواقع أن ترك عضو التذكير وبعض أحشائه دليل على حدوث التلقيح، فإن خرجت الملكة إلى رحلة الزفاف، ولم تجد الوصيفات هذه الأمارة الواضحة تيقنت من فشل المهمة، وبادرت بالتجهيز لزفاف ملكي جديد.

(صنع الله الذي أتقن كل شيء) النمل:٨٨.

ما وظائف الشغالات؟

تتباين المهام التي تنجزها النحلة الشغالة منذ ولادتها وحتى موتها، فكلما زاد عمرها وشاخت، حدث فيها تحولات فزيولوجية دقيقة تتوافق مع العمل الذي يتوجب عليها أداؤه، فبينما تكرس الشغالة النصف الثاني من حياتها لجمع الرحيق وحبوب الطلع، تعمل الشغالة في الأسابيع الثلاثة الأولى من حياتها ضمن الخلية.

فخلال اليومين الأول والثاني التاليين لخروج النحلة الكاملة، تقوم الشغالة الفتية بتنظيف خلايا الحضنة بدقة متناهية، فتخصص كلياً للقيام بأعمال النظافة.

وبحلول اليوم الثالث، تبدأ الشغالة مهمة جديدة هي تغذية الحضنة، فعندها يحدث تطور ملحوظ في الغدد المغذية التي تفرز الغذاء الملكي الذي يستعمل في تغذية جميع اليرقات الفتية واليرقات الملكية.

وعندما يحل اليوم العاشر، تتدهور غددها المغذية وتضمر في الوقت الذي تصبح فيه الغدد الشمعية على أتم الاستعداد لأداء وظيفتها. وبدءاً من اليوم الحادي عشر، تتجه الشغالات نحو مهنة جديدة، هي مهنة البناء، فتصنع الشمع وتبني الإطارات وتسد النخاريب التي تخزن العسل.

وهناك وظائف أخرى للشغالات، فمنها ما هو مختص بالحراسة تراقب فتحة الخلية وتمنع كل دخيل، ومنها من تقوم بتوفير التهوية، وتحافظ على درجة حرارة قريبة من ٣٥ درجة مئوية خلال فصل الصيف.

وعندما يحل اليوم الحادي والعشرين تكون النحلة الشغالة قد أنجزت جميع المهمات التي أوكلت إليها في الخلية، وعند ذلك تصبح على استعداد لإنجاز أعمال أخرى خارج الخلية حيث تقوم بعمليات جمع الرحيق وغبار الطلع.

عيون النحل:

وللنحل نوعان من العيون:

١ ـ العيون المركبة: وهما اثنتان تقعان على جانبي رأس النحلة، وتتألف من بضعة آلاف من الوحدات البصرية، وهي سداسية الأضلاع، وتستخدم العيون المركبة في الرؤية لمسافات بعيدة عندما تكون النحلة خارج الخلية، ولها القدرة على تمييز ذات الألوان التي تميزها عين الإنسان باستثناء اللون الأحمر، إضافة إلى كونها حساسة للأشعة فوق البنفسجية، وتضم العين المركبة في الذكر ضعف عدد الوحدات البصرية التي تؤلف عين الشغالة، ولذلك يلاحظ أن عيني الذكر ضخمتان جداً، وهذا ما يتيح للذكر إمكانات متابعة الملكة خلال رحلة طيران الزفاف الملكي.

٢ ـ العيون البسيطة: وعددها ثلاث تحتل أعلى الرأس، وتستخدمها النحلة في الرؤية القريبة والإضاءة الخافتة داخل الخلية، فليس لدى النحل نظارات كما يستخدمها الإنسان للبعيد والقريب، ولكن الله خلق فيها نوعين من العيون التي تستخدمها حسب الحاجة.

(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) لقمان:١١.

ماذا تعني النحل وهي ترقص؟

ترقص العاملات فوق خلية النحل لتخبر زميلاتها بمكان الأزهار، فالزاوية بين مركز الشكل الذي تتخذه في دوراتها فوق الخلية وبين الخط العمودي هي نفسها الزاوية التي تقع بين الشمس وبين المكان الذي توجد فيه الأزهار، وتعلم العاملات من هذه الزاوية الطريق الذي يجب أن تتجه به لتصل إلى مكان الطعام.

فإذا كان الطعام على مسافة ٣٠٠ قدم من خلية النحل أو أقل، فإن النحلة تقوم برقص دائري، أما إذا كانت المسافة أبعد من ذلك، فإنها تتخذ شكل حرف 8 ـ حرف ثمانية بالإنكليزية. فمن علّم النحل، علم النهدسة والزوايا؟ ومن منحها حسن التوجه بلا رادار؟

إنه الله رب العالمين. يقول الكاتب الفرنسي جان لوي داريفول: «إن النحل يسلك في طيرانه الطرق المعروفة نفسها، ويتجنب بعناية فائقة التحليق فوق المسطحات المائية الواسعة كالبحار والبحيرات، كما يتحاشى اجتياز الجبال».

ويقول أيضاً: «إن للنحلة الواحدة حياة محتمة ومقدرة مسبقة، تخضع لقواعد محددة تحول دون شيوع الفوضى، ولها سلوك محكوم كلياً منذ أيام حياتها الأولى تبعاً للقوانين النافذة والمعمول بها في الخلية». فسبحان الله تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة:٧. ■

بقلم: محمد بسام ملص

من قصص الرسل للناشئة

ناقة صالح: غياب المنهم

القرآن الكريم كتاب الله العزيز أنزله رحمة للعالمين، فيه خير للناس في دنياهم وآخرتهم، ومن الخير الذي يزخر به هذا الكتاب الكريم قصص القرآن، فالقصة في القرآن الكريم لها خصوصيات أراد الله عز ذكره أن ينبه عباده إلى دلالاتها، فيقول تبارك وتعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(١)، ويقول سبحانه: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)(٢)، ففي القصص التي يقصها علينا الله عز وجل عبر يتوجب أن ننتبه إليها.

إن القصص تدعو إلى التفكر والتمعن والتأمل، يتعرف المسلمون من خلالها إلى الممارسات والعواقب والمآلات ويكتشفون سنن الله في السقوط والنهوض، وبذلك يتجنبون ما أصاب غيرهم وهم على بينة من الأمر والهدى، فلا تنتقل إليهم علل الأمم السابقة وأسباب انقراضها(٣)، وفي هذا يقول تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)(٤).

وقد شاء الله سبحانه أن يجعل مسالك الأنبياء والرسل مع أقوامهم مصدر تبين واهتداء ومنهج اقتداء للموحى إليه(٥).

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين)(٦).

وفي قصص القرآن قيم معيارية في البصارة والوقاية الحضارية(٧) كفيلة بأن تدفع هذه الأمة لتتبوأ المكانة التي أراد الله سبحانه وتعالى لها، وقد كان ذلك بسبب أن الصالحين المصلحين الخيّرين قد قرأوا القرآن الكريم، وعاشوا آياته وأدركوا سنن الله في علو الأمم وزوالها، وأن أي خلل في استيعابها إنما يؤدي إلى الضياع.

قصص الأنبياء والرسل في القرآن للناشئة:

ومما يقدم للناشئة في أدبهم موضوع قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم وهو أدب يشير إلى أخطاء كثيرة تتبع أساساً من غياب الفهم الحقيقي لها وعدم التبصر بما جاءت به، فهي ليست مجرد حكايات تحكى وتسرد منقولة من بطون «المراجع» وكتب التفسير، وهي ليست حوادث مشوقة غرضها التسلية والإثارة. لأنها إن وقفت عند هذا فقدت ما وُجدت من أجله، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(٨)، وأصبحت مجرد حكايات في أدب الأطفال.

ويتوجب علينا أن نأخذ هذا الكلام مأخذ الجد والاهتمام الشديدين

لأننا في عملية البناء الحضاري إنما نبني مستقبل هذه الأمة. وأدب الأطفال يتوجب أن يرتفع إلى هذا المفهوم الواعي للفعل الحضاري، لا أن يهبط إلى مفهوم اللهو واللعب، لأن البناء يجب أن يكون راسخاً قوياً، وتنبع قوته من البنيات التي تدفع الكتّاب ليقدموا أدب الأطفال لهذا المستقبل في إطار العقيدة بجدية وإخلاص وإتقان، فإن تحول الفعل عن هذا الخط كان البنيان واهياً لا يلبث أن يتداعى ويزول، ولنا في قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم في القرآن عبرة!

ناقة صالح

وقد اخترنا من القصص المقدّمة للناشئة عن قصص الرسل كتاب «ناقة صالح» على اعتبار أنها نموذج لكثير مما يقدم في هذا الموضوع، والكتاب هو في سلسلة «من قصص القرآن عن الطير والحيوان» التي تضم ٣٠ كتاباً، وإن قراءة هذا الكتاب تسلط الضوء على كثير من الأمور.

حوادث القصة:

احتلت حوادث القصة جزءاً كبيراً من الكتاب، نذكر منها:

١ ـ طلب قوم ثمود من صالح عليه السلام أن يخرج معهم للاحتفال بعيدهم الذي يخرجون فيه إلى أصنامهم.

٢ ـ طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة بمواصفات محددة.

٣ ـ خروج الناقة من وراء صخرة عملاقة ضخمة شامخة لونها أحمر عيونها سوداء واسعة.

٤ ـ تقديم الناقة لبنها يشرب منه الناس كلهم، وأكلها العشب الأخضر، وطردها لماشية القوم وحرمانهم من الماء.

٥ ـ تآمر القوم على صالح والناقة، وإنذار الرسول عليه السلام أهله ووصفه لقاتل الناقة.

٦ ـ قتل ثمود لصغير الناقة، وطلب الرسول منهم أن يفدوه، فقد يرحمهم الله ويجيبهم من عذابه بعد أن قتلوا أمه.

٧ ـ إنذار صالح عليه السلام القوم بأن وجوههم ستصفرّ وتحمرّ وتسودّ قبل أن يأتي العذاب.

٨ ـ توجه الرسول ومن آمن معه إلى فلسطين (٩).

هذه هي جملة حوادث ذكرت في القصة وهي حوادث تعتمد على أخبار لم ترد في أي مصدر صحيح السند، لا في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة، ومصدرها مفسرون وبعض أهل التأويل قد أخذوها عن أهل الكتاب، والمطلع على كتاب الثعالبي «قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس» يقرأ كثيراً منها في باب خاص بعنوان «مجلس في قصة صالح عليه السلام» (١٠)، والكتاب دليل على مبلغ شغف الثعالبي بالخرافات والغرائب والأعاجيب (١١).

مجازفات في القصة:

وإضافة إلى إيراد تلك الأخبار التي لا سند صحيحاً لها، بدت في الكتاب أمور أخرى تستحق أن تذكر:

١ ـ رويت القصة بأكملها على لسان ناقة صالح عليه السلام، وفي هذا مجازفة، فكيف تخبر «ناقة الله» هذه الأخبار وتعلق عليها وتبدي ملحوظات؟! ثم إنها تخبر أخباراً بعد أن عقرت! وقد انتشرت رسوماتها في مختلف صفحات الكتاب!

٢ ـ ذكر أن صالحاً عليه السلام ابتعد عن الأصنام وعن قومه بعبدالله إلى أن جاءه الوحي! (١٢)، فكيف بعبدالله ولم يأته الوحي بعد؟! ومن أين لنا بأخبار عن طفولته وشبابه؟!

٣ ـ اعتبر أن الصراع في القصة بين الفقراء والأغنياء، وأن الأغنياء كانوا يخافون على أموالهم ونفوذهم من دعوة صالح عليه السلام؟! (١٣) فمن أين استقى هذا الخبر؟! إنه كلام لا يعتمد على مصدر صحيح.

٤ ـ اعتبر أن قوم ثمود قد شربوا من الناقة وأنهم أخوة لصغيرها في الرضاعة؟! (١٤) ومعنى هذا أن نكون نحن البشر شربنا من لبن البوق والخراف والماعز والأبقار إخوة في الرضاعة لصغارها؟! أهذا كلام يتوجه لأولادنا ونحن نخبرهم بأحسن القصص؟!

العبر والدروس المستفادة من القصة:

ورد في الكتاب أن ثمود قد سبوا فضل الله عليهم فأرسل عز ذكره الرسول صالحاً عليه السلام ناصحاً لهم بأن يكفوا عن عبادة الأصنام بأن يؤمنوا بالله وحده، ولكنهم تمردوا وعصوا أمر الله ورسوله، فجاءهم العذاب فكان هلاكهم (١٥) وهذا جانب من العبر، ولكن الأخبار التي احتلت مساحة كبيرة من الكتاب، قد حالت دون بيان عبر كثيرة ودروس كان يتوجب عرضها.

والملاحظ في هذا الأمر أن السور القرآنية التي أوردت قصة الرسول صالح مع قومه بكل دلالاتها ومعانيها هي:

● الأعراف ـ الآيات ٧٣ ـ ٧٩ ● هود ـ الآيات ٦٠ ـ ٦٨ ● الحجر ـ الآيات ٨٠ ـ ٨٤ ● الشعراء ـ الآيات ١٤١ ـ ١٥٩ ● النمل ـ الآيات ٤٥ ـ ٥٢ ● فصلت ـ الآيتان ١٧، ١٨ ● الذاريات ـ الآيات ٤٣ ـ ٤٥ ● النجم ـ الآيتان ٥٠، ٥١ ● القمر ـ الآيات ٢٣ ـ ٣٢ ● الحاقة ـ الآيتان ٤، ٥ ● الفجر ـ الآية ٩ ● الشمس ـ الآيات ١١ ـ ١٥.

فهي متفرقة ولم تحدد في سورة أو آيات كما هو الحال في قصة ابني آدم عليه السلام على سبيل المثال (١٦).

وقد اكتفي من تلك السور والآيات الكثيرة التي تناولت القصة ومعانيها بسورة الأعراف، وقد جاءت الآيات ٧٣ ـ ٧٩ مجزأة في موضعين من الكتاب، ولم يتم التعليق عليها، ولم يتم ذكر اسم السورة (١٧)، كما أن عدم إيراد الآيات في السور المذكورة قد أغفل ذكر دلالات القصة والعبر المستفادة منها، والملحوظات على هذا هي:

١ ـ الألوهية لله عز وجل، فلا تجوز إلا له (١٨).

٢ ـ الاستغفار، فكان يتوجب على قوم صالح أن يعملوا أعمالاً تكون سبباً ليستر الله عز وجل عليهم ذنوبهم عن طريق إيمانهم به وبما جاء به رسوله عليه السلام (١٩).

٣ ـ صيحة الحق التي أخذتهم فهلكوا، فلم تغن عنهم بيوتهم التي نحتوها، ولم تمنع عنهم سخط الله، فأصبحت بيوتهم خاوية عبرة لمن يعتبر إلى ما شاء الله، وقد اتخذوها أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها (٢٠).

٤ ـ الربط بين قصة ثمود والكفار مع الرسول ﷺ، فهي عطة لمن يعلم ما يفعل الله سبحانه وتعالى بمن يكذب محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام، فيما جاء به من عند ربه، وهي تنجية للمؤمنين الذين يتقون، وإن في إعراض القوم عن الرسول ﷺ تدبير بصاعقة مثل صاعقة ثمود (٢١).

٥ ـ ناقة الله كانت فتنة لهم وابتلاء واختباراً (٢٢).

٦ ـ استعجال قوم صالح عذاب الله الذي أنذرهم به بدل أن يطلبوا هداه ورحمته، وقد أنكر الرسول صالح عليه السلام ذلك، وكان شأنهم شأن مشركي قريش مع النبي ﷺ (٢٣).

٧ ـ التشاؤم وهو عادة الأقوام الجاهلة التي تجري وراء الخرافات والأوهام، وهذا عناد للفطرة وتطلعها إلى الإيمان (٢٤).

٨ ـ مصرع القوم المرهوب الذي يكشف قوة الله، وربط هذا العذاب بعذاب أشد وأنكى وأبقى في الآخرة (٢٥).

٩ ـ النهي عن عقاب الأشقى الذي هو البادئ من التسعة، وقد استحق القوم العذاب لأنهم لم يأخذوا على يده فحملوا التبعة، وهذا مبدأ إسلامي في التكافل والتبعية الاجتماعية في الأخذ باليد على من يحاول أن يخرج عن الحق حفاظاً على وحدة المجتمع المسلم (٢٦).

١٠ ـ كراهة السؤال عن الآيات كما حدث لقوم صالح عليه السلام وغيرهم من الأقوام حتى لا يكون في ذلك فتنة، وقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن جابر قال: «لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح فكانت تلد من هذا الفج وتروح من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها..»(٢٧).

١١ ـ كراهة الاستسقاء من مياه بيار ثمود، ويلحق بها نظائرها من الآبار أو العيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله سبحانه وتعالى على كفره(٢٨)، وكراهة دخول مساكنهم، وقد روى البخاري في صحيحه: «كان جماعة من الناس قد نزلوا أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به، فأمرهم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين(٢٩). كما روى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما: «قال لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي»(٣٠).

هذه أمور قد غابت عن الكتاب موضوع المقالة.

الإسرائيليات في كتب التفسير:

إن المطلع على كثير من قصص الأنبياء والرسل في أدب الأطفال يدهش لكثرة الإسرائيليات فيها، وقد انتقلت هذه إلى أدب الناشئة من كتب التفسير دون تمحيص لها أو تدقيق، وهي حافلة بأساطير قديمة وأخبار دخيلة على تفسير كتاب الله(٣١)، وفيها قصص حبكت في خبث ودهاء لتذاع في أوساط العامة(٣٢) يتلقونها على أنها أخبار صحيحة

ومما لا شك فيه أن هذه الإسرائيليات التي حوت من الأباطيل والخرافات ما لا حصر لها تفسد على المسلمين عقيدتهم(٣٣)، فيكفي أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يغني بترهات وأباطيل لا أصل لها، بسبب غياب وعي كثير من الكتاب لخطورتها، وجهلهم بحقيقتها، وهم على مظنة من أنها أخبار صحيحة

ويكفي أنها تكاد تصرف كثيراً من الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر بآياته والانتفاع بعبره ودروسه(٣٤)، وما كتاب «ناقة صالح» إلا مثال يجري فيه الاهتمام بأخبار لا سند لها من الصحة، وتجاهل كثير من العبر والدروس في القصة، كما بينتها الآيات وأحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بها.

فالواجب التنبيه إلى خطر الإسرائيليات المبثوثة بصورة خاصة في قصص الأنبياء والرسل الموجهة لأولاد الأمة، حتى تغدو قصصاً كما شاء الله لها أن تكون في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الصحيحة، فتنقية كتب الأولاد منها ضرورة حتى تكون تلك القصص مفاتيح خير وهداية للتعرف إلى الممارسات والعواقب ولاكتشاف سنن الله في السقوط والنهوض ■

الهوامش:

١ ـ سورة يوسف الآية ١١١.
٢ ـ سورة الأعراف الآية ١٧٦.
٣ ـ خالد محمد مصطفى عرب ـ تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ـ الدوحة ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٧م، مقدمة عمر عبيد حسنه ص ١٢.
٤ ـ سورة آل عمران الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨.
٥ ـ سالم أحمد محل ـ المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب ـ الدولة ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٧م، مقدمة عمر عبيد حسنه ص ١٥.
٦ ـ سورة الأنعام الآية ٩٠.
٧ ـ تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ص ١٦.
٨ ـ سورة يوسف الآية ١١١.
٩ ـ عبدالتواب يوسف ـ ناقة صالح ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ من قصص القرآن عن الطير والحيوان ٤.
١٠ ـ الثعلبي ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ـ بيروت ـ المكتبة الثقافية ـ ص٥٧ ـ ٦٣.
١١ ـ محمد السيد حسين الذهبي ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث ـ ط٢ ـ دمشق ـ دار الإيمان ـ ١٩٨٥م ص ١٥٣.
١٢ ـ ناقة صالح ص ٢.
١٣ ـ المرجع نفسه ص ٣، ٤، ٩.
١٤ ـ المرجع نفسه ص ١٤.
١٥ ـ المرجع نفسه ص ١٥.
١٦ ـ ذكرت قصة ابني آدم عليه السلام في سورة المائدة الآيات ٢٧ ـ ٣١.
١٧ ـ ناقة صالح ص ١٠، ١٦.
١٨ ـ الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٨٤م، م٧ ج١٢ ص٦٢.
١٩ ـ المصدر نفسه م٧ ج١٢ ص٦٢.
٢٠ ـ المصدر نفسه م٨ ج١٤، ص٥٠، وم١٣ ج٢٧، ص٦، وابن كثير تفسير القرآن العظيم ـ بيروت ـ دار الأندلس ١٩٦٦م ج٥ ص ١٩٩.
٢١ ـ جامع البيان م١٢ ج٢٤ ص ١٠٠ ـ ١٠١.
٢٢ ـ المصدر نفسه م١٢ ج٢٧ ص ١٠١.
٢٣ ـ سيد قطب في ظلال القرآن ـ ط١٥ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٨م ـ م٥ ج١٩ ص ٢٦٤٤.
٢٤ ـ المرجع نفسه م٥ ج١٩ ص٣٦٤٤ ـ ٣٦٤٥.
٢٥ ـ المرجع نفسه م٥ ج٢٤ ص٣١١٨.
٢٦ ـ المرجع نفسه م٦ ج٣٠ ص٢٩٦٩.
٢٧ ـ ابن حنبل مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ بيروت ـ دار الفكر العربي ج٣ ص٢٩٦، وإسناده حسن كما قال ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ الرياض ـ مكتبة الرياض الحديثة ج٦ ص ٨٠.
٢٨ ـ فتح الباري ج٦ ص٣٨٠.
٢٩ ـ البخاري ـ صحيح البخاري ـ القاهرة ـ مطابع الشعب ـ ١٩٥٨م ـ كتاب الأنبياء ـ باب قول الله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحاً ج٤ ص ١٨١.
٣٠ ـ المصدر نفسه ـ باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ـ باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ج٦ ص ٩.
٣١ ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٢١.
٣٢ ـ المرجع نفسه ص ٣٥.
٣٣ ـ المرجع نفسه ص ٣٩.
٣٤ ـ المرجع نفسه ص ٤٤.

الإسلام وضرورة التغيير

تأليف : د. محمد عمارة
عرض وتلخيص: محمود رمضان محمد

الاسلام دين الوسطية، يقول تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة/١٤٣. الوسطية ميزة من ميزات الأمة المحمدية تنفرد بها. ومن هذا المنطلق نجد الإسلام ينبذ الغلو في الدين يقول تعالى:(ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)النساء/١٧١. وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال : «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغوّ في الدين».

من هذه الثوابت الإسلامية يتناول الدكتور محمد عمارة ويطرح الكثير من القضايا في كتابه «الاسلام وضرورة التغيير» الصادر عن سلسلة كتاب «العربي» العدد«٢٩» في ١٥ يوليو ١٩٩٧م. ويتألف الكتاب من ثلاثة فصول تطرح رؤية عقلانية من منطلق الوسطية السمحة، وسنحاول هنا طرح مجمل ماجاء في هذا الكتاب.

الإسلام وضرورة التغيير

التغيير ضرورة من ضرورات الحياة، والكاتب يفرق بين الثورة والإصلاح فالإصلاح تغيير شامل وجذري وعميق كالثورة تماما، ولكن يتميز عنها في الأدوات، فالثورة عنف وهياج، وفي الإصلاح تدرّج. ورسالات الأنبياء والرسل: تغيير جذري وشامل للحياة فهي متضمة معنى الثورة في العمق والشمول.. لكن، لانها تبدأ بذات الإنسان ونفسه، كانت إصلاحا بريئا من العنف والهياج. ومشروعية الثورة كسبيل لتغيير نظم الجور والضعف والفساد، فإنها قضية اختلف فيها علماء الإسلام، وأجمعوا على وجوب التغيير السلمي.

وكما يقول الكاتب: سنجد في الاجتهاد ثورة على التقليد، وفي الجهاد ثورة على الاستسلام، وفي التجديد ثورة على الجمود، وفي الإبداع ثورة على المحاكاة، وفي التقدم ثورة على الرجعية، وفي العقلانية ثورة على ظاهرية وحرفية النصوصيين.

رؤية إسلامية لقضايا ساخنة

يطرح الكاتب تحت هذا العنوان، مجموعة من القضايا التي أثارت جدلاً ومازالت وهذه القضايا هي:

١- تكفير المسلم :

يركّز الكاتب على رأي الاستاذ «أبو الأعلى المودودي» الذي كفّر الدول والمجتمعات التي لاتطبق «الحاكمية الإلهية» و«الشريعة الإسلامية» والفروض الاجتماعية، ووجدنا، مع هذه الجرأة تحرجا في تكفير الأفراد بارتكاب المعاصي، كبيرة أو صغيرة.

والخلاصة كما يقول الكاتب:«ان النصوص التي كتبها المودودي يجب تفسيرها بالمنهج الذي أوصي به هو ذاته» وأيضا هناك تناقض في كلام الاستاذ المودودي بين رفضه تكفير الفرد بمعصيته في الفروع وبين تكفير المجتمع بعصيانه في ذات الفروع.. فالمجتمع هو مجموع الأفراد في طور كيفي أرقى وأكثر جدة... ومن ثم فإن معايير الكفر والايمان يجب أن تظل مقصورة على تقويم الالتزام، أو الخروج من العقائد والأصول والأركان الإسلامية، دون اقحامها في ميدان الدولة والخلافة والإمامة طالما كان الإجماع السني على أنها فروع وليست من أصول الدين.

٢- المرأة في الإسلام:

من خلال آراء المودودي ايضا، يطرح الكاتب قضية عمل المرأة وخروجها من دارها واحتكاكها بالمجتمع، وهي قضية طُرقت بكثرة، وتناولتها أقلام عده، واختلف فيها البعض.

ويؤكد الكاتب أن المودودي كان على حق في تصديه لقيم العري والتحلل والخروج عن الآداب الاسلامية والحشمة الشرقية، والتي غزتنا بها الحضارة الغربية.

ولكن وجه الاختلاف بينه وبين المودودي، ان المودودي يرى اختلافا كليا كاملا بين الرجل والمرأة، وايضا الافتراق في ميادين العمل إلا في الكوارث والنازلات.

والكاتب يرى عكس ذلك فالاختلافات الفسيولوجية بين الرجل والمرأة محدودة، أما في ميادين العمل، فالمرأة شاركت في الحرب

وخرجت مع رسول الله ﷺ الى ميادين القتال.

والمرأة في بيتها مسؤولة عنه كما الرجل مسؤول، ولها حق في ممارسة التجارة من بيع وشراء والخروج لمتابعة تجارتها.

أما عن مسألة الحجاب، فيرى المودودي ان الحجاب هو النقاب، وهو غلو واضح كما يذكر الكاتب، ويذكرنا الكاتب برأي الإمام محمد عبده الذي يقول فيه:« ان الرجل والمرأة كفآن متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل».

٣- البدعة والإبداع:

من منطلق الحديث النبوي الذي يقول: «ان أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١) فَسّر البعض أن الإسلام حرّم كل إبداع.

مع ان الإبداع هو إنشاء الجديد، واختراع غير المسبوق، وصناعة مالا مثال له سواء أكان في صناعة الفكر أم الصناعات العملية للأشياء.

وهناك فرق بين البداهة في الدين والإبداع في الفكر الانساني، وهذا مايلتبس على البعض، ويوضحه الكاتب ويطرحه، بل هناك بدعة محمودة وبدعة مذمومة فالبدعة المحمودة التي لاتخالف الشريعة، ومنها صلاة التراويح على سبيل المثال.

وكما يقول الكاتب: ان كان الإبداع واقعا تحت عموم ماندب الله اليه، ودعا اليه الرسول ﷺ فهو في حيز الممدوح، وكذلك اذا كان الإبداع فيما لايخالف أمر الله ورسوله فهو محمود، حتى وان لم ينزل به وحي ولم يرد فيه حديث.

حتى تتجاوز المفاهيم القديمة

تحت هذا العنوان يتطرق الكاتب للاجتهاد في الاسلام والعقلانية والمساواة، منطلقا من الوسطية الإسلامية.

١- الاجتهاد والعقلانية المؤمنة:

الاسلام فتح باب الاجتهاد أمام العقل باستثناء الغيب ومالم يدركه العقل، والاجتهاد فريضة إسلامية، وهو علم له قواعده وأصوله، ويذكر الكاتب ان شرعية الاجتهاد في الكتاب والسنة كثيرة، فآيات القرآن التي تحدثت عن فعل العقل والتعقل تسع وأربعون آية، وآياته التي تحدثت عن القلب، ومن وظائفه التفكير والتدبّر، تبلغ مئة واثنتين وثلاثين آية.

والأحاديث النبوية كثيرة ومتعددة

ويذكر الكاتب انه منذ الانقلاب الأموي والأمة الإسلامية أصابها الجدب في ميادين كثيرة منها إبداع العقل الاسلامي، فعلى سبيل المثال تراجعت مكانة «فقه المعاملات» ولدينا ثراء في «فقه العبادات» يقابله فقر في فقه المعاملات والفكر السياسي الأمر الذي يبرز حاجتنا الى إبراز فقه الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليتسنى لأصول شريعتنا إتمام الفروع التي تظلل وتحكم وتصيغ بالإسلام هذا الواقع الجديد.

٢- المساواة في الإسلام:

المساواة في الإسلام شاملة «سياسية واجتماعية واقتصادية» مساواة تحقق التوازن والعدل بين الفرقاء، ويوضح الكاتب ذلك فيقول:« اذا جاز لنا أن نصور المساواة العادلة بين الفرقاء المختلفين في مجتمع من المجتمعات أو بين الأمم والقوميات والحضارات وفي المجتمع الدولي فإن صورة أعضاء الجسد الواحد هي الصورة للمساواة العادلة.

فإسهام كل عضو من الأعضاء في حياة الجسد وحيويته ليس متماثلا ولامتساويا لكن علاقة كل الأعضاء بكل الجسد هي علاقة «التوازن»- وليست علاقة «المساواة» فالتوازن والارتفاق الذي يصبح فيه كل عضو فاعلا متفاعلا ومتفاعلا مع الآخرين.

رؤية إسلامية لقضايا سياسية

تحت هذا العنوان، وفي الفصل الثالث والأخير يتوقف الكاتب عند بعض الموضوعات السياسية ويطرحها لنا من منظور إسلامي، مثل:

١- الاسلام والتعددية الحزبية:

الحزب هو: كل طائفة أو جماعة جمعهم الاتجاه الى غرض واحد سياسي أوغير ذلك، ومصطلح حزب في الأصول الإسلامية قرآنا وسنّة وفي تجربة الدولة الاسلامية الأولى، مقبول أو مرفوض باعتبار المبادىء والمقاصد، فإذا كان نابعا من الشريعة فلا بأس، ويجب أن تكون التعددية الحزبية نابعة من منطلق الوحدة - الوحدة الانسانية - والوحدة الاسلامية يقول الكاتب:« اذا كان التمايز في التنظيم الحزبي، على النحو الذي نفهمه اليوم من مصطلح «الحزب» هو من ثمرات التطور في الحياة الفكرية والسياسية- وهو تطور تتمايز فيه الحضارات والعصور والمجتمعات فإن التجربة السياسية لدولة الإسلام الأولى قد شهدت من المؤسسات مايشبه التمايز التنظيمي- على نحو من الأنحاء.

ويضرب لنا الكاتب أمثلة لمثل هذه التنظيمات مثل :«هيئة المهاجرين الأولى التي ضمت القيادات القرشية التي سبقت الى الإسلام و«هيئة النقباء الإثنى عشر» التي تكونت بالاختيار من الأنصار الذين عقدوا مع رسول الله ﷺ، عقد تأسيس الدولة الاسلامية في بيعة العقبة، وأسست «أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ٣٠هـ - ٦٥٠م» جماعة نسائية لنساء المدينة للمطالبة بحقوقهن، كما جاء في ترجمة ابن الأثير.

٢- الانفتاح على الحضارات الأخرى:

هناك ماهو مشترك بين الإنسانية جمعاء، وماهو «خصوصية حضارية» على حد تعبير الكاتب فما هو مشترك إنساني عام، نفتح له الأبواب والنوافذ، بل يطلبه العقلاء، ويجدّون في السعى لتحصيله، وبين ماهو خصوصية حضارية، يدققون- بحذر- قبل استلهامه وتمثله ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز مايقبل منه ويتمثل.

ويضرب لنا أمثله فعندما التقت الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الفارسية، بعد فتح فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفضت الخلافة الإسلامية النظم السياسية والتظلم الطبقي المغلق. كذلك كان الحال عندما فتحت بلاد الشام ومصر وبلاد الشمال الأفريقي ذات الميراث البيزنطي. لقد فتحت الحضارة الاسلامية بابها لعلوم الصنعة، وأوصدته في وجه كل مايخالف الشريعة الاسلامية. تناول الكتاب موضوعات أخرى متعددة أغفلنا الإشارة اليها عن قصد، وذلك لكثرة ماطرح فيها في الفترة الأخيرة، وايضا لأن بعضها موضوعات خلافية، لانريد أن نطرحها أمام القارىء مرة أخرى، والله الموفق والمستعان. ■

بقلم : يسري محمد شاهين

فرائد اللغة العربية

في لغتنا العربية كلمات فريدة . تسمى بالفرائد... «فرائد كفرائد الآلئ... قد أهملت على الرغم من جدارتها بالاستعمال» ومن أمثله هذه الفرائد: مفردات تؤدي الواحدة منها معنى جملة . من بينها:

● **التجديد :**

أن يستتبع القوم فلا يتبعك أحد.

● **الأوشاب :**

أخلاط الناس المتفرقون، ومثلها «الأوزاع».

● **المُتَنَفِج :**

الذي يفتخر بأكثر ما عنده.

● **الوهين :**

الرجل يكون مع الأجير يحضه على العمل.

● **التَّنَصّي:**

التزوج بأشراف القوم.

● **أَبْدَأَ الصبي:**

خرجت أسنانه بعد ظهورها.

● **البدئ:**

البئر التي حفرت في الإسلام.

● **القليب :**

البئر التي لا يعرف لها رب ولا حافر.

● **البراء :**

أول ليلة من الشهر.

ومن هذه الكلمات التي يستغني الإنسان بالكلمة فيها عن جملة . أو جمل، والتي تظهر في كتابة «البرقيات للرسالة والمقالة» من نماذجها:

● **أكى :**

كرمى، استوثق من غريمه بالشهود.

● **تَأَلَّقَتِ المرْأَةُ :**

شمرت للخصومة، واستعدت للشر، ودفعت رأسها.

● **التناهُد:**

إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه.

● **التائر:**

المداوم على العمل بعد فتور.

● **جَرْدَبَ :**

وضع يده على الطعام، يكون بين يديه على الخوان، لئلا يتناوله غيره.

● **نخازر :**

ضَيّق جَفْنَهُ ليحدد النظر.

● **زَوْقَلَ :**

زوقل فلان عمامته، أرخى طرفيها من ناحيتي رأسه.

● **طَهْفَلَ :**

أكل خبز الذرة، وداوم عليه لعدم وجود غيره.

● **كَمْهَلَ :**

جمع ثيابه وحزمها للسفر.

● **المباءشة :**

أن تأخذ صاحبك فتصرعه، ولا يصنع هو شيئاً.

● **الترويق :**

أن تبيع سلعة وتشتري أجود منها.

المراجع:

١ . رشيد رضا . مجلة المنار.

٢ . أحمد تيمور. كتاب البرقيات

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 405
جمادى الأولى 1420 هـ -
أغسطس / سبتمبر 1999 م

الأسرة المسلمة

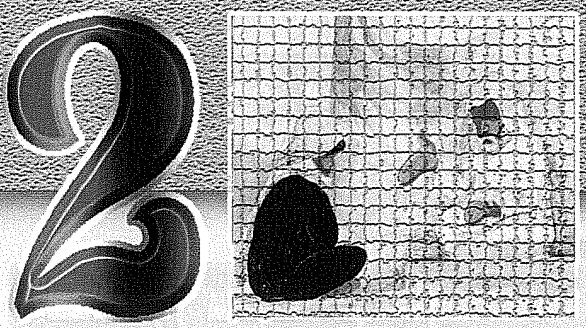

عادة مصّ الأصابع عند الأطفال

الدوافع
النتائج
العلاج

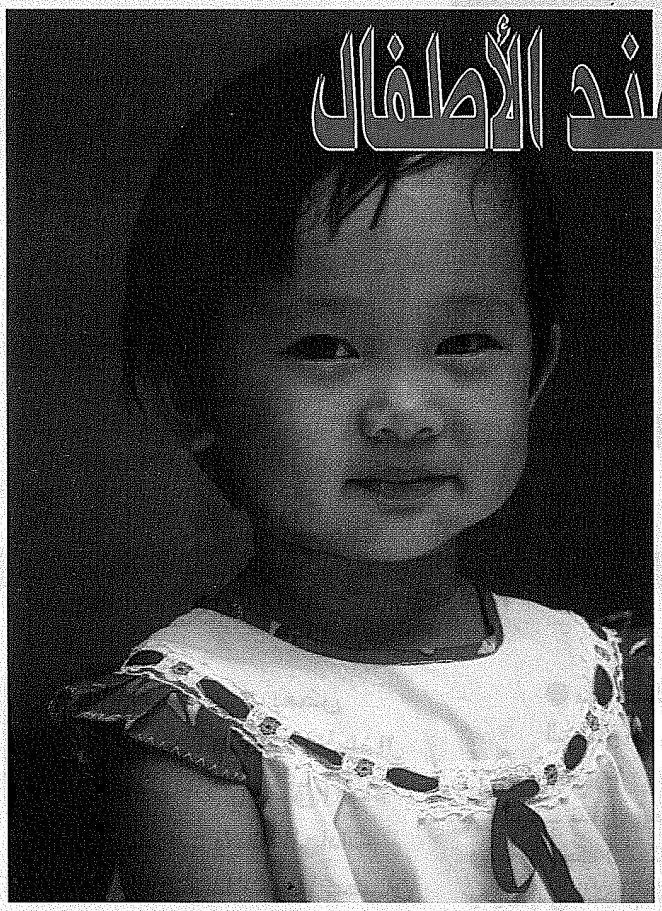

العدول عن الخطبة والآثار المترتبة عليه

الطلاق ليس حلاً

الطفولة أشد مراحل الحياة خصوبة

كيف تعتد المرأة

أجرى الحوار: يسري محمد

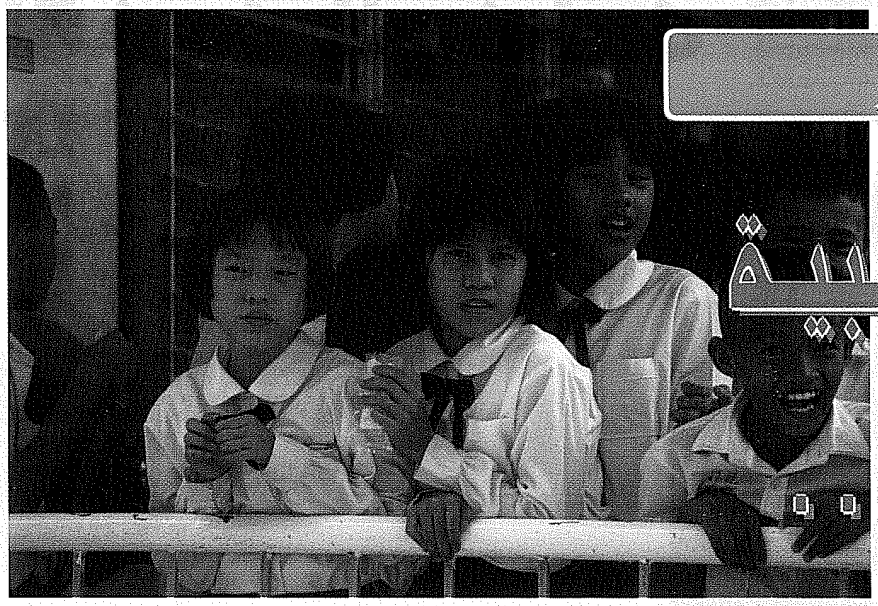

الدكتور نبيل الزهار

الحركات العصبية عند الأطفال

كيف نعالجها؟

ربما تحدث بعض العادات السيئة للأطفال الأمر الذي يقلق الآباء كثيراً... وهذه العادات تظهر عليهم عندما يكونوا عصبين أو متعبين وهي عادات غريبة وشاذة يقوم بها الأطفال ومنها شذوذ الشهية والحركات العصبية اللا إرادية وتقلصات الوجه... وتحدث هذه العادات بين سن ٦ أشهر و١٨ شهراً.

حول هذه العادات أسبابها وكيفية علاجها كان لـ «الوعي الإسلامي» هذا الحوار مع الدكتور نبيل الزهار أستاذ علم النفس وعميد كلية التربية في جامعة قناة السويس.

● بدأ سألنا الدكتور نبيل الزهار ما المقصود بشذوذ الشهية؟

- أجاب تناول الطفل أشياء خطيرة وضارة يجب ألا يتناولها فنجد الطفل يميل إلى التهام الطين أو التراب أو الطباشير أو الصابون وأحياناً الشعر وفي حالات نادرة نجد بعض الأطفال يتناولون برازهم، ويؤدي هذا إلى تعرض الطفل للإسهال أو القيء وآلام في المعدة والأمعاء...

ويضيف الدكتور أن هذه الظاهرة تحدث عند الأطفال الضعفاء المصابين بفقر الدم أو ديدان الأمعاء وكثيراً ما نلاحظها في حالات نقص القدرة العقلية.

● وما السن الذي تبدأ فيه هذه العادة في الظهور؟

- تبدأ هذه العادة بين الشهر الأول والشهر الثامن عشر من عمر الطفل وقبل أن يمشي، فنجده يحبو نحو حذاء والده ويمسكه بيده ويمتص التراب أو الطين الموجود على الحذاء أو يلعق التراب الموجود على عجلات عربته الصغيرة وإذا تعلّم المشي يصبح حراً في غرفته فإذا ما وجد بياض الحائط سهل الإزالة يلتقطه بشغف ويمصه بلذة ويبتلع كل ما هو عالق في يده.

الأضرار والعواقب

● ما الأضرار والعواقب التي تنجم عن هذه العادة السيئة؟

- يجب أن ندرك أن هذه العادة الخطيرة عند بدء ظهورها قد ننجح في إيقافها كلية... أما إذا تهاونا في علاجها فإنه قد يصعب فيما بعد وربما يستحيل إيقافها...

ويضيف يجب أن نعلم أن هذه

العادة الخطيرة قد تؤدي إلى عواقب وخيمة مثل ابتلاع الطفل كمية كبيرة من الشعر أو الرمل أو الحصى وينام بعدها فيتعرض للإصابة بالأمراض خصوصاً إذا ما تناول البراز أو أشياء أخرى كريهة.

ويشير الدكتور إلى أنه يجب أن نعلم أيضاً أن الحالات التي لا يصاحبها مرض آخر يشفي الطفل في سن الثالثة أو الرابعة من عمره فالخطورة تكمن في أنها قد تستمر إلى سن المدرسة وحتى سن المراهقة.

العلاج

● كيف يمكن علاج هذه الظاهرة؟

- يجب أن يُبعد الطفل قدر المستطاع عن المادة التي يميل إلى التهامها كما يجب أن يعالج من اضطرابات الجهاز الهضمي، وعلاج حالات الأنيميا التي يتعرض لها الطفل.

ويضيف يجب أيضاً إجراء نظافة مستمرة لبيئة الطفل وأن نحبب إليه بعض الألعاب ليلهو بها ولا يتجه إلى المواد والأشياء التي تجذب انتباهه.

عصبية الطفل

● يقوم بعض الأطفال بحركات عصبية عدة لا إرادية... ويحاول الآباء والمدرسون إبعاد الطفل عنها عن طريق الضرب... فما رأي الدكتور في ذلك؟

- يعاني بعض الأطفال من حركات عصبية لا إرادية تتخذ صفة العادة وهذه الحركات العصبية في الواقع تكون نتيجة لتوتره النفسي الناشئ عن اضطراب نفسي، وما يؤسف أن الآباء والمدرسين والمحيطين بالطفل يلاحظون هذه الحركات العصبية اللاإرادية ويحاولون إبعاده عنها عن طريق الضرب أو الهزء، كل هذه الأساليب عادة ما تؤدي إلى زيادة التوتر وإلى تثبيت هذه الحركات العصبية.

الحركات العصبية

● ما أنواع الحركات العصبية اللا إرادية التي يقوم بها الطفل عادة؟

- هز الرجل بطريقة شبة مستمرة، وتحريك الأنف إلى اليمين واليسار وتحريك جوانب الفم وتحريك الرقبة إلى اليمين أو إلى اليسار أو الخلف... ويضيف أن كل هذه الحركات تتم بطريقة عصبية تلقائية قهرية متتابعة ولا يقوي الطفل على منعها مهما نبهناه إليها ويصاحب هذه الحركات الخوف أو الغضب أو التقزز أو الاكتئاب.

العلاج

● كيف يمكن علاج هذه الظاهرة؟

- لعلاج الحركات العصبية اللاإرادية يجب على الوالدين إهمال هذه الحركات وعدم تنبيه الطفل إليها...

كما يجب تشجيع الطفل بكل الطرق الممكنة وتنمية شخصيته بمعنى إعطائه الثقة في نفسه، ويجب أيضاً تشجيع الطفل على الاشتراك في النوادي الرياضية ووسائل الترويح عن النفس.

تقلصات عضلات الوجه

● كثيراً ما نجد الطفل يعض شفته العليا أو يرفع حاجبه إلى أعلى... إلى غير ذلك من حركات الوجه... فما تفسيركم لذلك؟

- كثيراً ما ينتاب الطفل العصبي تقلصات في عضلات الوجه كأن يغمز بعينيه أو يمط شفته العليا أو يمص شفتيه أو يرفع حاجبه إلى أعلى أو يبلع ريقه أو غير ذلك من العوارض التي كثيراً ما نشاهدها في الأطفال ذوي المزاج العصبي وهي تدل على أن الطفل المصاب قلق غير مستقر...

ويضيف أن ظهور هذه التقلصات يبدء بعد سن الخمس سنوات وقد تبدأ هذه العادة في سن الثالثة ولكنها نادرة الحدوث في السنتين الأوليين من العمر.

● من أين تبدأ هذه التقلصات؟

- تبدأ هذه التقلصات أمامه فيقلدها الطفل بعد أن يرى شخصاً أكبر منه سواء في البيت أو في المدرسة أو التلفاز أو يرى طفلاً في سنه يتلاعب بعضلات وجهه فتعجبه الحركة فتطبع في ذهنه وتصبح عادة متأصلة معه...

ويضيف الدكتور وما يزيدها تأصلا في نفسه ما يتعرض له من تشديد والديه على أن يتركها فكلما رآهما يلحان عليه كلما زاد في تحريك أجزاء وجهه.

ويقول الدكتور لعلاج هذه العادة يجب على الوالدين أن يظهرا لطفلهما أن ما به من هذه العادة لا أهمية له مطلقا وأنه عارض بسيط لا يلبث أن يزول، وأنه غير لافت لاهتمام الآخرين...

ويضيف الدكتور بهذه الطريقة يسترد ثقته بنفسه ويسير نحو الشفاء، كما يمكن إعطاء الطفل بعض الفيتامينات إذا كان ضعيف الصحة مع إشغال فكره بنوع من الرياضة أو اللعب لكي ينسى عادته هذه. ■

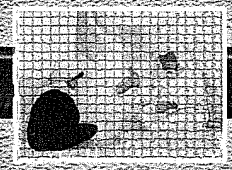

بقلم: طارق البكري

9/1

التربية في الماضي والحاضر

الطفولة أشد مراحل الحياة خصوبة

يولد الإنسان على صفحة بيضاء، خالصة من العيوب، طاهرة لا دنس فيها، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء» (رواه مسلم).

(فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) الروم:٣٠.

إن الطفولة حياة نقيّة، يحياها الإنسان، وهو كالفضاء الرحب الخالي من الشوائب، يتلقى من حوله ثمرات الحياة، وتزرع في نفسه نوازع الخير أو الشر، دون اختيار منه، ويستقبل بتلقائية ما يقدم إليه دون تمحيص، وتغرس فيه المبادئ والقيم، وينمو كما قال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه
ومادان الفتى بحجىً ولكن
يعوّده التدين أقربوه

والحديث عن الطفولة، ونحن نستقبل الألف الثالثة من التاريخ الميلادي، أصبح الهمّ الشاغل، والقلق الدائم لكل من أخذ من عالم الطفولة بطرف، فقد وعت البشرية في خواتيم القرن العشرين، هذا القرن الذي شهد أعظم ثورة تقنية في التاريخ، لقد وعت كم كان ثمن التقدم باهظاً ومكلفاً.

فساحة البناء الإنساني التي كانت طوال العقود الآنفة، مسورة بسياج الأسرة والمجتمع الضيق، اتسعت بشكل لم يسبق له مثيل، فتغيرت المفاهيم، وأطيح بكثير من القيم في الأنفس، بعد أن كان من السهولة غرسها، في من نشأ وتربى في أحضان الفضيلة.

وبعد أن كانت الأسرة الصغيرة المكونة من الأب والأم والأولاد تعيش في سلام ووئام، زاحمتها مؤثرات كثيرة، أشدها قوة، الإعلام بأنواعه، وكان عالمنا الإسلامي صيداً ثميناً، وهدفاً سهلاً، فدخل الإعلام يهدم بأيدي أعداء الأمة حيناً وبيد أبناء الأمة حيناً آخر، حتى غدا المسلمون لقمة سائغة، بعد أن عجز أعداؤهم مئات السنين، فوهن ساعد الأمة، بل كلت أطرافها، وها نحن اليوم نشعر بالأخطار التي تهدد مجتمعاتنا، وهذا الشعور وإن كان أمراً صحياً ومحموداً، إلا إنه يصيبنا بالإحباط والخوف من المستقبل، وينذرنا بالسوء المحدق بأبناء الأمة وهم يتلقفون ثدياً لا يمت إليهم بصلة، وفيه من السم أكثر بكثير مما فيه من غذاء.

وعندما نقلّب البصر، وحتى دون أدنى جهد يذكر، نرى أقدام مجتمعاتنا وقد غاص أكثرها في مستنقعات من الإعلام المسموم، بأساليب ترضي ضعاف النفوس وتشد انتباههم، وتسلب قلوبهم، فتلقي في أفهامهم على حين غرة منهم أفكاراً مغلوطة ومبادئ مشوهة، ما كانت لتنال حظها لولا هشاشة البناء، وضعف الأسوار وشفافية الأستار.

ولعل تلك الشوائب التي راجت في بلاد الإسلام، ولاقت قبولاً عند كثير من الأفراد والتجمعات، ليست سوى إفرازات آسنة امتصت من هؤلاء الذين نموا خارج رحم الدين الصافي الخالص، الخالي من كل سوء، فكانت تلك الشوائب كبذور ألقيت بأرض لا نبت فيها ولا ثمر، كما أسهم بسقياها رقّة الوازع في المجتمع، وخفّة الإيمان بالأنفس، فجاءت الثمار كما ابتغاها الزارعون، عقولاً مريضة، وأنفساً عليلة، وهي وإن كانت أمراً بيناً في زماننا هذا، إلا أن المسؤولية لا مفر منها على كل داع مهما صغر أمره أو علا قدره.

ولقد وعت الأمم المتقدمة في عصرنا الحديث ما للطفولة من مكانة سامية، لأنّ المستقبل لا يقوم إلا على أكتاف صغار الحاضر، عندما يكبرون ويتقلدون دفة الحياة ومقاليدها، وهذا الوعي واضح بيّن، ترشدنا إليه غزارة الإنتاج الموجّه للطفل أو المتعلق بالطفل من أحد الجوانب، ولاسيما في مجال التربية التي تصب حتماً في خانة أهداف تلك الأمم وما تصبو إليه.

وعلى الضفة الأخرى من العالم، وفي ظل التراجع الذي يعيشه الحاضر الإسلامي، قبل كثيراً من ذلك الإنتاج، واحتضنه وتبنّاه، وربما نسبه إليه في بعض الأحيان، ظناً منه أن في إنتاج الآخرين ثماراً يانعة، دون اعتبار أنّ هذا الإنتاج مصنوع أساساً بأيد كافرة، وأنّ هدف معظمه إما الإنسان غير المسلم، أو تدمير الإنسان المسلم.

ولا يعني هذا الكلام أن نرفض إنتاج الآخرين بالمطلق، ففيه من النافع أكثر مما فيه من الضار لو أحسنّا الاختيار، لعرفنا الجميل من القبيح، والفاسد من الصالح، بدلاً من تقبل الأشياء كما هي دون تمحيص ودراسة.

وهذه المسؤولية تقع على عاتق العاملين في كل حقل من ميادين الطفولة، في البيت، والمدرسة، والتأليف، والفن، والترفيه، والإعلام... وعلى هؤلاء مجتمعين أن يحسنوا الاختيار والتوصيل، لأن الإنسان، عندما يبدأ خطواته الأولى في الحياة يحاول أن يتلمس الأشياء من حوله، بحثاً عن الحقائق والثوابت

والمتغيرات، فإن تلقفها بشكلها السليم لم يكدره سوء، وإلا صاحبه الخطأ والانحراف، وقد يرافقه طوال حياته.

إنَّ الطفولة أرض بكر، ترتوي بالماء الذي يُساق إليها، إنْ عذب طابت وأثمرت وأينعت، وإن تعكر خبثت وفسدت، ولقد منَّ الله تعالى على عباده إذ يخلقهم على صفحات من نور، لا تدنسها شائبة، تسطع بهدي الرحمن، بالفطرة الربّانية الصافية الناصعة، فلا تلبث هذه الصفحات حتى تملأ بسطور وكلمات، إما أن ترفع صاحبها إلى المعالي أو أن تردي به إلى مهاوي الشرور والخسران.

ولما كان للطفولة هذه المكانة الباعثة إلى النهوض أو الانكفاء، لم يغفل الإسلام جانباً من جوانب حمايتها ورعايتها ونموها، بل سنَّ كثيراً من القواعد الراسخة التي تعين على رقي الإنسان الصالح حتى من قبل ولادته وتكوّنه في رحم أمه حتى يبلغ أشده، وقد صور القرآن الإنسان في صورة بليغة حكيمة، يقول المولى في كتابه العزيز:

(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون) (غافر:٦٧).

وقد حوت سيرة أفضل الخلق عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، دراً بيّنة، ودلائل وافية، وعطاءات لا تنضب، تنم عن المكانة العالية التي يتبوأها طفل الإسلام، باعتبار أنه رجل الغد، وحامل لواء الإسلام مستقبلاً.

فالأمة في الإسلام ليست بمجموعها بمعزل عن أفرادها، فلكل فرد فيها دور مهم وفاعل، وهذا الدور يتكامل في النشاط والحركة مع الأفراد الآخرين، بما ينتج ويحدث، وايما عطل أو خلل، خسران لا يعود على الفرد وحده، لأنه بذلك يتحول إلى عالة على المجتمع، أو مجرد مستهلك لا فائدة منه، وقد يصبح عضواً مشلولاً، هذا إذا لم تصحبه السموم فيغدو أمر استئصاله حلاً لا مفر منه، كيلا يستفحل المرض، فيعتل الجسد كله، وفي ذلك بلاء عظيم. ■

مخدرات إعلامية

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

كلمة كريهة انتشرت في عصرنا وأصبحت من أشهر الكلمات في قاموس المشكلات والأوجاع الاجتماعية، وإذا ما ذكرت هذه الكلمة تبادر إلى الذهن سريعاً أنها تلك العقاقير أو النباتات الأخرى التي يتناولها البعض ثم ما تلبث أن تستعبده، فلا يستطيع الخلاص منها حتى تدمر حياته بتدمير عقله وجسده وهو غاية من يروّجون هذه السموم، ولكن عفواً لن يكون حديث اليوم عن تلك المخدرات بهذا المعنى، ولكنه عن نوع آخر من المخدرات لا يقل خطورة - في نظري - عن النوع الأول، لأنه يدخل حياتنا دون أن نشعر ويدمرنا دون وعي - وليتسع لي صدر القارئ الذي يمكن أن يمسه هذا الحديث.

وحديثي عن بعض المواد الإعلامية التي تدخل كل بيت في كل يوم وأثرها في نفوس الناس وتغيير معالم حياتهم وأحلامهم إنه نبض قلم وأنين قلب عاش وتعايش مع مشكلات عندما ننظر إليها نجد أن تلك المواد الإعلامية لها دور كبير في تكوينها ولكي تتفهم حديثي، فلتجلس بعض الوقت أمام شاشة التلفاز، لترى ولتسمع ولكن بعين الفاحص الناقد ولتقدر ما يمكن أن يكون لو أنك شاب من العالم الثالث - يعيش حياة متوسطة يكد أباه وأمه كي يوفرا له ضرورات الحياة، ثم تتراءى أمام عينيك القصور الفارهة والسيارات الفخمة، والملابس والمفروشات والمأكولات وغيرها... إنه العيش المنعم، أناس يقذفون بالملايين في أذنيك أرقاماً تكل أذناك أن تحملها، ثم فتيات الإعلانات وسلع الإعلانات والأغاني المصورة، حياة أخرى لا تعرفها، ولكن بالطبع تتمناها وتحلم بها وبخاصة بعد أن تصبح حياة مصورة أمامك، فيزيد شغفك بها واشتياقك إليها، ثم تنظر إلى واقعك الأليم، الذي يتنافى مع تلك الأحلام وهذه الحياة، فبالله عليك كيف سيكون شعورك؟.

وما زاد الطين بله أن هذا الشعور لا يدفع بالشاب إلى الجد والعمل، لأنه يعرف مقدماً أنه مهما اجتهد، فلن يصل إلى عِشْر الربح الذي يحققه هذا الممثل أو ذاك المطرب والذي تصوره له وسائل الإعلام على أنه بطل وفارس هذا الزمان فلا يجد أمامه إلا تقليده تبركاً به في ملابسه وقصة شعره وغيرها. فيكتفي من تلك الأحلام بهذه القشرة البسيطة ويشعره ذلك بسعادة وهمية، إن من ينظر إلى الشباب في الحفلات العامة، وتزاحمهم حول المطرب حتى يكادوا يقتتلون للوصول إليه والسلام عليه ومن يراهم وهم يصفقون ويتراقصون، بل يترنحون على أنغام الأغنيات الصاخبة يدرك أنه شباب مخمور غاب عقله بتلك المخدرات، نعم إنها مخدرات تنسيهم همومهم وأحلامهم المفقودة وأوجاع أمتهم... وقد ابتليت في فترة من حياتي بمنزل لم يكن التلفاز يغلق فيه إلا عند النوم وبعد انتهاء الإرسال، وكنت أرى أنني كلما نويت فعل شيء طيب أوإقامة ليلة عدت فجلست أمام هذا الجهاز اللعين لبعض الوقت فقدت حماسي وتناسيت الأمر الذي كنت أرغب القيام به ولا أقوم به إلا بعد مجاهدة كبيرة لنفسي، حتى صلاتي لم تكن تخلو من خيالات المسلسلات والأفلام مهما حاولت.

والأشد خطورة أنني أعرف بعض الفتيات وقد دفعهم الحلم بهذه الحياة الرغدة إلى رفض عريس بعد الآخر رغم صعوبة الزواج في المجتمع الذي أعيش فيه ولكنها تحلم بالفارس الذي يحقق لها الأحلام دفعة واحدة ودون عناء أو تضحية، بل إن إحداهن تخلّت عن حجابها كي تحصل على وظيفة مرموقة تساعدها على جذب هذا المنتظر ثم ما لبث أن تسرب المكياج إلى وجهها الطاهر شيئاً فشيئاً ولا حول ولا قوة إلا بالله... وتلك بعض آثار هذه المخدرات في عقول الشباب ناهيك عن آثارها على الأطفال الذين انتزعت منهم البراءة انتزاعاً وحوّلتهم إلى مسوخ في حديثهم وحركاتهم وإشاراتهم.

وكلمة أخيرة أقولها لكل من يخطُّ على عقول شبابنا وأطفالنا أن اتق الله واعلم أنك محاسب على كل ما تقوم به، إننا في حاجة إلى من يوقظنا وينبهنا إلى المشاكل والأخطار المحدقة بنا ولسنا في حاجة إلى من يغيّب عقولنا وإدراكنا بمثل هذه المخدرات إن الكلمة أمانة فليتحلمها من هو أهل لها. ■

بقلم: ليلى عبدالرحمن السلطان

عادة مصّ الأصابع عند الأطفال

الدوافع
النتائج
العلاج

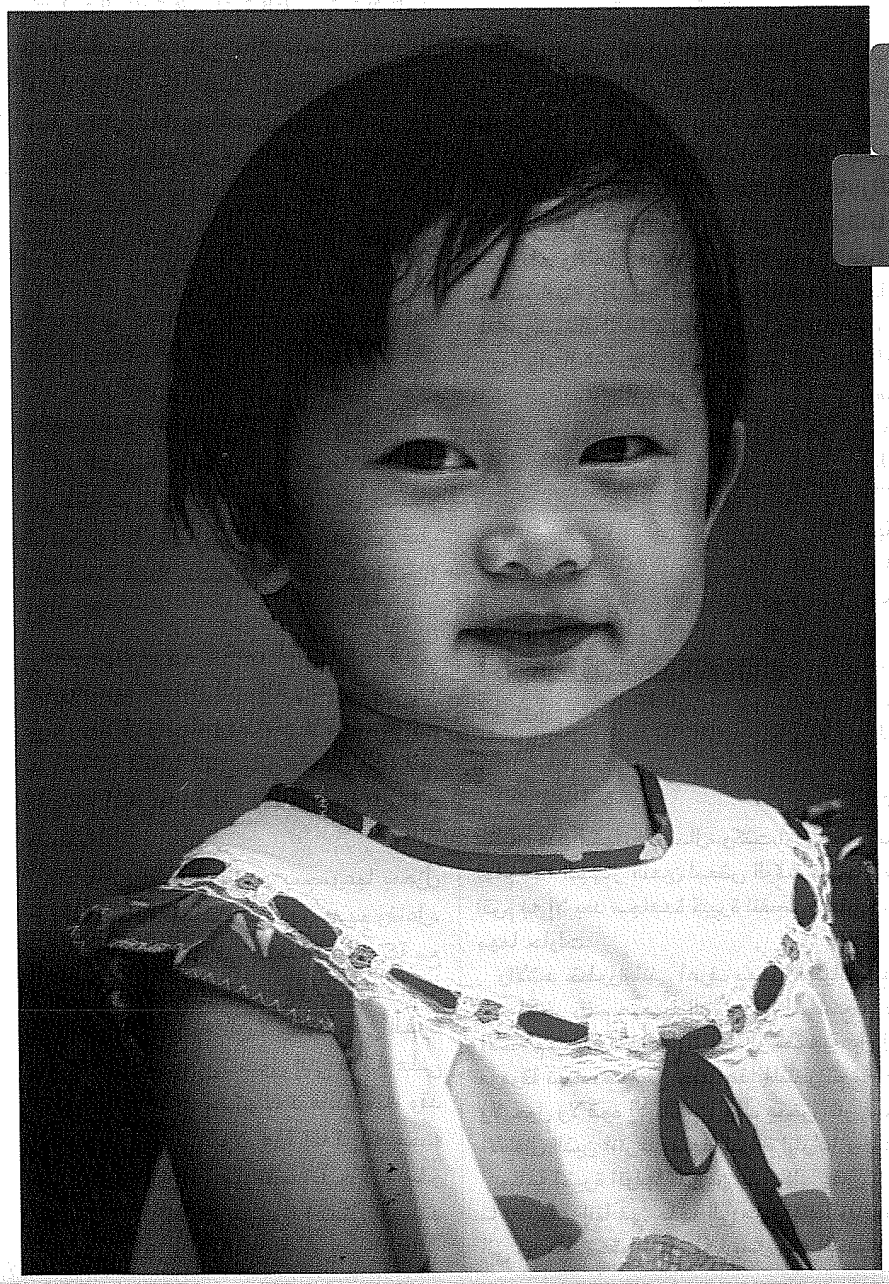

تعتبر عادة مصّ الأصابع من أكثر العادات التي يمارسها الأطفال في مرحلة الطفولة الأولى، فبعض الأمهات لا يكترثن بهذه الحال، والبعض الآخر ينتابهن القلق بسبب هذه العادة السيئة، لذا يسارعن لمنع الطفل عن ممارستها وذلك باللجوء إلى التأنيب والتهديد أو حرق الأصابع بالنار أو دلكها بالفلفل الحار، ما يؤدي لردة فعل عكسية عند الطفل واللجوء إلى الصراخ والبكاء والانفعال الشديد وبخاصة إذا كان الطفل عنيداً... ويمتنع عنها موقتاً لكنه لا يلبث طويلاً، بل سرعان ما يعود إلى مصّ أصابعه مرة أخرى.

وقد اعتبر بعض الباحثين في علم نفس الطفولة أن مص الأصابع يشكل غريزة طبيعية عند الطفل يمارسها عادة في الأشهر الأولى، عقب ولادته، وغالباً ما تكون واضحة في الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل، وفي معظم الأحيان يتخلى الطفل عن هذه العادة في السنة الأولى من عمره وفي بعض الأحيان تتأصل لدى الطفل وترافقه حتى سن البلوغ. وتنتشر هذه العادة عند أغلب الأطفال الرضع إذ تصل إلى نسبة ٨٥٪ منهم أحياناً. إن هذه العادة لا تثير القلق لأن عملية المصّ هي غريزة من أجل الإرضاع ومن ثمّ البقاء ومص الإبهام أمر طبيعي عند الرضع من أجل إشباع الرغبة الفموية، عدا أنها تجعل الطفل الذي يمارسها يشعر بسعادة ومتعة في ممارستها نابعين من شعوره بالدفء، والراحة، والاسترخاء وخصوصاً عند عدم حصوله على قدر كاف من الرضاعة الطبيعية التي تمنحه الحاجة إلى الأمن والحنان.

الدوافع:

هناك مجموعة من الأسباب والدوافع تؤدي بالطفل إلى اللجوء إلى هذه العادة منها:

- القلق والشعور بالوحدة، والعزلة، والانفعال الشديد، أو الانقباض والغضب.
- التأنيب والزجر المستمرين من قِبَل أحد الوالدين أو أحد أشقائه الكبار.
- منع الطفل من اللعب مع أقرانه الصغار أو رفضه من قبل رفاقه يؤديان إلى لوجئه إلى مص أصابعه.
- وجود الطفل في بيئة مشحونة بالانفعالات والقلق والمنازعات يؤدي إلى ممارسة العادة هرباً من واقعه.
- وجود طاقة فائضة وزائدة لدى الطفل تدفعه للجوء إلى هذه العادة وذلك بغية تفريغها والتخلص منها.
- شعور الطفل بعجزه الجسمي، أو الحسي، أو العقلي أو شعوره بأنه أقل ممن حوله في الجمال أو الأهمية، الأمر الذي يجعله غير مستقر عاطفياً ونفسياً.
- عدم اهتمام الوالدين بالطفل اهتماماً كافياً وشعوره بإهمال والديه له وعدم منحه الحنان الكافي.

النتائج:

تؤدي عادة مص الأصابع إلى مجموعة من النتائج السلبية، فقد ترافق هذه العادة الطفل حتى بلوغه سن الراشد والشباب، وقد يؤدي الإدمان عليها إلى تشوه الفك والأسنان، ما يتطلب عملاً جراحياً مستقبلاً لإعادة الفكين إلى وضعهما الطبيعي، وقد تؤدي هذه العادة إلى التهاب الفم واللوزتين إذا كان الإبهام متسخاً، وربما تؤدي في حالاتها الشديدة إلى تشوه الإصبع ويكون لها آثار سلبية أخرى مثل صعوبة المضغ، والتنفس، وضعف نمو عظام الفكين، إضافة إلى أن الطفل يكون أقل تفاعلاً مع الأطفال الآخرين، منشغلاً بعادته، قليل التركيز، وحديثه غير ناجح مثل من هم في سنه، كما أن هذه العادة تفسد التوازن العضلي الدقيق بين اللسان والعضلات الأخرى المحيطة بسائر الفم، وقد يؤدي الضغط المستمر للإبهام إلى دفع القواطع - أي الأسنان الأمامية - إلى البروز، والأسنان السفلية إلى الداخل ما يؤدي إلى التشوه. كما أن حركة المص تؤدي إلى انبساط سقف الفم ونتيجة لذلك قد تحدث لدى الطفل لثغة كلامية تشوه عملية النطق وتسبب له إرباكاً في المستقبل.

العلاج:

إن التفهُّم التام من قِبَل الوالدين لمشاكل الطفل إنما يعطيه الثقة بالنفس ما يؤدي به إلى الإقلاع عن العادات السيئة وتركها بصورة تلقائية. فمن الخطأ الفادح أن يرتكب الأهل حماقات معينة بحق الطفل مثل ضربه أو تأنيبه أو حرق إصبعه بالنار أو دهن يده بالفلفل الحار... إن كل تلك التصرفات تؤدي إلى تكريس هذه العادة لدى الطفل وتجعله أكثر عناداً وشراسة وإصراراً على معاودة المص.

ومن أهم الطرق العلاجية الواجب اتباعها نذكر ما يلي:

- يجب على الوالدين عدم توبيخ الطفل أو معاقبته لأن ذلك يشعره بأنه يرتكب ذنباً، بل يجب عليهما أن يراقبا الظروف والأحوال التي تحبب إلى الطفل هذه العادة ويحاولا تحاشيها.
- يجب تحقيق وإشباع حاجات الطفل الضرورية وبخاصة الحاجة إلى الحب والحرية واللعب، والحركة وتوجيه الوالدين والإرشاد، والجمع بين الحزم والعطف في عملية التنشئة الاجتماعية.
- توافر الهوايات والأنشطة الملائمة للطفل وتوافر الهدوء اللازمين لممارسة تلك الأنشطة وإحاطة الطفل بجو صالح نفسياً لينشأ بهدوء وطمأنينة.
- العناية الصحية والفحوص الطبية الدورية للطفل، للتعرف على الأسباب الجسمية التي قد تساعد على وجود الحال العصبية لديه.
- أن يجلب للطفل الممارس لعملية المص، ألعاباً فموية، أو مصاصات مطاطية من النوع الجيد الذي لا يؤذي الفك، وذلك كمحاولة لإقلاع الطفل عن عادة مص الأصابع.
- إقناع الطفل بضرورة إقلاعه عن الحركات العصبية والعادات السيئة المنبوذة من الجماعة وتعزيز بُعده عن هذه العادات بالمكافآت المادية والمعنوية.
- عدم مبالغة الأبوين في الانتباه إلى هذه العادة ومراقبة الطفل، وذلك بالإهمال والتجاهل والتقليل من أهميتها وعدم مناقشة هذا الأمر في أثناء وجوده. ■

المراجع:

١ - جريدة «تشرين» السورية، تاريخ ١٩٨٢/١/٥م.

٢ - المجلة العربية - السعودية - العدد ١٧١ - ربيع الآخر ١٤١٢هـ.

٣ - جريدة «تشرين» السورية، العدد ٦٦١٩ الاثنين ١٩٩٦/٩/١٦م.

٤ - مجلة «المعلومات» السورية، العدد ١٠٣٧٧ الأحد ١٩٩٧/٨/٣١م.

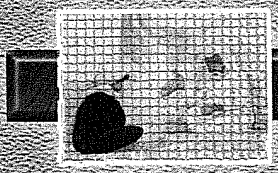

إعداد: محمد عباس محمد عرابي

العدول عن الخِطْبَةِ والآثار المترتبة عليه

الخِطْبَةُ لا تعدو أن تكون مجرد وعد بالزواج وليست عقداً، ولذلك يظل كل من الخاطبين أجنبياً عن الآخر، ولا يباح للخاطب من خطيبته في هذه المرحلة إلا ما يباح له من المرأة الأجنبية، فلا ينظر منها إلى ما عدا الوجه والكفين. ولا يترتب على الخِطْبَةِ أي التزام بإتمام الزواج، وقد اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن العدول عن الخِطْبَةِ أي التزام بإتمام الزواج، وقد اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن العدول عن الخطبة قبل إتمام الزواج جائز وليس ممنوعاً فمن حق كل من الخاطب أو المخطوبة أن يتوقف عن إتمام الزواج وذلك بالعدول عن الخطبة، والعلة في جواز العدول عن الخطبة قبل إتمام الزواج.

أن الخطبة لا تزيد عن كونها مجرد وعد بالزواج وليست عقداً ملزماً لأي من الخاطب أو المخطوبة، وإن كان العدول يعتبر خلفاً للوعد لهذا كان مكروهاً من الناحية الشرعية إذ لم يكن فيه مصلحة محققة للعادل وإلا كان جائزاً بلا كراهة.

ولكن قد يكون الخاطب قدّم المهر أو الهدايا أوالشبكة وقد يكون قد تسبب في ضرر مادي أو أدبي بعدوله عن الخطبة ولكل واحد من هذه الأمور حكم يختلف عن الآخر.

أولاً: استرداد المهر

إذا كان الخاطب قد أعطى مخطوبته جزءاً من المهر وحدث عدول منه أو منها عن الخطبة والزواج، فإنه يأخذ ما دفعه من مهر لأن المهر من أحكام الزواج والمخطوبة لا تستحق مهراً واحتفاظ المخطوبة به يكون بسبب غير شرعي وعليه فيجب عليه ردّ ما أخذته من مهر إن كان قائماً لم يهلك أو يستهلك وترد مثله أو قيمته إن كان قد هلك أو استهلك.

ثانياً: استرداد الهدايا

الهدايا ما يقدمه أحد الخاطبين للآخر من أمتعة وملابس وما شابه ذلك وقد تكون الهدية متبادلة بينهما، فهي مقصورة على طرف واحد وهي مستحبة بين الخاطبين حيث قال رسول الله ﷺ : «تهادوا تحابوا» رواه البخاري وأخرجه البيهقي وغيره.

واسترداد الهدية اختلف فيه الفقهاء على النحو التالي:

أولاً : رأي الأحناف : يرى الأحناف أن الهدية في معنى الهبة، فعند العدول عن الخطبة لمقدِّم الهدية حق المطالبة برجوع هديته أي له أن يرجع عن هبته وذلك إن كانت باقية كالساعة مثلاً، أما إذا هلكت أو استهلكت فليس له الحق في المطالبة ببدلها أو قيمتها لأنه كما سبق الإهداء إلى المخطوبة يكون في معنى الهبة ومادامت كذلك فلابد أن تأخذ حكمها وحكم الهبة أنه إذا هلك الشيء الموهوب أو استهلك فإن ذلك يكون مانعاً من موانع الرجوع فيه، أي مانعاً من المطالبة ببدله أو قيمته.

وبذلك يتضح مذهب الأحناف في أن الهدية يجوز الرجوع فيها إلا إذا وجد مانع من موانع الرجوع كالهلاك أو الاستهلاك كأن تكون الهدية ساعة ضاعت أو طعاماً أُكل.

وهذا الحكم يستوي فيه إن كان فسخ الخطبة من جانب الرجل والمرأة معاً أو ما جانب أحدهما.

رأي الشافعية: في البلاد التي تطبق المذهب الشافعي يجوز العدول عن الخطبة بمبرر وبغير مبرر ويسترد المهر لأنه من أحكام الزواج وتسري على الهدايا أحكام الهبات فتسترد إن كانت قائمة أو قيمتها إن هلكت أو استهلكت لأن الهدايا هبات قُدِّمت على شرط إتمام الزواج والزواج لم يتم ويستوي في ذلك أن يكون العدول من الخاطب أو من المخطوبة أو بمبرر أو بغير مبرر.

وهناك رأي آخر من متأخري الشافعية يذهب إلى أن العادل لا يسترد الهدايا لأنه أهدى بشرط أن يزوجوه ولم يخل أحد بشرطه لأنه هو الذي اختار عدم إتمام الزواج.

- رأي الحنابلة: فرّق الحنابلة في حكم الهدية بين ما إذا كان العدول قبل العقد وبين ما إذا كانت الفرقة بعد العقد - ففي الأمر الأول: - تُردُّ الهدية للخاطب إن كان أهل المخطوبة وعدوه بالزواج ولم يفوا أما إذا كان الإعراض منه فلا رجوع، وكذلك إن مات الخاطب قبل أن يعقد عليها فليس لورثته حق استرجاع الهدايا من المرأة وأهلها.

أو ماتت هي أيضاً بعد الهدية قبل العقد لأن عدم إتمام العقد ليس من جهة المخطوبة ولا من جهة أهلها.

- أما في الأمر الثاني: يرى الحنابلة:

١ ـ أن الهدية تثبت بكل أمر مقرر لكل المهر أو لنصفه كدخول وخلوة وطلاق وخلافه ونحوه فلا يصح للرجل أن يرجع على زوجته المدخول بها بما قدمه لها من هدايا لأنه المفوت على نفسه، ولأن زوال العقد من قبلها.

٢ ـ أيضاً تُردُّ هدية الزوج إليه في كل فرقة اختيارية مسقطة للمهر كالفسخ لعيب ونحوه وكذا في كل فرقة قهرية كفسخ من قبلها لفقدان الكفاءة قبل الدخول إذا طلقها أو فسخ العقد باختياره.

ـ رأي المالكية: يرى بعد المالكية أن الخاطب ليس له حق في استرداد شيء من الهدايا سواء كان العدول منها أو منه وسواء أكانت الهدية باقية على حالها أم لا، ولكن البعض الآخر يرى تفصيلاً في ذلك فيرى أن العدول إذا كان عن إتمام الزواج من جهة المخطوبة فللخاطب حق الاسترداد للهدايا التي قدّمها إلا إذا كانا قد اشترطا عدم الاسترداد إذا لم يتم الزواج أو كان هناك عرف بين الناس يقضي بذلك. وإذا كان العدول من جهة الخاطب فليس له الحق في الاسترداد.

وما أرجّح العمل به هو رأي المالكية لما فيه من توسعة على الناس ومراعاة العدالة بينهم إذ لا يجمع على المهدى إليه بين ألم العدول وألم الاسترداد إن لم يكن هو الذي عدل عن الخطبة ولا يجمع على المهدي ألم العدول والغرم المالي إذا كان العدول من الجانب الآخر.

ثالثاً: استرداد الشبكة

الحكم في الشبكة يختلف باختلاف العرف، فإن كان العرف يعتبرها من المهر أخذت حكم المهر وإن كان العرف لا يعتبرها من المهر أخذت حكم المهر وإن كان العرف لا يعتبرها من المهر أخذت حكم الهدايا والعرف السائد في كثير من البلاد بالنسبة لما يسمى بـ«الشبكة» أنها جزء من المهر فتأخذ حكم المهر السابق بيانه.

ـ اختلافهما في أن ما قُدِّم هدية أو مهر:

إذا قدم الخاطب لمخطوبته مفروشات أو أقمشة أو آلات أو نحوها ولم يبين وقت تقديمها أهي من المهر أم هدية وحدث التنازع بينهما بأن ادعى أن ما قدّمه من المهر وادعت أنه هدية فهنا يعتبر كل منهما مدعياً ومنكراً، ويحكم لمن أثبت دعواه، وإن أقام كل منهما بيّنة على دعواه رجحت بيّنتها وحكم لها لأنها تثبت خلاف الظاهر والبيّنات شرعت لذلك، وإن عجزا عن الإثبات فالقول لمن يشهد له العرف مع يمينه فإن لم يكن عرفٌ يشهد فالقول للخاطب بيمينه لأنه أدرى بما أعطى ولماذا كان الإعطاء.؟

حكم الضرر الناشئ عن العدول عن الخطبة

قد يترتب على العدول في الخطبة ضرر يلحق أحد الطرفين مادياً أو أدبياً، فمن أمثلة الضرر المادي إذا ما كلف الخاطب نفسه بإعداد مسكن للزوجية المرتقبة ثم عدلت المخطوبة عن الخطبة بغير مبرر، أو تكون المخطوبة قد أعدت جهازها أو استقالت من وظيفتها استعداداً للزواج، ثم عدل الخاطب عن الخطبة من دون مسوغ، ومن أمثلة الضرر الأدبي جرح الشعور والإحساس وتعريض الطرف الآخر للأقاويل والافتراء عليه وما أشبه ذلك، فهل يحكم بالتعويض على من عدل عن خطبته من دون مسوغ؟

قبل أن نسترسل في سرد الآراء في هذه المسألة يجب أن نلفت الأنظار إلى الأمور التالية:

أولاً: الخطبة كما هو متفق عليه مجرد وعد بالزواج ومن حق أي من الخاطب أو المخطوبة العدول عنها وعدم إتمام الزواج.

ثانياً: ليست هناك نصوص صريحة في الفقه الإسلامي تعرضت لحكم المسألة كتلك التي تعرضت لحكم الهدايا التي يقدّمها الخاطب عند العدول.

ثالثاً: هناك من القواعد العامة في الفقه الإسلامي ما ينهى عن الضرر والضرار، ويوجب إزالة الضرر إذا وقع كقول الفقهاء: «الضرر يزال».

رابعاً: هناك من القواعد العامة في الفقه الإسلامي ما يفيد أن ما يجوز فعله شرعاً لا ضمان على من فعله إذا نشأ عن مجرد فعله ضرر لآخر وذلك كقول الفقهاء «الجواز الشرعي ينافي الضمان».

وهناك اتجاهان في الفقه الإسلامي الحديث بشأن هذه المسألة:

١ ـ الاتجاه الأول: يرى أصحابه أنه لا يصح الحكم بالتعويض على من تسبب في ضرر الطرف الآخر نتيجة العدول عن الخطبة، لأن العدول عن الخطبة جائز شرعاً وبلا قيد ولا شرط وهو حق للخاطب والمخطوبة وقد عرفنا أن القاعدة العامة تقضي بأن الجواز الشرعي ينافي الضمان بمعنى أن من يستعمل حقه لا ضمان عليه عند استعماله وإن نشأ عن هذا الاستعمال ضرر للغير ما دام المستعمل لحقه لم يخرج عن الحدود المقررة لهذا الاستعمال، ثم إن كلاً من الخاطب والمخطوبة يعلم مسبقاً أن العدول عن الخطبة من حق كل منهما، وأن إتمام الزواج غير لازم له لأن الخطبة مجرد وعد بالزواج وعليه فإن ما يصيب أحد الخاطبين من أضرار بسبب إعداد الجهاز أو المسكن كبناء المسكن على طراز خاص أو إعداد الأدوات الخاصة به أو الخاصة بالمسكن لا يكون ناشئاً عن تغرير الطرف العادل به وإنما يكون ناشئاً عن اغتراره، وبأن الطرف الآخر سيستمر حتى إتمام الزواج هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا لو أجزنا الحكم بالتعويض على الطرف العادل لكنا مكرهين له على إتمام الزواج، ولكنا كمن يعطي الشيء بالشمال ويأخذه باليمين كما يقولون ومن المتفق عليه أن الزواج لا يكون صحياً منتجا لآثاره إلا إذا نشأ في ظل الرضا التام والتوافق الخاص عليه.

ـ الاتجاه الثاني: وهو اتجاه أحدث من الاتجاه الأول ويرى أصحابه صحة الحكم بالتعويض لمن أصابه ضرر من أحد الطرفين بسبب عدول الطرف الآخر عن الخطبة وعدم إتمام الزواج وقد استند هؤلاء إلى قاعدة لا ضرر ولا ضرار. ■

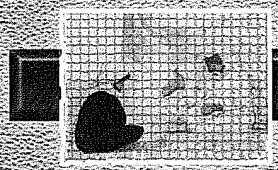

بقلم: محمود النجيري

لا يعني نجاح الزواج براءته من كل عيب، فالقاعدة الذهبية في الزواج هي أنه قلما يوجد زواج بلا عيوب، وأنجح زواج هو الأقل عيباً، وهو الذي يكون فيه كل من الزوجين على دراية بذلك وعلى استعداد لتقبل الاختلافات بينه وبين الطرف الآخر، وأن يحاول التوافق معه بأكبر قدر مستطاع من التفهم والتبصر، ولو أن المتزوجين أدركوا هذه الحقيقة إدراكاً صحيحاً لطردوا عن أذهانهم الفكرة الخاطئة عن الطلاق كعلاج، ولعمل الزوجان معاً على تطوير زواجهما باستمرار في إطار من آمال معقولة يُراد تحقيقها، وعيوب يتفهمها الطرفان في كل زواج ناجح حتى لا تغرق سفينة الزواج في بحر الحياة المضطرب.

الطلاق ليس حلاً

والخطأ الأكبر الذي يقع فيه كثير من المتزوجين هو المغالاة في تصوير الخلافات الزوجية وأن يسارع أحدهم عند كل مشكلة زوجية إلى التفكير في الطلاق، وأن يقول لنفسه: إن زواجي هو أشقى زواج على وجه الأرض، لقد حاولت الاستمرار كثيراً، ولكنني لم أعد احتمل، لا راحة إلا في الانفصال، فهو أهون من هذا الجحيم الذي أعيش فيه!!

وينسى هؤلاء أن الطلاق ما جُعِل إلا استثناء عندما يخفق الزوجان في العيش معاً في إطار من حدود الله تعالى، وحين تستحيل العشرة الزوجية بينهما لأسباب قوية مفهومة، ولكن المؤسف هو أن الأغلبية من الأشخاص لا يكون الطلاق عندهم رداً على مشكلة حقيقية، أو وقوعاً تحت ضغط أزمة قوية يكون معها استمرار الزواج مستحيلاً! وليت هؤلاء يتأملون قول النبي ﷺ : «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها» متفق عليه.

مشكلات لا حلول

حين يركب الزوج رأسه ويصرّ على الطلاق يتغافل عما سيجلبه ذلك من شقاء وحزن وألم لا ينتهي له ولزوجه، ويظن كثيرون في هذه اللحظة أن الطلاق يمكن أن يكون حلاً للمشكلات أو نهاية للمتاعب التي تصادفهم في حياتهم الزوجية، ولا يعلمون أن الطلاق تنشأ عنه مشكلات أكبر من طاقاتهم، لأنها مشكلات أكثرها لا حلول لها، وخصوصاً إن كان هناك أولاد وأهم هذه المشكلات ما يلي:

- مشكلة الأولاد: فالأطفال في حاجة إلى رعاية نفسية وتربوية ومالية بين الأبوين معاً، والطلاق يشرد الأطفال بين الأب والأم ويجعل الطفل تائهاً بينهما، يشعر أنه ليس كغيره من الأطفال الذين ينعمون بحياة أسرية مستقرة فيها الحنان والرعاية من الأبوين. وشقاق الطلاق بين الأبوين يلقي ظلالاً كثيفة على نفسية الطفل تؤثر في شخصيته وتحصيله واكتسابه المهارات. كما أن أحد الأبوين يحرم من الطفل حين يقيم مع الآخر، ويحرم الطفل من أحد الأبوين، وأحياناً ما تنشأ مفارقات محزنة، فقد يلقى الأب ابنه في الطريق وهو بصحبة والدته التي طلّقها، فيمر كل في طريقه وكأنه لا يعرف الآخر، وليس بعد هذا ألم للطفل والأب والأم معاً.

- المشكلات الاجتماعية: يحترم المجتمع الشخص المتزوج على حين يتخوف من المطلّق ويرفضه وهذا طبيعي لأن الطلاق هو عمل ضد المجتمع، والمطلّق يصير مصدر خطر للمجتمع أكثر من غيره، لأنه قام بفصم علاقة اجتماعية كانت في صالح المجتمع، وصار متحرراً من هذه الناحية، ولا نعجب إذ نرى كثيراً ممن يحيطون بالمطلّق يشعرون بالخوف شيئاً ما منه، ويجدون أنفسهم وقد تغيرت اتجاهاتهم نحوه وسلوكهم تجاهه، وغلّقت أمامه أبواب كثيرة كانت مفتوحة، وسحبت أيادٍ كانت ممدودة.

- المشكلات الشخصية: يفقد المطلق كثيراً من احترام المجتمع فيشعر بالمهانة والإحباط، وحين يفكر في فشل حياته الزوجية يحس بالغضب والحزن الذي لا ينتهي، كما أن حياته تتغير فيفتقد الحب والأنيس والمعين، ويحرم مما اعتاد من حياة منظمة مستقرة يشبع فيها حاجاته الحسية والعاطفية والمادية.

- المشكلات النفسية: يعاني المطلّق آلاماً نفسية متجددة تتغذى بإحساسه بالوحدة والاغتراب والفشل. فقد ظن أن الطلاق سيعالج مشكلاته، ولكن على العكس من ذلك أحسّ بلذع الواقع الأليم الجديد الذي يجتنبه فيه كثير من الأصدقاء ويتحرجون من التعامل معه أو دعوته إلى بيوتهم، كما يشعر المطلّق بالشقاء الذي جلبه لنفسه ولغيره، بأنه قضى على نفسه وعلى طليقه وعلى أطفاله بالتعاسة التي لا علاج لها والحرمان الذي لا يمكن تعويضه غالباً.

فالطلاق وضع استثنائي مخالف لطبيعة الامتداد الأسري والعائلي، إذ هو يهدم الأسرة ويقطع علاقات كانت قائمة، ويفصم عرى كانت موثّقة، وهو أشبه بالزلزال الذي يشقق الأرض، أو الانفجار الذي يبعثر الأشياء، وكل مطلّق يشعر لوقت طويل أن ذاته قد تبعثرت بعد زلزلة عظيمة ويحتاج إلى وقت طويل كي يجمع أجزاءه ولكي تلتئم جروحه، ولكن الأمر كثيراً ما يكون كما قال شاعرنا:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتئم ما جرح اللسان

- المشكلات المادية: يظن بعض الأزواج أن الطلاق مجرد كلمة ينطقونها، ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير، إذ ينشأ عن الطلاق واقع جديد يكلف الرجل من ماله ونفسه وراحته كثيراً جداً. فيترتب عليه أن يدفع للمرأة

مؤخر المهر، ونفقة العدة، ومتعة الطلاق، وهي تأخذ المنقولات والأثاث، فإن كان لهما ولد أضيف إلى ذلك أن يوفر المطلّق مسكناً أو يدفع أجر مسكن بالإضافة إلى أجر حضانة للأم ونفقة للصغير إلى أن يبلغ.

وإذا كانت المرأة لا تدفع في الطلاق عادة مالاً، إلا أنها تخسر من حياتها ومستقبلها أكثر مما يخسر الرجل، وخصوصاً في مجتمعاتنا التي فقدت نظرة الرحمة للمطلّقة والرعاية لها.

وأمام هذه الحقائق لا يتردد أحد من خبراء الزواج في التأكيد على أنه ليس في الطلاق حل لمشكلات زوجية ولا علاج لخصومات في الأسرة، إذ الطلاق يصنع المشكلات ولا يحلها، ويجلب الشقاء والأحزان للأبناء والأزواج والمجتمع، سواء في المجتمعات في الشرق أو الغرب، ولذلك يقول خبير الزواج فان ديفلد:(٢): «الطلاق ليس علاجاً للشقاق الزوجي، والواقع أن الطلاق معناه انتصار العداوة الزوجية انتصاراً تاماً نهائياً».

هدم أصعب منه البناء

حين تذهب السكرة، ويفيق العقل على حقائق الطلاق المرّة قد يتحسر كل من الزوجين على الفراق، ويندم حين لا ينفع الندم، فالطلاق يصيب عواطف الزوجين بشرخ عظيم، وقد تقف حوائل كثيرة تحول دون عودة ما تفرق، ومن ذلك قصة الشاعر الأخطل الذي كان له زوجة يعجبه شأنها، إلا أنه طلّقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب، وكانت هي بالتغلبي الذي طلّقها معجبة، فبينما هي ذات يوم جالسة مع الأخطل، إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء، ثم ذرفت دموعها، فعرف الأخطل ما بها، فتذكر هو أيضاً امرأته الأولى، وأنشأ يقول:

كلانا على وجد ببيت كأنما
بجنبيه من مسِّ الفراش قروح
على زوجها الماضي تنوح وزوجها
على الطلة الأولى كذاك ينوح

وقد يتدخل الأب أو الأم فيدفعان ابنهما إلى طلاق زوجته، فيهدمان بيتاً كان راسخ الأركان دون سبب جوهري، ثم يريان من شقاء الابن بعد أن حرم من زوجته التي يحبها ما يدفع إلى إعادة ما تفرق، ومن هذا أن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - تزوج بعاتكة بنت زيد ابن نفيل، وكان يحبها حباً شديداً، فأمره أبوه بتطليقها، فقال بعد طلاقها:

فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير جرم تطلق
لها خُلُقٌ سهل وحسن منصب
وخلق سوى ما يعاب ومنطق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة
إليك بما تخفى القلوب معلّق
أعاتك ما أنساك ما ذر شارق
وما لاح نجم في السماء محلّق

فرقَّ له والده أبو بكر، الصديق رضي الله عنه وأمره أن يراجعها.

وقد لا يمكن عودة المرأة إلى الرجل كأن تتزوج المرأة بآخر أو ترفض العودة بعد أن تبين من زوجها بيناً فحينئذ يجد المطلّق صعوبة كبيرة في بدء حياة زوجية جديدة من نواح عدة، فهو نفسه بما تكون لديه من خبرات في الحياة الزوجية يجد صعوبة في الوصول إلى كفء يرضى به ويستجيب لرغبته في الزواج ويبدأ معه حياة ينسى فيها الماضي. فالماضي لا يموت أبداً، وهذا بالنسبة للمرأة المطلّقة أشد وأقسى في مجتمعنا، إذ المطلقة يبتعد عنها الأزواج ويتحاشون الارتباط بها، ولأن عدد النساء أكثر من عدد الرجال في مجتمعاتنا، فالمطلّقة وإن كانت صغيرة السن يكون محكوماً عليها أن تقضي بقية حياتها بلا زواج، تلاحقها كلمة «مطلّقة» وكأنها أبدية، كما أن أولياء الفتيات يخافون من ناحية أخرى تزويج بناتهن لرجل مطلّق وخصوصاً إن كان له أطفال.

ويشقى المطلّق كثيراً حتى يستطيع أن يبني أسرة جديدة، فهو يدفع للهدم كثيراً من المال، ولكنه يدفع للبناء أكثر، ومع هذا يظل شبح الطلاق مخيماً على أسرته الجديدة، ومهما حاول أن يتخلص من الماضي، فإن للماضي توابعه، وقد أظهرت الإحصاءات في انكلترا أن نسبة الطلاق في الزواج الثاني تكون أعلى مما هي عليه في الزواج الأول، لأن كلاً من الرجل والمرأة في هذا الزواج خبر الحياة الزوجية من قبل، وتشكلت شخصيته على نمط يصعب تغييره لكي يتكيف مع الأوضاع الجديدة. والزواج الثاني كثيراً ما يصاحبه تنازلات كثيرة في الاختيار، لأن المطلّق يشعر أنه الأدنى، والمجتمع ينظر إليه على أنه أقل، فيختار الأقل، ثم يقع في الندم بعد ذلك، ولا يستطيع أن يواصل الحياة مع غير كفء، وكان الأولى بمن فشل مرة أن يفهم أن سبب الفشل الأول هو انعدام الكفاءة، فلا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

خطأ الاستسلام لأفكار الطلاق

أفضل ما يفعله الأزواج هو ألا يستسلموا لأفكار الطلاق التي تتوالد في النفس وتتعاظم لأوهى الأسباب، وأن يتمعنوا في كون حياة العزوبة بعد الطلاق كلها شقاء وعذاب وخسائر، ومهما يكن في الزواج من عيوب وأخطاء، فحياة المطلقين أكثر تعاسة وحرماناً وألماً، واستمرار زواج به عيب أو عيوب أفضل من طلاق به خسائر لا تعد ولا تحصى، والواقع يؤكد أنه من الأفضل الاستمرار في الزواج وبذل كل جهد لإنجاحه بدلاً من أن ينفصل الزوجان فيهدمان أسرة، ويشردان أطفالاً، ويحرمان نفسيهما من متع الحياة الزوجية المستقرة.

إن العاقل لابد له أن يوازن بين ما يعطيه الزواج له من مزايا كثيرة سيفقدها بالطلاق ولن يستطيع في الغالب تعويضها، والخسائر التي يسببها الطلاق، فالزواج مشاركة وجدانية وأنس بأليف يبثه الإنسان همومه وأحزانه، ويشاركه أفراحه، ويسانده في الحياة، والزواج إشباع لحاجات حسية وعاطفية، والزواج بيت وأسرة وأولاد كالأزهار المتفتحة تحتاج للرعاية والصيانة ومن المؤكد أن الأطفال هم أكبر ما يجمع بين الزوجين ويجعل حياتهما قابلة للاستمرار مهما يكن فيها من الخلاف.

والرجل الذي يستحق أن يوصف بالرجولة حقاً هو الذي يشعر بالواجب تجاه زوجته وأولاده وبيته، ويفهم أن الطلاق هو قطع رحم، وفراق واحتراق للمشاعر الجميلة، وأن امرأته مسؤولة منه، وأنها أُمٌّ أولاده، وطلاقها جناية عليها وعلى أولاده بالشقاء الأكيد، فكيف يلقي بها إلى هذه الهوة السحيقة التي هي كالذبح بالخيط بلا رحمة للمرأة؟! فكم من كلام يُقال، وظنون تلحق بالمطلّقات!!

والزواج يتهدد باستمرار ما لم يكن هناك إحساس بالواجب وما لم يتسامح كل من الزوجين ويتنازل عن بعض حقه، ويحاول أن يتوافق مع قرينه، إذ العداوة بين الزوجين كامنة وستنطلق مع أقل كلمة أو حركة بعيدة عن الصواب والحكمة، والرباط الشرعي المقدّس الذي يستشعره المتدينون في زواجهم ينبغي أن يجعل حياتهم أكثر استقراراً من غيرهم، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض، نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بَيْن المسلمين ■

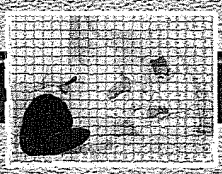

بقلم: منى السيد علي بلاسي

كيف تعتد المرأة المسلمة ؟

تعريف العدة

العدة في اللغة مشتقة من العدّ، وهو إحصاء الشيء، يُقال عدَّه يعده عداً، وتعداداً، وعدة، وعدة المرأة: أيام قروئها، وعدتها أيضاً: أيام إحدادها على بعلها، وإمساكها عن الزينة شهوراً كانت أو أقراء، أو وضع حمل حملته من زوجها، وقد اعتدت المرأة عدتها من وفاة زوجها، أو طلاقه إياها، وجمع عدتها عدد.(١) أما في الشرع فهي: مدة حددها الشارع فيجب على من حصلت بينها وبين زوجها فرقة أن تتربص فيها دون زواج سواء أكانت هذه الفرقة من نكاح صحيح وبعد الدخول أو ما يقوم مقامه من الخلوة أو الموت، أم كانت من دخول في نكاح فاسد، أم كانت نتيجة وطء بشبهة.(٢)

دليل وجوبها

أولاً: من القرآن الكريم

جاء حديث القرآن الكريم عن العدة في ست آيات: آيتان في سورة البقرة وهما:

أ - (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)(٣).

ب - (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) (٤).

وآية في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً)(٥).

ثلاث آيات في سورة الطلاق: وهي قوله تعالى: (يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذَوَى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)(٦)، وقوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)(٧).

ثانياً من السنة المطهرة:

يدل على وجوب العدة من السنة أحاديث كثيرة، منها ما ورد في صحيح البخاري من قول النبي - ﷺ -: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»(٨).

ثالثاً: الإجماع:

أجمعت الأمة على وجوب العدة عملاً بما ورد في القرآن الكريم والسنة المشرّفة وذلك حتى لا تختلط الأنساب، فضلاً عما تهيئه العدة من فرصة للوفاق بين الزوجين.

حكمة مشروعيتها

ذكر العلماء أن العدة كانت معروفة في الجاهلية وكانوا لا يكادون يتركونها فلما جاء الإسلام أقرها، لِما فيها من مصالح عظيمة، ومنها:

أ - معرفة براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب بعضها ببعض.

ب - تهيئة فرصة للزوجين لإعادة الحياة الزوجية، إن رأيا أن الخير في ذلك.

ج - التنويه بفخامة أمر النكاح، حيث لم يكن أمراً ينتظم إلا بجمع الرجال، ولا ينفك إلا بانتظار طويل، ولولا ذلك لكان بمنزلة لعب الصبيان، ينتظم ثم يفك في الساعة.

د - إظهار الحزن على الزوج.

هـ - أن مصالح النكاح لا تتم حتى يوطنا أنفسهما على إدامة هذا العقد ظاهراً، فإن حدث حادث يوجب فك النظام، لم يكن بدّ من تحقيق صورة الإدامة في الجملة، بأن تتربص مدة تجد لتربصها بالاً «أي حالاً وشأناً» وتقاسي لها عناء.(٩)

أسباب العدة

تجب العدة على المرأة في الأحوال التالية:

١ - إذا حصلت الفرقة بين الرجل والمرأة بعد الدخول بها حقيقة، سواء أكان النكاح صحيحاً أم باطلاً.

٢ ـ الفرقة بعد الخلوة في النكاح الصحيح، ولو كانت الخلوة فاسدة، فإذا كان العقد فاسداً فلا تجب العدة، ولو كانت الخلوة صحيحة.

٣ ـ تفريق القاضي للعنّة.

٤ ـ تفريق القاضي بإباء الزوج الإسلام، إذا كان الزوجان غير مسلمين، وأسلمت المرأة، وعُرض الإسلام على الرجل وامتنع، وفرّق القاضي بينهما، فحينئذ تجب العدة على الزوجة.

٥ ـ تفريق القاضي باللعان.

٦ ـ تفريق القاضي بسبب نقصان المهر، فإذا تزوجت المكلفة دون إذن وليِّها الغاصب رجلاً كفئاً بأقل من مهر المثل، ودخل بها، فاعترض الولي الغاصب، ولم يُتم الزوج مهر المثل، وفرق القاضي بينهما بناء على طلب الوالي، وجبت عليها العدة.

٧ ـ تفريق القاضي بخيار البلوغ.

٨ ـ إذا ارتد الزوج وفسخ عقد الزواج.

٩ ـ الفرقة بعد الوطء بشبهة كمن زفت لغير زوجها، وتم الدخول فعلاً.

١٠ ـ إذا حصلت الفرقة بالوفاة وكان العقد صحيحاً، وجبت العدة مطلقاً، سواء كانت الوفاة قبل الدخول أو بعده، وذلك لعموم قوله تعالى: (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)(١٠).

عدة الصغيرة

تطلق الصغيرة ويُراد بها تلك التي لم تصل إلى سن البلوغ، أو من بلغت الحلم دون حيض وعدتها على قسمين:

أ ـ فهي إن كانت بسبب فسخ أو طلاق أو تطليق، فعدتها ثلاثة أشهر، إن كانت حرة لقوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن)(١١)، وأما إن كانت أمة فعدتها شهر ونصف.

ب ـ هذا إذا كانت الفرقة بسبب فسخ، أو طلاق، أو تطليق، فأما إن كانت العدة بسبب الوفاة فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، من وقت الوفاة، ودليل ذلك قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً).

عدة ذات الحيض

وتكون لمن حدث بينها وبين زوجها فرقة بغير وفاة، وكانت من ذوات الحيض ولم تكن حاملاً، فإن عدتها حينئذ ـ إن كانت حرة ـ ثلاثة قروء لقوله تعالى: (والمطلقات يتربصون بأنفسهن ثلاثة قروء)، والقرء الطهر بين حيضتين، فإن طُلقت في الطهر حسبت بقية الطهر قرءاً، وإن طُلقت في الحيض اشتُرط مضي ثلاثة أطهار كاملة(١٢) ـ وإن كانت أَمةً ـ فعلى النصف من الحرة، حيضتان، فإنهما أقرب عدد من عدة الحرة، الذي هو ثلاث حيضات، ولا يجوز أن تكون حيضة لأننا حينئذ نكون قد أسقطنا نصف حيضة، ولا يجوز أن يسقط عنها من العدة شيء(١٣).

فإن لم يكن لها عادة من الحيض مستقيمة، وادعت انقضاء الأقراء، صدقت بيمينها.(١٤)

والأقرب إلى الفقه في فهم المقصود من القرء ـ كما يذكر الدكتور محمد سلام مدكور ـ هو أنه بمعنى الحيض، كما قال الأحناف، ومن وافقهم، لأن قول الله سبحانه ـ (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) يدل على أن العدة لمن ترى الحيض ثلاث حيضات، مادامت لليائسات منه ثلاثة أشهر وعلى هذا فالتي تحيض، فإن عدتها ـ في غير فرقة الوفاة تكون ثلاث حيضات كوامل، وهذا بالنسبة للمطلقة بنص الآية، أما بالنسبة لمن فسخ نكاحها، فإنها تحمل على المطلقة لأنها في حكمها»(١٥).

حكم المرأة الحائض إذا لم تر الحيض

إذا طلقت المرأة وهي من ذوات الأقراء، ثم إنها لم تر الحيض في عادتها، ولم تَدْرِ ما سببه فإنها تعتد سنة، تتربص مدة تسعة أشهر، لتعلم براءة رَحمها لأن هذه المدة هي غالب مدة الحمل، فإذا لم يَبْن الحمل فيها، علم براءة الرحم ظاهراً، ثم تعتد بعد ذلك عدة الآيسات ثلاثة أشهر، وهذا ما قضى به سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد قال الشافعي رحمه الله بهذا الخصوص، هذا قضاء عمر بين المهاجرين والأنصار لا ينكره منهم مُنكرٌ علمناه»(١٦).

عدة المستحاضة

تعتد المستحاضة بالحيض، ثم إن كانت لها عادة، فعليها أن تراعي عادتها في الحيض، والطهر فإذا مضت ثلاث حيض انتهت العدة، وإن كانت آيسة انتهت عدتها بثلاثة أشهر.(١٧)

عدة الآيسة

نص القرآن على أن عدة الآيسة ثلاثة أشهر، وذلك في قوله سبحانه: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر).

والآيسة: العجوز التي لا تحيض، أو المرأة التي قعدت من الحيضة، فليست هذه من القروء في شيء، وفي قوله: (إن ارتبتم) في الآية: يعني إن شككتم.(١٨).

وحدُّ سن اليأس مختلف فيه، فقيل: خمسون، وقيل: ستون، والأشهر اثنان وستون سنة، ويعتبر إياسها بإياس أهل بلدها، وقيل بإياس أقاربها من الأبوين.(١٩)

عدة المتوفى عنها زوجها ما لم تكن حاملاً

ينقسم حال المتوفى عنها زوجها، بالنظر إلى العقد، إلى قسمين:

أ ـ من كان عَقْده عليها صحيحاً، وهذه عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، لقوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، من ذوات الحيض أم لا، دخل بها أو اختلى، أو لم يدخل، ولم يختل. وتبدأ العدة من وقت الوفاة، بحيث إذا علمت المرأة يقيناً تاريخ وفاة الزوج، اعتدت من يوم تكون الوفاة، وإن لم تعتد حتى انقضت مدة العدة أجزأها ذلك، لأن العدة إنما هي مدة تمر عليها، فإذا مرت فليس عليها تكرار مثلها.(٢٠).

حكمة التحديد بهذه المدة

ترجع حكمة التحديد بهذه المدة إلى كونها المدة التي تكمل فيها خلقة الولد، وينفخ فيه الروح، بعد مضي ١٢٠ يوماً، والمدة زائدة على أربعة أشهر لنقصان الأهلّة، فجبر الكسر إلى العقد، على طريق الاحتياط، وذكر العشر مؤنثاً، لإرادة الليالي، والمراد مع أيامها، عند الجمهور، فلا تحل حتى تدخل الليلة الحادية عشرة.(٢١)

ب ـ من كان عَقْده عليها فاسداً، فإنها ـ والحال هذه ـ لا تعتد عدة وفاة وإنما تعتد إذا كان قد دخل بها، بالقروء، إن كانت من ذوات الحيض ـ وتعتد بثلاثة أشهر إذا كانت لا تحيض، إلا أن العدة هنا، ليست ناشئة عن عقد الزواج الفاسد، وإنما تنشأ من الدخول الفعلي.(٢٢)

وكما انقسمت عدة المتوفى عنها زوجها ـ غير الحامل ـ بالنظر إلى العقد إلى قسمين، فإنها تنقسم ـ بالنظر إلى كون الزوجة حرة أو أَمَةً ـ إلى قسمين أيضاً:

١ ـ فإن كانت حرة فعدّتها ما تم تفصيله في الأسطر السابقة.

٢ ـ وإن كانت أَمَةً، فعدّتها شهران وخمسة أيام.

يقول الإمام الشافعي في «الأم»: لم أعلم مخالفاً ممن حفظت عنه من أهل العلم في أن عِدّة الأَمَةِ نصف عِدَّة الحرة، فيما كان له نصف محدود ما لم تكن حاملاً، فأما الحيض فلا يعرف له نصف، فتكون عدتها فيه أقرب الأشياء من النصف ـ إذا لم يسقط من النصف شيء ـ وذلك حيضتان.(٢٣).

عدَّةُ الحامل

إذا حدثت الفرقة وكانت الزوجة حاملاً، فإن عدتها تنقضي بوضع الحمل اتفاقاً، في جميع الأحوال، حتى لو كان الحمل بسبب دخول في عقد فاسد، أو بسبب وطء بشبهة، طالت مدة الحمل أم قصرت.(٢٤)

يستوي في ذلك أن تكون حرة، أو أمة، وذلك لقوله تعالى: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) سواء كان الحمل حياً أو ميتاً وسواء كان متخلقاً أو غير متخلق كالمضغة، بخلاف النطفة والعلقة فلا تسمى حملاً.(٢٥)

كما يستوي في وصف الحامل المعتدة أن تكون مُطلّقة، أو تكون قد مات عنها زوجها وذلك لظاهر الآية الشريفة: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)، ولما في صحيح البخاري عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في المتوفى عنها زوجها، وهي حامل، قال: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون لها الرخصة فنزل: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وكما أخرج البخاري أيضاً أن سُبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر تقريباً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «حللت فانكحي من شئت».(٢٦).

حكم الحامل بتوأمين أو أكثر

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: إن كانت حاملاً باثنين، أو ثلاثة فوضعت الأول، فلزوجها عليها الرجعة حتى تضع الثاني، فإن راجعها بعد وضع الأول وهي تجد حركة ولد، أوقفنا الرجعة، فإن ولد ت ولداً آخر، أو أسقطت سقطاً، تبين له من خلق الآدميين شيء فرجعته ثابتة، وإن لم تضع شيئاً إلا ما يخرج من النساء مما يتبع الولد، أو ما لا يتبين فيه شيء من خلق الآدميين فالرجعة باطلة، وكذلك هذا لو وضعت الأوّلين، وبقي ثالث، أو شيء تجده، تراه ثالثاً، أو ثلاثة وبقي رابع، لا تخلو أبداً من زوجها، إلا بوضع آخر حملها، وليس ما يتبع الحمل من المشيمة، وغيرها مما لا يبين له خلق آدمي، حملاً.(٢٧)

ما يجب على المعتدة ـ في أثناء عدتها

أولاً القرار في البيوت: أَلْزَمَ الشارع جميع المعتدات بالقرار في بيت الزوجية، الذي كانت تقيم فيه وقت حصول الفرقة، من نكاح صحيح، سواء أكانت الفرقة من فسخ، أم طلاق أم وفاة.

والحكمة في ذلك بالنسبة للمطلقة طلاقاً رجعياً، واضحة، وهي تيسير أمر الرجعة، وإيجاد السبيل لعودة الحياة الزوجية بينهما ـ على ما كانت إذا لم تكن الكراهة بينهما مستحكمة، فضلاً عن اطمئنان الزوج على مائه من شغل الرحم به أو براءته منه، وقد تكون بالنسبة للمعتدة من طلاق بائن ـ أيضاً ليسهل على الزوجين إعادة الحياة الزوجية بينهما، من جديد برضاها، أما

المعتدة من طلاق بائن بينونة كبرى، فإن القصد لا يظهر إلا باعتبار الاطمئنان من استبراء الرحم، وكذلك بالنسبة للمتوفى عنها زوجها، فلأنها تحتد عليه أيضاً.

والدليل على قرار المعتدة في بيتها، هو قول الله تعالى: (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة)(٢٨).

ولكن ماذا لو أراد الزوج أن يُخرجها من بيت الزوجية؟

الجواب: أنه لا يَحِلُّ له أن يخرجها منها، حتى ولو وقع الطلاق أو حصلت الفرقة وهي غير موجودة فيه، بحيث يجب عليها أن تعود إليه بمجرد علمها، يقول الله تعالى:

(يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلّقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)(٢٩). فعن الفريعة بنت مالك بن سنان، وهي أخت أبي الخضري، أنها جاءت إلى رسول الله - ﷺ - تسأله أن ترجع إلى أهلها، في بني خذرة، فإن زوجها خرج في طلب أَعْبُدٍ له، أبقوا، حتى إذا كانوا بطرفة القدوم لحقهم، فقتلوه، فسألتُ رسول الله - ﷺ - أن أرجع إلى أهلي، فإني لم يتركني في مسكن يملكه، ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم»، قالت: فخرجتُ، حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد، دعاني، أو أمر بي، فدعيت له، فقال: «كيف قلت؟ فرددت عليه القصة، التي ذكرت من شأن زوجي فقال: امكثي في بيتك، حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت فلما كان عثمان بن عفان، أرسل إليَّ، فسألني عن ذلك، فأخبرته فاتبعه، وقضى به.(٣٠)

ثانياً الإحداد وترك الزينة:

ودليله قوله - ﷺ - فيما روى عن أم سلمة - رضي الله عنها أن امرأة توفى عنها زوجها، فخشوا على عينها، فأتوا رسول الله - ﷺ - فاستأذنوه في الكحل، «فقال لا تكتحل، كانت إحداكن تمكث في شر أحلاسها، أو شرِّ بيتها، فإذا كان حولٌ فمر كلب، رمت ببعره، فلا، حتى تمضي أربعة أشهر وعشرا»(٣١).

وكذلك لما روي عن أم سلمة، عن النبي - ﷺ - قال: «المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة، ولا الحلي، ولا تختضب ولا تكتحل»(٣٢).

أما المطلقة طلاقاً رجعياً، فيستحب لها أن تتزين، فقد يؤدي ذلك إلى أن يراجعها زوجها.

وأما المطلقة طلاقاً بائناً، سواء أكانت مبانة بينونة صغرى، أو كبرى فللفقهاء في ذلك آراء:

أ - رأي السادة الأحناف: وجوب الإحداد، لعموم نهي النبي - ﷺ - المعتدة من استعمال الطيب، ولأن الزواج نعمة، وبهذه الفرقة زالت تلك النعمة، فيجب الإحداد لذلك.

ب - رأي الشافعية والمالكية والظاهرية: ليس عليها الإحداد، وحجتهم في ذلك أن الإحداد إنما يكون لحق الزوج، تأسفاً على ما فاتها من حسن معاشرته، وهذا إنما يكون بالنسبة لمن أبقى على زواجها، أما من طلّقها فإنه لم يُبق عليها، أو لم يحسن معاشرتها، فكيف تحتد عليه؟

ج - رأي الإمام أحمد: وقد ورد عنه قولان، قول بالإحداد وقول بعدم وجوبه.(٣٣)

ما يجب للمعتدة

اتفقت كلمة الفقهاء الأربعة، على وجوب النفقة للمطلّقة طلاقاً رجعياً، أما المبتوتة، فمذاهب العلماء حيال حقها في ذلك كالتالي:

١ - مذهب الشافعية والمالكية: تجب لها السكنى بكل حال، ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً وذلك لأن عائشة، وابن المسيب، أنكرا على فاطمة بنت قيس حديثها، قال مالك: «سمعت ابن شهاب يقول: «المبتوتة لا تخرج من بيتها، حتى تحل، وليست لها نفقة، إلا أن تكون حاملاً، فينفق عليها حتى تضع حملها، ثم قال: وهذا الأمر عندنا.

٢ - مذهب الحنفية: تجب لها النفقة والسكنى، مثل المطلّقة الرجعية، لأنها مكلفة بقضاء مدة العدة، في بيت الزوجية فهي محتسبة بحقه عليها، فتجب لها النفقة، وتعتبر هذه النفقة ديناً صحيحاً، من وقت الطلاق ولا تتوقف على التراخي، ولا قضاء القاضي، ولا يسقط هذا الدين إلا بالأداء أو الإبراء.

٣ - مذهب الحنابلة: لا نفقة لها ولا سكنى، لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها طلّقها أَلْبتَّة فقال لها الرسول - ﷺ - ليس عليه نفقة.(٣٤).

ما يجب للمعتدة - لوفاة الزوج

ذهب الجمهور إلى أنه لا نفقة لها ولا سكنى مطلقاً، حاملاً كانت، أو حائلاً، وذهب بعضهم إلى أن لها النفقة والسكنى مطلقاً، وقيَّد بعضهم وجوب النفقة والسكنى بأن تكون حاملاً، وقيل إن الحامل المتوفى عنها زوجها، لها النفقة دون السكنى وقيل العكس.

ودليل الجمهور أن آيات القرآن لم يرد فيها ذكر النفقة إلا للمطلقات الحوامل والزوجات، إذ يقول - جل شأنه - : (وللمطلقات متاع بالمعروف)، ويقول - جل شأنه -: (وإن كنَّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) الطلاق:٧، كما استدلوا بأن

الاحتباس هنا لحق الشرع، لا للتعرف على براءة الرحم، بدليل أنها تجب على الآيسة التي لا تحمل لبلوغها سن اليأس، وانقطاع حيضها، كما تجب على العقيم التي لا تلد أبداً.(٣٥)

ما يجب للمعتدة من دخول في ظل عقد فاسد، أو وطء شبهة

وهذه لا نفقة لها، ولا سكنى، عند الحنفية، إذ لا زوجية بينهما، وحال العدة يعتبر بحال ما تكون منه، وهي قبل الفرقة لا تستحق أي نفقة عليه، حاملاً كانت أو حائلاً، لانعدام الزواج، وإنما وجبت العدة لمجرد استبراء الرحم، ومنعاً من اختلاط الأنساب، وقد وافقهم الظاهرية في الحالين.

هذا وما يسقط حق المعتدة - على وجه العموم - فيما وجب لها، أمورٌ منها:

١ - أن تخرج من بيتها من دون عذر، إذ تعتبر - والحال هذه - ناشزاً، فضلاً عن أنها آثمة وذلك على المذهب الحنفي - فالناشز لا نفقة لها، وكذلك إذا كانت سليطة اللسان على أهله المقيمين في بيته، والمتردِّدين عليه.

٢ - موت المعتدة نفسها.

٣ - ارتداد الزوجة، وهي في العدة، لأن ردَّتها معصية من جهتها تستوجب حبسها حتى تتوب.

٤ - موت المطلق بعد القضاء لها بها.(٣٦) ■

الهوامش:

١ - راجع: لسان العرب لابن منظور، مادة (ع.د.د)، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ج١ ص٣٢٤.

٢ - اختار هذا التعريف الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور في كتابه: الوجيز في أحكام الأسرة في الإسلام، ص٣٦٠، نشر دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٥م.

٣ - البقرة من الآية ٢٢٨.

٤ - البقرة من الآية ٢٣٤.

٥ - الأحزاب: ٤٩.

٦ - الطلاق: ١، ٢.

٧ - الطلاق: ٤.

٨ - صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ج٣، ص٢٨٣، طبع دار إحياء الكتب العربية، نشر المكتبة التوفيقية.

٩ - راجع في ذلك فقه السنة للشيخ سيد سابق ٢١٨/٢، وكذلك الفقه على المذاهب الأربعة ٥١٤/٤.

١٠ - يراجع في هذا: الأحوال الشخصية «تعليق على نصوص العقوبات للمستشار أحمد نصر الجندي، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

١١ - جاء في سبب نزول هذه الآية: (أن سيدنا رسول الله - ﷺ - سئل لما نزلت الآية المتعلقة بالعدة، والواردة في سورة البقرة، وهي قوله - تعالى - (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء).

أقول: سئل سيدنا - رسول الله ﷺ - حين نزول هذه الآية: لقد بقي من عدة النساء عدة لم تذكر في القرآن: الصغار - والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل، فأنزل الله هذه الآية.

راجع في هذا: روح المعاني للألوسي، ج٢٨، ص ١٣٦، ١٣٧.

١٢ - انظر الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٨.

١٣ - راجع: الأم، للإمام الشافعي، ج٥ ص ٢١٦.

١٤ - انظر: الفقه الميسر: ص ٣١٨.

١٥ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور، ص ٣٦٣، وما بعدها.

١٦ - انظر: فقه السنة، للشيخ سيد سابق، ج٢، ص ٢٢٠.

١٧ - المرجع السابق، ٢٢١/٢.

١٨ - فقه السنة، ٢٢٠/٢.

١٩ - الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٨.

٢٠ - الأم، للإمام الشافعي ٢١٦/٥ (بتصرف).

٢١ - راجع: فقه السنة، للشيخ سيد سابق، ٢١٩/٢.

٢٢ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور، ص ٣٦٦.

٢٣ - الأم، ٢١٦/٥.

٢٤ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، أ.د. محمد سلام مدكور، ص ٣٦٦.

٢٥ - الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٩.

٢٦ - صحيح البخاري ٢٨١/٣.

٢٧ - الأم، للإمام الشافعي ٢٢١/٥، وراجع كذلك زاد المعاد ١٨٤/٤.

٢٨ - الآية الأولى من سورة الطلاق، وراجع الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام أ.د.محمد سلام مدكور، ص٣٧٩، وما بعدها.

٢٩ - الطلاق، الآية الأولى.

٣٠ - رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والترمذي، وانظر فقه السنة ٢٢٤/٢.

٣١ - الحديث الشريف متفق عليه، وانظر نيل الأوطار للشوكاني، ٢٩/٢/٦.

٣٢ - رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وانظر نيل الأوطار، ٢٩٦/٦.

٣٣ - راجع في ذلك: الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور ص ٣٨٢، ٣٨٣.

٣٤ - انظر: فقه السنة، ج٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

٣٥ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، ص ٣٨٤.

٣٦ - المرجع السابق، ص ٣٨٩.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

هل تمحو التكنولوجيا تاريخنا المعاصر؟

تحت عنوان: «احذروا... التكنولوجيا تمحو تاريخنا المعاصر» نشرت مجلة «التايم» البريطانية مقالاً تناول بالتحليل الخسائر الجسيمة التي تتعرض لها المعلومات العلمية والتاريخية من جراء تخزينها على الشرائط المغناطيسية يقول المقال:

لا يتصور ميشيل وستيف بريغهام من نيويورك العيش من دون ابنتهما كورتني «ست سنوات» ولا يتصوران استخدام كاميرا الفيديو أو كاميرا التصوير العائليتين من دونها، وهذان الوالدان، مثل ملايين الأهالي، صوَّرا شرائط فيديوية والتقطا صوراً فوتوغرافية حالما رأت طفلتهما النور، فصورا أولى حركاتها والخطوات وعيد الميلاد الأول وعشرات من الأحداث ليحفظاها في مكتبة منزلية تنامت باطراد لتحتوي أكثر من ١٨٠٠ دقيقة من التسجيلات الفيديوية وثلاثة آلاف صورة فوتوغرافية، وتعترف ميشيل بأن ذلك «ربما كان إفراطاً، لكني أعتقد أن كورتني ستقدر ذلك عندما تكبر».

المؤسف أن كورتني قد لا تجد شيئاً تشاهده، فعندما تبلغ الثلاثين، ربما يكون ضوء الشمس قد مسح معظم الألوان في صور الطفولة، وحتى لو استطاعت شرائط الفيديو تخطي امتحان الزمن بحره ورطوبته، فقد لا تجد كورتني جهاز فيديو مناسباً حتى تشاهد ما فيها.

ليست شرائط الفيديو المنزلية واللقطات الفوتوغرافية وحدها المعرضة للخطر، فاختصاصيو المكتبات والأرشيف يحذرون من أننا قد نخسر مقادير كبيرة من معلومات علمية أو تاريخية بفعل التلف والتقادم، فحتى الآن ضاع ٢٠ في المائة من البيانات المجموعة عن كمبيوترات مختبر الدفع النفاث لدى وكالة الفضاء الأمريكية خلال رحلة «فايكنغ» إلى المريخ عام ١٩٧٦م.

ويهدد الخطر أيضاً أربعة آلاف شريط من المعلومات الإحصائية السكانية المخزنة في سجلات أشد قتامة من أن يأمل اختصاصيو الأرشيف في استعادتها وبحلول السنة المقبلة، يكون ٧٥ في المائة من سجلات الحكومة الفدرالية الأمريكية مخزناً بصورة الكترونية، لكن أحداً لا يعرف مقدار ما نستطيع قراءته منها في غضون عشر سنين، وعن هذا قال أبي سميث من «مجلس المكتبات ومصادر المعلومات» إنه «كلما تطورنا تكنولوجياً اشتد ضعفنا».

مستقبل مظلم

طيلة سنين كان علماء الكمبيوتر يقولون: إن متواليات الواحد والصفر في البيانات الرقمية ستبقى إلى الأبد، لكنهم كانوا على خطأ، فقد أظهرت اختبارات أجريت في مختبر حكومي أمريكي في «مينيسوتا» أن الشرائط المغناطيسية قد تبقى صالحة عشر سنين فحسب، وكل شيء يتوقف على شروط التخزين، ولذلك يعتبر مستقبل الأقراص المرنة والشرائط الفيديوية مظلماً، وحتى الأقراص المدمجة التي اعتبرت من قبل مقاومة للفساد تبين أنها تتأثر بالحقول المغناطيسية العشوائية والأكسدة والرطوبة والتآكل، وليست هشاشة الوسائل الإلكترونية هي المشكلة الوحيدة، فكثير من المعدات والبرامج «الكمبيوترية» اللازمة لاستخراج المعلومات الواضحة من الأقراص والشرائط المخزونة يختفي من سوق الاستعمال باسم التقدم، وعن ذلك يقول «شارلي ماين» الذي يدير مختبر الحفاظ على الوسائط في الأرشيف القومي الأمريكي إن التكنولوجيا تتقدم بسرعة كبيرة».

ويستند شارلي إلى خبرته ففي الثمانينيات حول الأرشيف القومي نحو ٢٠٠ ألف وثيقة وصورة إلى أقراص ضوئية صارت في خطر عدم القدرة على قراءتها لأن النظام الذي استعمله المؤرشفون لم يعد موجوداً في السوق.

ويقول «سميث» الذي صارت أطروحته العلمية حبيسة قرص مرن متقادم أن المعلومات ليس أمامها فرصة كبيرة للبقاء إلا إذا احتفظت بمتحف لآلات التسجيل، وأجهزة الكمبيوتر «المتقادمة» لديك، وهذه الفكرة لا تجانب الصواب، فقد احتفظ «ماين» في مقر الأرشيف الوطني ذي الظروف الجوية المثبتة بكثير من الآلات التي استعمل في تسجيل التاريخ، وفي إحدى الغرف كل المؤرشفون يعملون على «إحياء» خطبة ألقاها الرئيس الأسبق «هاري ترومان» خلال جولة انتخابية بالقطار.

إنقاذ ما يمكن إنقاذه

والخطب من هذا النوع كانت مسجلة على شرائط فولاذية رقيقة هي أسلاف بكرات التسجيل الطويلة ورغم أن كثيراً من الشرائط الفولاذية تفتت بسبب الصدأ خلال التشغيل، فقد عمل «ماين» وفريقه على إنقاذ ما يمكن إنقاذه ونقله في وسائط حديثة، لكن النقل لم يكن للأسف حلاً صحيحاً فقد قال سميث: ليس جميع المعلومات ينتقل دوماً، وفي الآونة الأخيرة أفادت وكالة الأغذية والأدوية الأمريكية أن بعض شركات الصيدلة وجدت أخطاء حين نقلت بيانات اختبار الأدوية الجديدة من نظام «يونيكس» إلى نظام «ويندوز - إن - تي» ما العمل إذن؟ حسب ما يرى سميث «هذه مسألة لا يملك أحد جواباً عنها»، ربما يتمثل أحد الحلول بالفعل بين غير المهم وذي الأهمية التاريخية وتخزينه في إصدارات بسيطة. لكن اتخاذ مثل هذا القرار غير بسيط، لا سيما بالنسبة إلى عائلات مثل ميشيل وستيف بريغهام اللذين يواصلان تصوير شرائط الفيديو لابنتهما، وقال الأبوان: «لا نريد أن نفقد شيئاً»، لكنهما ربما يفقدان الكثير للأسف!!. ■

إعداد د. تمام أحمد

مشكلة الكمبيوترات عام ٢٠٠٠ تهدد اقتصاديات العالم

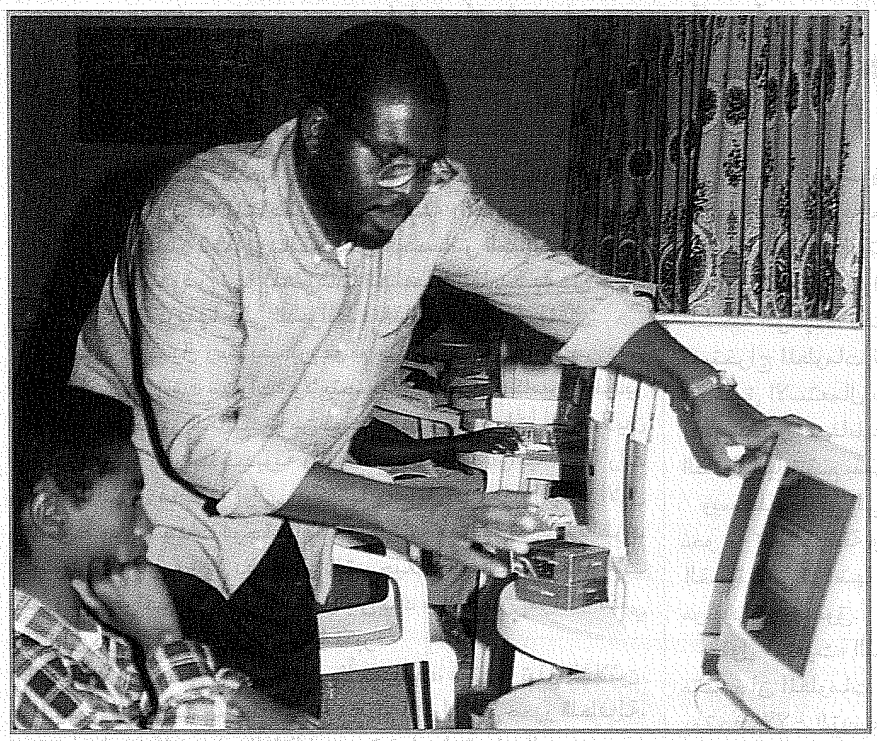

الاستحقاق المحتوم للعام ٢٠٠٠ والكارثة التي ستنجم عنه لكل مستخدمي أجهزة الكمبيوتر تقترب منا كدقات الساعة لقنبلة موقوتة ولكن لا أحد يعي كثيراً مدى أبعادها وخطورتها، إن التأثير المحتمل لـ«علة القرن»، كما يطلق عليها بلغة المبرمجين سيكون هائلاً، ويشبه البعض الجهود المبذولة لتحاشي حدوث انهيار في أنظمة الكمبيوتر بعملية نزع فتيل أكبر قنبلة في التاريخ، وتنجم مشكلة العام ٢٠٠٠م «وهو اسم آخر للمشكلة» من ساعات الزمن في أجهزة الكمبيوتر التي تحدد السنوات في شكل آخر رقمين في العام والمشكلة تكمن في أن أجهزة الكمبيوتر لن تستطيع التمييز بين العام ٢٠٠٠ والعام ١٩٠٠م عند اليوم الأول من بدء الألفية الجديدة.

وترجع جذور المشكلة إلى طريق البرمجة المستخدمة في السنوات السابقة عندما كانت ذاكرة الكمبيوتر مكلفة للغاية ولذلك اعتبر أن استخدام رقمين بدلاً من أربعة لتحديد التاريخ طريق مختصر وفعال، بنك أمريكا كورب وحده يوظف ١٠٠ موظف للعمل على حل هذه المشكلة واستأجر مئات آخرين خارج نطاق العقود للمساعدة في تنفيذ المهمة، ويعرض على المبرمجين والخبراء في الكمبيوتر مبالغ طائلة إذا ضمنوا البقاء مع الشركة حتى انقضاء الموعد النهائي.

إلا أن المحللين حذروا من أن عملية الإصلاح الهائلة ستتطلب موارد مالية وبشرية كبيرة على حساب ميادين ومجالات أخرى، مما سيؤثر سلباً على الاقتصاديات المحلية، وتوقع مجلس الاحتياطي الاتحادي الأمريكي «البنك المركزي» بأن ينخفض النمو في العامين المقبلين نتيجة هذا التحول الكبير في المبرمجين والتقنيين للعمل على حل مشكلة القرن.

وفي بعض القطاعات استفحلت العلة بالفعل، فقد وجدت مجموعة «تيسكو» لسلسلة المحلات الكبرى في بريطانيا أن أجهزة الكمبيوتر لديها ترفض قبول البضائع المعلبة من أحد الموردين فأعادتها لهم، وكشفت التحقيقات أن تاريخ انتهاء صلاحية العلب هو ٢٠٠٠م، وفسرت أجهزة الكمبيوتر ذلك بأنه يعني أن البضائع قد تم تعبئتها في نهاية القرن الماضي، وبالتالي نفذ مفعولها ولم تعد صالحة.

وفي مصنع روفر لصناعة السيارات في بريطانيا رفضت أجهزة الكمبيوتر إصدار عربات بضمانات مدتها ست سنوات لأنها اعتبرت أن السيارات قد صنعت في العام ١٩٠٠م، كما أن حاملي بطاقات الائتمان في جميع أنحاء العالم بدأوا بالفعل يتأثرون لأن أجهزة الكمبيوتر في البنوك والمحلات وغيرها ترفض بطاقاتهم ذات الصفرين.

وفي عالم الإنترنت ازداد عدد الشركات التي تقدم خدمات البقاء بعد العام ألفين، وتتراوح هذه الخدمات من الملاجئ إلى الكتب حول البقاء بعد العام ألفين، وكأن حرباً عالمية على الأبواب، بعض الخائفين بدأوا بتخزين المؤن الغذائية خوفاً من حدوث توقف أو شلل في الإمدادات الغذائية بينما بدأ البعض الآخر وخاصة في الولايات المتحدة بتخزين البنادق وشراء الملاجئ والمخابئ في الأرياف للدفاع عن أراضيهم، وتعليقاً على مسألة الأمن العالمي، حذر جون كوسكينين مستشار الرئيس الأمريكي أخيراً من أن الدفاعات العسكرية الأمريكية وترسانتها النووية قد تتضرر، ويُقال إن وزارة الدفاع الأمريكية قلقة جداً بشأن احتمال فشل نظم الصواريخ النووية الروسية إلى درجة أنها تدرس تقديم المساعدة للتأكد من عدم وجود إنذارات كاذبة قد تسبب في حدوث هجوم نووي. ■

الشرق الأوسط

مولدات طاقة تحت مياه البحار

ستشهد نهاية هذا القرن ولادة جيل جديد من مولدات الطاقة الكهربائية الغريبة التي تعمل تحت مياه البحار بموجات أرخميدس وقد صرح المهندس الالكتروني «فردغاردنو» الذي اخترع هذه التقنية الجديدة بأنه أطلق اسم العالم الإغريقي ارخميدس على اختراعه اعترافا بفضله وتكريما لعبارته الشهيرة (يوريكا) أي وجدتها.

وتعتبر تقنية توليد الطاقة الكهربائية بواسطة أمواج البحار من أوفر وأكثر التقنيات اقتصادا للجهد والمال إذ تتكون من مولدات مثبتة في قاع البحر فوق أعمدة معدنية غير قابلة للصدأ تعلوها غطاءات شبيهة بقبعات فطرية الشكل تدفعها الأمواج الى أعلى ثم إلى أسفل بوتيرة تمكنها من توليد الطاقة. ■

مجلة الوسط

تليسكوب «شاندرا» يقرأ الجريدة عن بعد نصف ميل

أطلق قبل أيام أضخم وأقوى وأدق تليسكوب يعمل بواسطة أشعة إكس، في رحلة تستغرق خمسة أعوام لسبر أغوار المجرات والبحث عن علامات في الثقوب السوداء.

وهذا التليسكوب المعروف باسم شاندرا اكس راي أوبسرفاتوري المكون من أربعة طوابق ونصف الطابق ادخل إلى المركبة الفضائية كولومبيا، وهذا التليسكوب أقوى بـ ١٠ ـ ١٠٠ مرة من أي من التليسكوبات الأخرى التي أطلقت في رحلات مدارية في الماضي، إذ بوسع هذا التليسكوب قراءة صحيفة من على بعد نصف ميل، ويعلق رئيس وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» كين ليوبيتر «يمكننا أن نجعل سوبرمان يغار منا، من خلال قدرة تليسكوب أشعة إكس على رؤية الأشياء بدقة، ومن المقرر أن يطلق المكوك الذي تقوده للمرة الأولى امرأة هي ألين كولينز، التليسكوب chandra بعد سبع ساعات من بدء الرحلة، وسوف يبدأ التليسكوب عمله بعد شهر من إطلاقه.

مرايا مسطحة

ومن المعروف أن أشباه النجوم والمجرات وبقايا النجوم المنفجرة والكائنات السماوية الأخرى تنتج أشعة إكس لكن هذه الأشعة ليست مرئية للتليسكوبات التي تعمل على الأرض.

لكن الإشاعات سوف تدخل مباشرة إلى مرايا مسطحة كتلك التي تستخدم لتركيز الضوء على تليسكوب هابيل الفضائي، ولذلك سوف يستخدم تليسكوب شاندرا chandra مرايا مخروطية الشكل، وسوف تلامس موجات الضوء سطح المرايا المخروطية كما يلامس حجر صغير سطح ماء ساخن.

ويقول مارتين ويسكبوف العالم الذي يعمل في المشروع منذ عامين أن «هذا هو عصر تستخدم فيه الأشياء الخارقة في كل شيء من الرياضة إلى السياسة، واستخدمنا هذه المواد مع التليسكوب أنها خطوة جبارة بالفعل».

وبلغت تكلفة هذا التليسكوب الذي انجزت بناءه مؤسسة Trw نحو ١,٥بليون دولار.

أما العملية كلها بما فيها المكوك نفسه فتصل تكلفتها إلى ٢,٨ بليون دولار. ■

يو إس ايه توداي

المؤتمر الإسلامي يستنكر إقامة وتوسيع المستوطنات اليهودية

في إطار خطة إسرائيل الرامية إلى فصل القدس عن الضفة الغربية وتهويدها كاملة.. يتابع المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس بقلق واستياء شديدين إجراءات السلطات الإسرائيلية التعسفية والاستفزازية وذلك من خلال فرض سياسة الأمر الواقع التي تنتهجها إسرائيل على أرض القدس الشريف وباقي مدن فلسطين، حيث اتخذت الحكومة السابقة لإسرائيل بقيادة رئيس وزرائها نتنياهو قراراً بتوسيع ما سمي مستوطنة «معاليه ادوميم» بحيث تشكل ضاحية كبيرة للقدس بهدف توسيع الاستيطان حول القدس لربط الأحياء اليهودية الواقعة على الحدود البلدية للمدينة «بمعاليه ادوميم»، كما يستهدف القرار فصل القدس عن الضفة الغربية وشطر الضفة إلى قسمين.

والمؤتمر الإسلامي يعرب عن سخطه واستنكاره كذلك لكل الاعتداءات على حرمة المساجد في القدس الشريف، فقد ورد لمكتب المؤتمر الإسلامي أخبار عن اعتداءات على مسجد عين كارم، حيث تم إغلاق مدخله بالباطون، ولوحظ الانتهاك الصارخ لحرمة المسجد حيث تحتوي قاعة الصلاة على مخلفات متعاطي المخدرات، كما تم رسم صورة مئذنة مسجد تحيطها أفعى داخل قاعة الصلاة وكتب بجانبها «خطر على الجمهور»، وفي مسجد المالحة لم يستطع أحد الدخول إليه بتاتاً بسبب إغلاق جميع منافذه فقد قام اليهود بالسيطرة على أجزاء كثيرة منه حيث امتدت بيوتهم إلى داخل المسجد وقاموا أيضاً بنصب خيمة على سطح المسجد ووضعوا الفرش والكراسي لقضاء السهرات، ومسجد عسقلان الذي حولته الشركة الاقتصادية لبلدية عسقلان إلى متحف وتم افتتاح مطعم بداخله.

والمؤتمر الإسلامي إذ يستنكر وبشدة كل هذه الإجراءات والأعمال الظالمة بحق أهلنا وإخوتنا في القدس وفلسطين... ليطلب فوراً من المجتمع الدولي ممثلاً بهيئة الأمم المتحدة ولجان حقوق الإنسان في العالم والمنظمات والجمعيات الإنسانية المنتشرة في أرجاء العالم لوقف كل أعمال الاستيطان هذه، خاصة أعمال البناء في جبل أبو غنيم ورأس العامود بالإضافة إلى قرار توسيع مستوطنة «معاليه أدوميم» والانتهاكات لحرمة المساجد.

والمؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس يجري اتصالاته مباشرة مع المنظمات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية الإنسانية في الداخل والخارج للوقوف على هذه الإجراءات الظالمة بحق الإنسان والأرض في فلسطين.

إن المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس يناشد الأمتين العربية والإسلامية لتوحيد صفوفها وجهودها لمنع السلطات الإسرائيلية من التمادي في توسيع المستوطنات وسلب الأراضي من أصحابها وتشريدهم بهدف تهويد الأرض وتطهيرها من كل ما هو عربي ومسلم.

إن هذه الأعمال الاستفزازية والتعسفية من قبل السلطات الإسرائيلية جعلت المنطقة وخاصة منطقة القدس، منطقة شديدة الخطورة، قابلة للانفجار وأعمال العنف والدمار في أي لحظة.

والمؤتمر الإسلامي العام يهيب بمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، وجامعة الدول العربية، وهيئة الأمم المتحدة، وجميع المنظمات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية والإنسانية والعالمية الخيرة في هذا العالم، يناشدها جميعاً للعمل يداً بيد لمنع السلطات الإسرائيلية من إجراءاتها الاستفزازية والتعسفية الظالمة والوقوف إلى جانب الحق والعدل والمساواة بين أبناء البشر للعيش بسلام وحرية وطمأنينة حتى يعم السلام في مدينة السلام... مدينة القدس الشريف. ■

مصر تحتفل بدخول الإسلام إليها

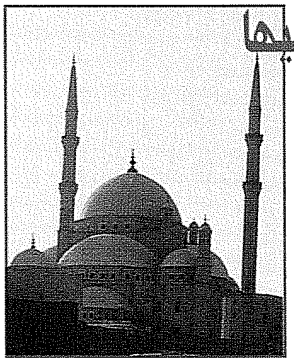

سيقام احتفال عالمي في القاهرة بمرور ١٤٠٠ سنة على دخول الإسلام إليها. وقد قرر مجلس الوزراء المصري تشكيل لجنة من وزراء الإعلام والأوقاف والثقافة للإعداد لهذا الاحتفال.

وذكر وزير الأوقاف المصري الدكتور محمود حمدي زقزوق أن وزارة الأوقاف المصرية ستبرز هذه المناسبة العظيمة وتصحح كل ما يكتب من مغالطات وافتراءات عنها.

وأضاف: أن الوزارة تسعى لتسليم أوقاف الأزهر إلى إدارة الأزهر وهي ٢٠٠٠ فدان وست عقارات.

وتجري الوزارة اختبارات لـ ٣٠٠٠ داعية جدد لإجازتهم في العمل الدعوي وأن الوزارة ضمت ٢٢ ألف مسجد وستة آلاف مصلى صغير وتم إنشاء مستشفى للدعاة كلف ٨٠ مليون جنيه مصري و ٥٠ مستوصفاً ملحقة بالمساجد الكبرى تابعة لمستشفى الدعاة. وسيتم إنشاء مستشفيين جديدين للدعاة في الشمال والجنوب من مصر، وقدمت وزارة الأوقاف ألف فدان من الأراضي ونصف مليون متر مربع لبناء مدارس ومستشفيات ومراكز للشباب بسعر رمزي. ■

سكان العالم ٦ مليارات

في صباح ١٩٩٩/٧/١٩م ومع ولادة طفل آخر في الساعة الواحدة وأربع وعشرين دقيقة، وصل عدد سكان الأرض إلى ستة مليارات نسمة، حيث أصبح يمثل هذا المولود الجديد لخبراء التضخم السكاني اتجاهاً مقلقاً، إذ وصل عدد سكان الأرض في أقل من ٤٠ عاماً إلى ضعف ما كان عليه.

وعلقت ايمي كوين رئيسة منظمة «العمل السكاني الدولي» في تصريح لصحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية الأسبوعية قائلة: «خلال التطور الإنساني عبر التاريخ تكاثر الناس حتى وصل عدد سكان الأرض عام ١٨٠٤ إلى مليار نسمة، لكن بعد ذلك وخلال أكثر بقليل من ١٥٠ سنة، أي عام ١٩٦٠م، وصل عدد سكان الأرض إلى ثلاثة مليارات نسمة»، مضيفة أن هذا الرقم تضاعف ليصل إلى ستة مليارات في أقل من ٤٠ عاماً.

وهذه الأرقام، التي قدمها مكتب الإحصاء السكاني الأمريكي، «لا تعني أنها بهذه الدرجة من الدقة، أي معرفة كل مولود على وجه الأرض»، حسب رأي متحدث باسم المكتب، الذي أضاف أن المكتب يعتقد أن عدد سكان الأرض حسب التوجهات الإحصائية قد وصل في الساعة الواحدة و٢٤ دقيقة من صباح اليوم إلى ستة مليارات نسمة، لكن منظمة الأمم المتحدة تقول إن البشرية لن تصل إلى هذا الرقم قبل ١٢ أكتوبر المقبل.

مهما تكن التقديرات، فإن تعداد السكان وصل إلى درجة مقلقة من التضخم، حيث يزداد عدد سكان الأرض بمقدار ٧٨ مليوناً في السنة، مضيفين بذلك مدينة بحجم سان فرانسيسكو الأمريكية كل ثلاثة أيام، الأمر الذي أصبح منهكاً لموارد الأرض الطبيعية التي أصبحت شحيحة. وتضيف الصحيفة أن هذه الزيادة السكانية حدثت رغم أن نصف نساء العالم يستعملن وسائل منع الحمل مقارنة مع ١٠ في المائة فقط قبل ٣٠ عاماً. وقد انخفضت نسبة الإنجاب عند النساء في ٦١ دولة من أصل ١٩١ دولة في العالم إلى أقل من ٢,١ طفل للمرأة، لكن المجتمعات البشرية تحتاج إلى ٧٠ عاماً للوصول إلى نسبة إخصاب مستقرة.

ومع أن النمو السكاني تباطأ في السنين الأخيرة، إلا أن الخبراء يتوقعون أن يتضاعف الرقم مرة ثانية ليصل إلى ١٢ ملياراً مع حلول عام ٢٠٥٠. ■

٢٩ مليون نسمة عدد سكان الجزائر ربعهم أميون

أشارت نتائج الإحصاء العام للسكان والسكن في الجزائر والذي أنجز في يونيو في العام الماضي أن عدد سكان الجزائر بلغ ٢٩,٢٧٢,٣٤٢ نسمة تمثل النساء منهم نسبة ٤٩,٤٤ في المائة أي ١٤,٤٧١,٣١٨ امرأة، وحسب الديوان الوطني للإحصاء فإن ٧,١ مليون جزائري أميون كما أن متوسط عمر الزواج بلغ أكثر من ٣١ عاماً بالنسبة للرجال و ٢٧ سنة لدى النساء في حين أن ٦٥,٤٥ في المائة من البالغين من الرجال والنساء يعيشون حياة العزوبية.

وقال تقرير الديوان، الذي نشر يوم ١٩٩٩/٧/٧م، أن أكثر من ٨٠ في المائة من السكان يتواجدون في المدن الكبرى والمتوسطة وتحتل الجزائر العاصمة المقام الأول من حيث عدد السكان المقيمين فيها بـ ٢,٥ مليون ساكن ثم تليها ولاية سطيف شرقي البلاد بـ١,٣ مليون نسمة وتأتي ولاية وهران غربي الجزائر في المركز الثالث بـ١,٢ مليون نسمة وفي المقام الرابع ولاية تيزي وزو «البربرية» بـ١,١ مليون نسمة. ■

ازدياد الفقراء في اليمن والكثيرون يعانون من سوء التغذية

قال تقرير للأمم المتحدة حصلت عليه رويترز إن السكان في اليمن الذي يعاني من معدل مرتفع للنمو السكاني يزدادون فقراً وأن كثيرين منهم يعانون من سوء التغذية.

وقالت الأمم المتحدة في أحدث تقاريرها عن التنمية البشرية إن نسبة الفقراء ارتفعت إلى ٢٧ في المائة في ١٩٩٨م أو ٤,٣ مليون نسمة بالمقارنة مع ١٩,١ في المائة في ١٩٩٢م أو ٣,٢ مليون نسمة.

وقيس مستوى الفقر بالحرمان فيما يتعلق بالاستهلاك والرعاية الصحية والتعليم وعوامل أخرى.

وأضاف التقرير أن السكان يتضاعفون كل ١٩ سنة على أساس معدل للنمو يبلغ ٣,٧ في المائة في السنة سجل بين ١٩٨٨ و ١٩٩٤، وتوقع أن يصل عدد السكان إلى ١٨,٩ مليون نسمة في ٢٠٠١م.

ويبلغ عدد السكان حالياً وفقاً للتقديرات الرسمية ١٧,٥ مليون نسمة.

وينفذ اليمن منذ عام ١٩٩٥م برنامجاً للإصلاح الاقتصادي بمساعدة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

ويقول اقتصاديون إن اليمن لم يشعر بعد بمنافع الإصلاح الكاملة ومازال يعاني من أثر هبوط أسعار النفط العام الماضي.

وقال التقرير: «يعاني اليمنيون بصفة عامة من سوء التغذية»، مضيفاً أن اليمن لم يحقق الاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية.

وتابع: أن البطالة «من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الرئيسة التي تواجه المجتمع اليمني». ■

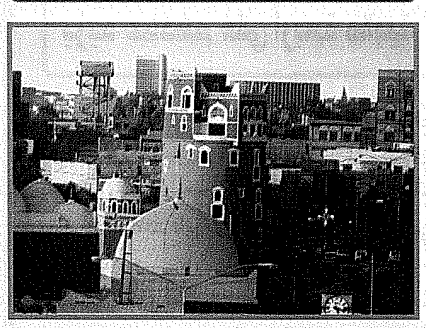

نظام العولمة يفتقر إلى الإنسانية ويعمق الفارق بين الدول الغنية والفقيرة

انتقد التقرير السنوي الأخير لبرنامج التنمية للأمم المتحدة بشدة المخاطر الجسيمة التي يشكلها نظام الطابع الشمولي المعروف بـ«العولمة» للعلاقات الدولية ومستقبل الشعوب الفقيرة في العالم.

وأضاف التقرير أن هذا النظام العالمي الجديد «يخدم مصالح الدول الغنية وأرباح الشركات المتعددة الجنسيات ولا يخدم مصالح الشعوب لا سيما في الدول النامية، كما أنه لا يخدم مستقبل البشرية بشكل عام». وجاء في تقرير برنامج التنمية للأمم المتحدة والذي يتخذ من فيينا مقراً له أن الطابع الشمولي العالمي المتنامي لحركة الإنتاج والمال أدى إلى زيادة الارتباط المتبادل بين البشر في العالم بأسره.

من ناحية أخرى أكد التقرير أنه في الوقت نفسه أدى هذا التوجه القائم على التطور التكنولوجي أيضاً إلى تعميق الفارق والهوّة بين الدول الغنية المتقدمة والدول الفقيرة النامية في العالم.

وأوضح أن هذا التطور الخطير أدى إلى تقسيم العالم إلى «دول وشعوب مستفيدة وفاعلة في هذا النظام وأخرى متلقية لنتائج هذا النظام وانعكاساته السلبية»، وعزز ممثل برنامج التنمية للأمم المتحدة هانس دورفيل، خلال بيان صحفي استنتاجات التقرير بسلسلة من الأمثلة والأرقام مشيراً إلى أن حوالي خمس سكان العالم يملكون ٨٦ في المائة من الناتج الإجمالي الاقتصادي العالمي و٨٢ في المائة من أسواق التصدير العالمية و ٦٨ في المائة من الاستثمارات الخارجية الإجمالية المباشرة و٧٤ في المائة من مجموع خطوط شبكة العالم الهاتفية. وأردف دورفيل قائلاً إن كل ذلك مقابل حصة بنحو ١ في المائة فقط لخمس سكان العالم الأشد فقراً في مختلف هذه المجالات المهمة للبنية التحتية.

وذكر التقرير أن شعوب الدول الغنية المتقدمة التي لا تمثل سوى نحو ١٧ في المائة من مجموع السكان في العالم تسيطر على نحو ٨٨ في المائة من شبكة الإنترنت وتقنيات الاتصالات الحديثة في العالم.

وأكد تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية أيضاً أن نظام العولمة قد زاد من المخاطر على أمن وحياة البشر في مختلف أنحاء العالم

وأشار إلى أن عصابات الجريمة المنظمة بأشكالها المختلفة تحقق حالياً مبالغ تقدر بنحو ١,٥ مليار دولار أمريكي بطريقة غير مشروعة نتيجة التهريب والاتجار غير المشروع بالمخدرات والأسلحة والنساء والأطفال اللاجئين.

وقال التقرير: إن شعوباً عديدة أصبحت تشعر بالخطر في المجال الثقافي للنظام العالمي الشمولي الجديد «لأن عملية التبادل الثقافي أصبحت تسير باتجاه واحد ولأن العادات والممارسات الثقافية الأمريكية هي التي أصبحت مسيطرة في جميع أنحاء العالم».

وخلص التقرير إلى القول: إن هذا النظام العالمي الجديد: «يفتقر إلى الإنسانية فقد يكون اقتصاد السوق السبيل الأفضل لدعم الإنتاج لكنه لا يصلح للتنمية البشرية وتطور الإنسانية».

وأكد الخبير دورفيل أنه بالإمكان تفادي هذا النقص ومواجهة الإفرازات الجانبية السلبية لنظام العولمة وذلك على الأصعدة المحلية والوطنية والإقليمية والدولية، وطالب باتخاذ إجراءات تمكن من مراعاة احتياجات البشر الثقافية والاجتماعية في البرامج الاقتصادية الشاملة للعالم وذلك عبر التفكير في إنشاء «منتدى عالمي يضم الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية والنقابات» لبدء حوار عالمي يمكّن من سماع صوت الشعوب الفقيرة أيضاً وإشراكها بشكل أفضل في صنع القرارات ضمن هذا النظام العالمي الشمولي الجديد. ■

يزيد عددهم على أربعة ملايين :

ثلث أطفال بريطانيا يعيشون دون حد الفقر

حذر باحثون من أن ثلث أطفال بريطانيا أي ما يزيد على أربعة ملايين طفل مازالوا يعيشون دون حد الفقر مما يشكل ثلاثة أضعاف عدد الذين عانوا من الفقر في السبعينيات.

وقالت كلية لندن للاقتصاد في جامعة لندن أن ما نسبته ١٠ في المائة من الأطفال لم يستفيدوا من ارتفاع مستوى المعيشة في بريطانيا.

وأضافت أن الأمر يحتاج إلى إجراءات جذرية إذا كانت الحكومة البريطانية تريد أن تحقق أهدافها بالقضاء على ظاهرة الفقر الذي يعاني منه الأطفال خلال ٢٠ عاماً. وأظهرت الإحصائيات أن العمل الذي يجب أن تقوم به الحكومة إذا أرادت أن تحقق أهدافها هو خفض مستوى فقر الأطفال بمعدل ٢٠٠ ألف حالة بحلول منتصف العام المقبل والقضاء عليه خلال جيل.

وقال رئيس الباحثين في كلية الاقتصاد في بريطانيا بول غريغ إن الإجراءات التي يجب أن تتخذ لمعالجة الفقر يجب أن تكون «كبيرة وفعالة» وثابتة لأعوام عديدة.

وقال غريغ: إن التخفيضات التي طرأت على المزايا الاجتماعية والإعفاءات الضريبية للعائلات قد جعلت من مشكلة الفقر لدى الأطفال أكثر سوءاً.

ومضى قائلاً: «إن مساعدات الأطفال في تدهور فإن الإعفاءات الضريبية القديمة ذهبت، كما أن مدفوعات المزايا الخاصة بالأطفال لا ترتفع، كل هذا يجر العائلات وأطفالهم إلى الأسفل». ■

شركات التبغ تضيف مواد كيماوية للسجائر لزيادة الإدمان

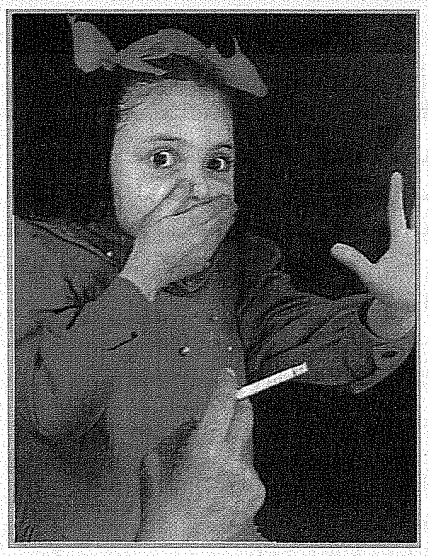

قال تقرير جديد نشر يوم ١٩٩٩/٧/١٤م إن شركات التبغ تضيف كيماويات لزيادة إدمان المدخنين للسجائر.

وأوضح تقرير مشترك للمؤسسة الملكية البريطانية لأبحاث السرطان وجماعة مكافحة التدخين «اش» وولاية ماساتشوستس الأمريكية أن أكثر من ٦٠ وثيقة خاصة بصناعة التبغ تتحدث عن استخدام مواد مضافة لترويج السجائر.

وقال كليف بيتس مدير جماعة مكافحة التدخين «اش» في مقابلة هاتفية «إنها فضيحة... إضافة مواد للسيجارة لكي يصبح المدخنون أكثر إدماناً في الوقت الذي تنفي فيه أن النيكوتين يسبب الإدمان».

ويعتمد التقرير على وثائق داخلية خاصة بصناعة التبغ تتحدث عن استخدام مواد إضافية تم الكشف عنها في الآونة الأخيرة في دعاوى نظرتها محاكم بالولايات المتحدة.

وتفيد هذه الوثائق بأن معظم المواد المضافة ومجموعها ٦٠٠ المستخدمة في إنتاج السجائر بدول الاتحاد الأوروبي ليست ضرورية وإن قليلاً منها كان يستخدم قبل عام ١٩٧١م.

وأوضح التقرير أن هذه المواد المستخدمة تحسن مذاق التبغ وتغطي رائحة الدخان وتزيد من امتصاص النيكوتين.

وتتحدث وثيقة للشركة البريطانية الأمريكية للتبغ أعدت عام ١٩٦٥م عن استخدام النشادر لزيادة امتصاص جسم الإنسان للنيكوتين، ونقل التقرير عن الوثيقة قولها: «أوضحت النتائج أن إضافة النشادر أدى إلى زيادة امتصاص المواد الأساسية في السجائر بما في ذلك زيادة نسبتها ٢٩ في المائة في امتصاص النيكوتين».

وقال الطبيب مارتن جارفيس من المؤسسة الملكية البريطانية لأبحاث السرطان: إن شركات التبغ تزعم استخدام هذه المواد لكي يصبح تدخين السجائر التي تقل بها نسبة القطران أسهل بالرغم من أن السجائر التي تقل بها نسبة القطران ضارة مثلها مثل السيجارة العادية.

وأضاف التقرير أن هذه الدراسة توضح أن هناك قضية يجب مناقشتها مع ضرورة وضع قوانين جديدة.

وقال بيتس إنه يتحتم على شركات السجائر الكشف عن المواد التي تضيفها على كل ماركة سجائر وإثبات عدم تسببها في أضرار أخرى. ■

جريمة في لندن كل أربع دقائق

أصدرت شرطة العاصمة البريطانية «اسكوتلنديارد» إحصائية أوضحت فيها أن هناك اعتداء إجرامياً يقع على شخص في لندن كل أربع دقائق، وبينت الإحصائية ارتفاعاً ملحوظاً لهذه الظاهرة حيث إنه خلال عام منذ أبريل ١٩٩٨م، بلغ عدد الاعتداءات الإجرامية العنيفة ٣١٥٤٩ اعتداء من بينها ١٣٨ جريمة قتل، وأوضحت الإحصائية أن ١٠٢ جريمة قتل قد وقعت منذ يناير الماضي وأن ٤٤ في المائة من هذه الجرائم العنيفة تضمنت اعتداءات وتحرشات جنسية وجرائم قتل مروعة قد تمكنت الشرطة من حل ألغاز ٤٤ في المائة فقط منها.

ومن جانب آخر، تسود حالياً موجة غير طبيعية من اغتصاب النساء بدأت تقلق الأوساط الحكومية والاجتماعية البريطانية على حد سواء.

وأظهرت إحصائية نشرتها الصحف البريطانية أنه يتم اغتصاب أكثر من أربعين امرأة أسبوعياً في لندن وحدها وقد بلغ عدد النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب في العاصمة البريطانية الفين خلال أقل من عام.

وقالت الإحصائية إن العدد يتزايد بشكل مطرد من عام إلى عام، ففي عام ١٩٩٦م سجلت ١٨٣٨ بالمقارنة مع ألفين منذ بداية العام الحالي.

وأوضحت الإحصائية أن الاغتصاب يترافق مع عنف شديد في أغلب الحالات وهي ظاهرة بدأت تترك آثاراً سلبية على المجتمع حيث لا تشعر المرأة بالأمان. ■

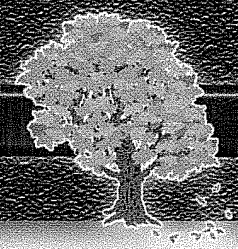

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً)

الفرقان:٢٧-٢٩.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله متى الساعة ؟

فقال له : وما أعددت لها ؟

قال: حب الله ورسوله.

فقال له النبي ﷺ : فإنك مع من أحببت.

عبرت .. فقال ذو النون

إن لهذا العقرب لشأناً فامض بنا فجعلنا نقفو أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال:

يا فتى! انظر مما نجاك الله: هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه
من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك
تأتيه منه فوائد النعم

فقال الشاب بعد أن أفاق:

إلهي! هذا فعلك بمن عصاك فيكف رفقك بمن يطيعك؟

(كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي)

تعاريف عامة في علم الحديث : أنواع الحديث

١ ـ المرفوع: وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى حديثاً.

٢ ـ الموقوف: وهو ما يروى عن الصحابي ويسمى أثراً.

٣ ـ المقطوع: وهو ما يروى عن التابعي ويسمى أثراً.

صفة الدنيا

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

الدنيا دار بلاء ونزل عناء، أسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، فهي الغاشة لمن انتصحها، المهلكة لمن اطمأن إليها، طوبى لعبد أطاع فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته.

قالوا

ـ من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه. (ابن المعتز)

ـ حادثوا هذه القلوب بذكر الله فإنها سريعة الدثور. (الحسن البصري)

ـ من كانت فيه دعابة فقد برئ من الكبر. (علي بن أبي طالب)

الفرس

يستطيع الفرس أن يظل شهراً واقفاً على قدميه كما أنه ينام في هذا الوضع... إذ حباه الله بجهاز عضلي خاص يسمح لأرجله بأن تظل مشدودة على الدوام لتحمل جسمه الثقيل دون عناء... فسبحان الله.

أحمد الله على المصيبة

قال شريح القاضي: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عزَّ وجلَّ عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

لا أدري

كان عبدالله بن يزيد يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده: لا أدري حتى يكون أصلاً منه في أيديهم إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول: لا أدري... لا أدري. وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أعلم، فقيل له: ألا تستحي وأنت فقيه العراقين «الكوفة والبصرة» قال: لا أستحي مما لا تستحي منه الملائكة حين قالت: (لا علم لنا إلا ما علمتنا).

أخشى أن أكون شريكاً فيها .

جلس التابعي الجليل طاووس عند أبي جعفر المنصور فقال له المنصور:

ناولني هذه الدواة، فامتنع طاووس وتكرر طلب الخليفة وامتناع طاووس، فقال أبو جعفر غاضباً: ما يمنعك أن تناولنيها؟ فقال طاووس: أخشى أن تكتب ما يكون معصية لله، فأكون شريكاً فيها.

النائحة الثكلى والنائحة والمستأجرة

سُئل أحد الوعاظ: ما لك كلما تكلمت بكى كل من يسمعك ولا يبكي من كلام واعظ المدينة أحد؟ فقال: ليس النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة!

إجابة مسكتة

قدم على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وفد، فانابوا عنهم غلاماً يافعاً ليتكلم، فقال له عمر: يا غلام ليتكلم من هو أكبر منك سناً، فقال له: يا أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، ولو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أحق منك بالخلافة، فقال عمر:

صدقت وتكلم الغلام فأثار دهشة الخليفة الذي أخذ ينشد:

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير إذا التفت عليه المحافل

يقول عبدالله بن المبارك :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأطيب

خطأ لغوي شائع

أذن له في السفر:

يقولون أذن له بالسفر والصواب: «أذن له في السفر» أي: أباحه له لأن معنى (أذن بالشيء) هو: علم به.

وفعله: أذن يأذن إذناً وأذناً وأذانة: علم وقد قال تعالى في الآية ٢٧٩ من سورة البقرة: (فأذنوا بحرب من الله ورسوله)، أي كونوا على علم.

وأذن له في الأمر يأذن إذناً وأذيناً: أباحه له، وأذن له وإليه استمع معجباً.

عقوق وظلم نفس

قال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه ذاك وظلم نفسه.

دواء القلب

قال أحد الصالحين: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

رؤوس النعم

رؤوس النعم ثلاثة: أولها نعمة الإسلام التي لا تتم النعم إلا بها، ثانيها: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، ثالثها: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

حدود

- للجود : حد متى جاوزه صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه صار بخلاً وتقتيراً.
- للشجاعة : حد متى جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً.
- للغيرة : حد إذا جاوزته صارت تهمة وظناً سيئاً بالبريء، وإذا قصرت عنه صارت غفلة.
- للتواضع : حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومتى قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

إعداد : محمد هاتي

نحو تقويم جديد للكتابة العربية

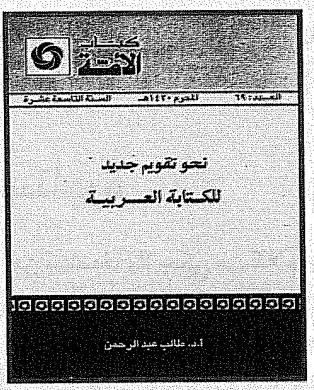

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر كتاب الأمة التاسع والستون تحت عنوان «نحو تقويم جديد للكتابة العربية» للأستاذ الدكتور طالب عبدالرحمن، وهذا الكتاب يشكل محاولة جادة لمناقشة مشكلة تعتبر من أخطر المشكلات التي تتعرض لها الكتابة العربية بعد أن اتسعت فجوة التخلف في العالم العربي والإسلامي، وما رافق ذلك من التطور الهائل لتقنيات الكتابة والاتصال، والدعوة العريضة إلى ضرورة استبدال الحروف الأجنبية بالكتابة العربية، الأمر الذي يعني أول ما يعني إحداث القطيعة مع القرآن الكريم، والسنة النبوية والتراث التاريخي للأمة المسلمة، ومسح ذاكرتها بحجة أن تعلم الكتابة العربية ورسمها وحروفها صعب قياساً ومقارنة بالكتابة بالحروف الأجنبية.

والباحث حاول تفنيد المآخذ المنسوبة إلى العربية، وعقد مقارنة متخصصة مع الفرنسية والإنكليزية، مبرزاً النقائص والمزالق الموجودة في أشهر لغات العالم المعاصر اليوم، وتأتي ميزة الكتاب في أنه ركز على مناقشة الأفكار لا الأشخاص، وحاول التفريق بين مناقشة القيمة «الفكرة»، بعيداً عن الذات، مبيناً أن دعاة التغيير لم يكونوا موضوعيين في عرضهم الحقائق، إضافة إلى أن الباحث تمكن من عرض النقاط الفنية المتخصصة بأسلوب سهل واضح ليصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

الزكاة وتنمية المجتمع

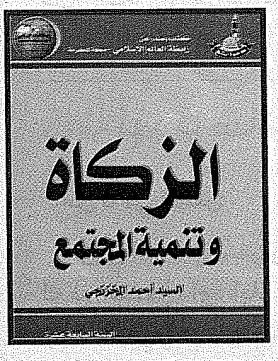

عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة صدر العدد ١٨٧ في سلسلة دعوة الحق تحت عنوان: «الزكاة وتنمية المجتمع» للسيد أحمد المخزنجي وهذه الدراسة تأتي لتؤصل ملامح الزكاة، هذه الشعيرة الأساسية من شعائر الإسلام وأركانه، وتبرز في الوقت نفسه إلى أي مدى يكون دورها في تنمية المجتمع الإسلامي وإزالة حدة الفقر بين أفراده على مختلف فئاتهم وطبقاتهم، كما تأتي في الوقت الذي فشلت فيه النظم الاقتصادية المعاصرة ذات الأيديولوجيات المتصارعة في الوصول إلى نظام اقتصادي عادل يحفظ للإنسان كرامته وآدميته بعد أن جربت مناهجها الاقتصادية الخاطئة التي أدت ولا تزال إلى المزيد من البطالة والفقر والكساد على مستوى العالم، لتناقضها مع متطلبات الفطرة الإنسانية السوية، فبعد تخبط طويل لتلك النظم وما نجم عنها من مآس لعدة قرون يعود العالم اليوم لينتبه إلى ما سبق أن قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من نظام اقتصادي مرن يحقق التوازن بين الدوافع الذاتية ومصالح الأمة الاجتماعية، فالزكاة تعتبر من أهم الوسائل في بناء المجتمع، لأنها تساعد على إزالة الكراهية والحقد والحسد الذي تنبض به قلوب المحرومين، ومن ثم يسعد المجتمع ويعيش متعاوناً متآخياً مترابطاً بما يؤدي إلى قيام تنمية شاملة ومتوازنة دعامتها الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه.

كتاب جديد لتصحيح شبهات حول السيرة النبوية

عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» صدر كتاب جديد باللغة العربية حول تصحيح ما ورد في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بستل في «لايدن» بهولندا، في مادة السيرة النبوية التي تجدد طباعتها بصورة مستمرة وتصدر بالانجليزية والفرنسية والألمانية.

ويتناول هذا الكتاب بالرد المنصف القائم على الحجة والبرهان والمستند إلى المنطق والدليل ما ورد في هذه الموسوعة من أخطاء وشبهات حول السيرة النبوية لا يمت بأدنى صلة إلى حقائق التاريخ وأصوله الذي يقوم على الموضوعية والإنصاف والحياد الفكري وذلك نتيجة الاعتماد على مصادر ضعيفة ومراجع مشبوهة، والإهمال المقصود لما صح من المصادر التاريخية المنزهة عن الهوى والغرض، وقد صحح الأخطاء الواردة في هذه الموسوعة عن السيرة النبوية الدكتور أحمد أبو زيد، وستتولى المنظمة الإسلامية ترجمة هذا الكتاب إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وينقسم الكتاب إلى قسمين يشتمل أولهما وهو الخاص بالمرحلة المكية من السيرة النبوية على أربعة مباحث تتناول طفولة النبي ﷺ، ومن البعثة إلى الهجرة والتشكيك في أحداث السيرة قبل الهجرة.

بينما يختص القسم الثاني بالمرحلة المدنية ويتناول في ستة مباحث أخطاء الموسوعة في الحديث وأخطاء في وصف سيرة النبي ﷺ، وأخطاء في الحديث عن السرايا والغزوات والتشكيك في الرسائل النبوية إلى الملوك والحكام، ومزاعم متنوعة أخرى، ويحتوي الكتاب على تمهيد عام حول طريقة المستشرقين في كتابة السيرة النبوية وأسلوبهم في التعامل معها.

والكتاب هذا يقع في ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط وصدر في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي يوجد مقرها في الكويت.

رسائل تجديد الإيمان

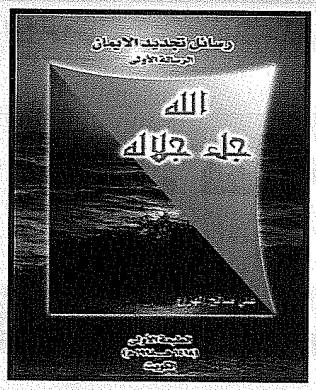

ثلاث رسائل من تأليف الأستاذ علي صالح الهزاع، وهي تعتني بثلاث مسائل رئيسة تعتبر كل مسألة فيها ركيزة من أهم ركائز العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي الصحيح وهذه الرسائل هي:

١ ـ وجود الخالق ووحدانيته.

٢ ـ القرآن الكريم معجزة الإسلام.

٣ ـ رسالة البعث والنشور.

والرسائل عبارة عن تفصيل لمحتويات هذه النقاط ومواضيعها الأساسية التي هي بيت القصيد ومحط المخالفة والأخذ والرد عند خصوم الأديان على تنوع أساليبهم ومشاربهم، وهو عمل نشبهه بمفتاح نضعه بيد القارئ يفتح به مغاليق أبواب هذه المواضيع.

وقد اعتمد المؤلف على مادة القرآن الكريم وأسلوبه الفريد في سياسته الجدلية البعيدة عن التعقيدات المنطقية الاصطلاحية التي جاءت على ما هو مألوف من أساليب الناس البدهية وتميزت عليه في الجمع بين وضوح التعبير وسلامة التركيب وإيقاظ المدارك النفسية والعقلية التي تدفع إلى التفكر والنظر والاستلهام.

مسلمو أثيوبيا أغلبية خلف الستار

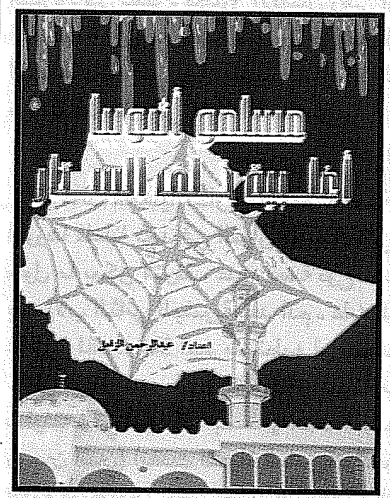

كتاب من تأليف وإعداد عبدالرحمن الزامل، وفهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض، ويقع في حوالي ٩٠ صفحة من القطع المتوسط ويتحدث الكتاب عن المسلمين في أثيوبيا حيث يؤكد على ثلاثة أمور هي:

١ ـ إثبات أن المسلمين أغلبية في هذه البلاد.

٢ ـ إبراز وإيضاح أوضاع المسلمين تحت حكم النصارى خلال مائة عام مضت.

٣ ـ إظهار وكشف الدور الغربي النصراني في مسيرة الأحداث التي أدت إلى ظلم المسلمين وقهرهم.

مؤلف الكتاب اعتمد في أغلب جوانب هذه الدراسة على الخبرة الميدانية الذاتية له، وعلى المقابلات الشخصية مع ذوي الشأن والعمل والخبرة، كما أن بعض النقاط مما يتعلق بفترة الأمبراطور «منليك الثاني» وهيلاسي لاسي والحكم الشيوعي هي ترجمة من كتاب: OROMIA لمؤلفه gadaa melleaa.

الشيوعية أفيون الشعوب

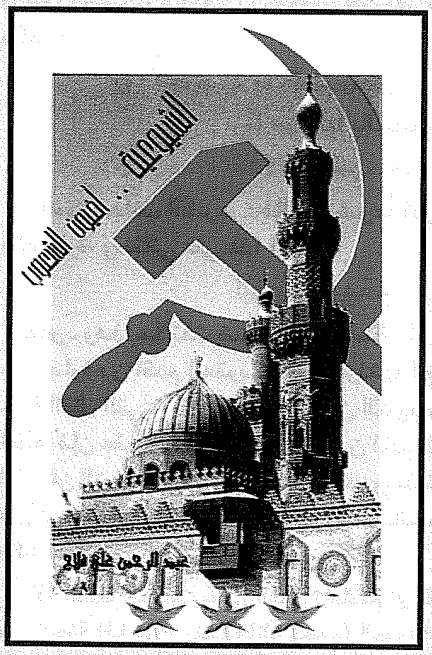

كتاب من تأليف عبدالرحمن علي فلاح، وتوزيع مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر في البحرين.

يقع الكتاب في حوالي ١١٠ صفحات من القطع الصغير وهو عبارة عن موضوعات نشرت في أوقات متفرقة وفي مناسبات مختلفة، ولكنها تجتمع وتتعاضد في مضمونها حول قضية واحدة شغل الناس بها زمناً طويلاً ولايزالون مشغولين بها، هذه القضية هي قضية الشيوعية التي قامت على مبادئها دولة كبرى وكانت ملء السمع والبصر وكانت تتقاسم زعامة العالم مع دولة أخرى هي الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما استنفدت أغراضها وانتهت مدة صلاحيتها سقطت، وسقطت بسقوطها الفكرة والمبادئ التي قامت عليها.

بقلم : د. رفيق حسن الحليمي

الرجم . . . من أقدم العقوبات التي عرفتها البشرية

الدلالة اللغوية:

حملت الدلالة اللغوية لمعنى الرجم معان عدة، منها الرمي بالحجارة والقتل بها، والقذف باللسان بفاحش القول على سبيل اللعن والشتم، ومنها الهجر والطرد. وهذه المعاني تدخل جميعها ضمن العقوبات التي يوقعها الإنسان «أو المجموعة» على الآخر، إما بالرمي بالحجارة للقتل وإما بالشتم، وإما بالهجر، ومن معانيها اللغوية الغيب والظن من غير دليل كقوله تعالى: (رجماً بالغيب) الكهف:٢٢، وكقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ
وما هو عنها بالحديث المُرجَّمِ(١)

الدلالة الشرعية:

أما من الجانب الشرعي: فالرجم شرعاً قتل الزاني المحصن رمياً بالحجارة، وسنأتي على هذا المعنى.

الرجم تاريخياً:

يبدو - وهذا ما تفترضه هذه الدراسة - أن الرجم بمعنى الرمي بالحجارة من أقدم العقوبات التي عرفتها البشرية، فإذا استثنينا حالة القتل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي قتل أحد أبناء آدم أخاه، فإن عقوبة الرجم يمكن أن تكون أقدم العقوبات التي مارسها الإنسان للتخلص من الخصوم، ولا ندري يقيناً الأسلوب الذي تم به قتل أحد أبناء آدم، فربما كان قتله رجماً بالحجارة أيضاً بعد تقييده والله أعلم.

وإذا أخذنا الرجم بمعنى اللعن والشتم أو الطرد، فإن خروج إبلس من الجنة (فاخرج منها فإنك رجيم) الحجر:١٥، يقع ضمن هاتين الدلالتين: اللعن والطرد، وأما خروج آدم وزوجه من الجنة فيقع ضمن دلالة الهجر والإبعاد، على أن معنى اللعن لغة الإبعاد «قاموس»، وهناك عدة آيات قرآنية تصف الشيطان بأنه رجيم كقوله تعالى: (وحفظاً من كل شيطان رجيم) الحجر:١٧.

ويبدو أن الإنسان - بعد هبوط آدم إلى الأرض - في سعيه لمعيشته اهتدى إلى الحجارة - وما أكثرها حوله - يرمي بها الطير والدواب والوحوش لاصطيادها، فأصبح الحجر أداة من أدواته في معركته مع الحياة، وأخذ يشكله في أشكال مختلفة كالسكاكين والخناجر... ولا يفوتنا تسمية المؤرخين هذه الحقبة من تاريخ البشرية بالعصر الحجري، وهو أقدم فترات التاريخ الإنساني وأطولها(٢)، وأغلب الظن أن أناس العصر الحجري القدي الباكر كانوا صيادين رحلاً جماعين للغذاء يأوون إلى الكهوف والمآوي الصخرية(٣)، خلال هذه الفترة - في ظننا - تجاوز الإنسان رمي الحجر للصيد به إلى «رجم الخطيئة» ورجم الخطّائين والمخالفين للتشريعات والمواضعات الاجتماعية التي بدأت تأخذ بها هذه المجتمعات بعد الانتقال من مرحلة الترحال إلى حياة الاستقرار.

الرجم في القرآن:

إذا كانت قضايا التاريخ القديم غامضة بحيث يغيب عنّا الكثير من أمورها فلعلنا نجد في القرآن ما يعين على جلاء بعض هذا الغموض، وأول ما يمكن التوقف عنده قصة نوح - عليه السلام - الذي يمكن أن يعد الأب الثاني للبشرية بعد آدم - عليه السلام - وتاريخه التفصيلي غامض لقدمه فلا أحد يستطيع أن يحدد بدقة الفترة الزمنية التي عاش فيها، غير أن القرآن ذكر شيئاً من حياته مع قومه وقصة سفينته التي أمره الله بصنعها، تلك السفينة التي حمل فيها (من كل زوجين اثنين) أنقذت الحياة البشرية والحيوانية من الطوفان الذي عمّ الكرة الأرضية... وفي قصته التي يذكر القرآن جانباً منها تأتي كلمة «الرجم» في قوله تعالى: (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) الشعراء:١١٦، وهذه الآية تعدّ من الناحية التاريخية الآية الأولى التي تحدثت عن الرجم، ومما ينبغي أن نلحظه في قوله تعالى: (من المرجومين) أن حرف الجر (من) للتبعيض أي من من بعض المرجومين، وفي ذلك دلالة واضحة على أن قومه كانوا يمارسون رجم من يخالفهم، وأن الرجم عادة اتخذها قومه في العقوبات، يقول النسفي في تفسيره للآية: أي من المرجومين بالحجارة أو المقتولين بالحجارة، وقيل من المرجومين بالسيّئ من القول.

بهذه الآية يمكن أن نضع أصابعنا على أول استخلاص: وهو أن

الرجم من العقوبات القديمة التي عرفها قوم نوح، فقد هددوه بالرجم إن لم ينته عماً كان يدعوهم إليه من التوحيد وترك عبادة الأوطان، وهو أمر نجده مع قوم إبهيم - عليه السلام - فقد جاء بعد نوح ويعتقد أن موطنه الأول كان العراق على أكثر الظن، وقد كان قومه يعبدون الأوثان، وكان أبوه ينحتها(٥)، وفي حواره مع أبيه قال له أبوه: (إن لم تنته لأرجمنك وأهجرني ملياً) مريم:٤٦، أي لأقتلنك بالرِّجام «بكسر الراء جمع مفرده رجمة بضم الراء: حجارة تنصب على القبر - قاموس»، أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك(٦)، ويلحظ أن فعل الرجم في الآية مسند إلى ضمير المتكلم المفرد، وكأنه استولى أمر الرجم وحده دون أن يشاركه أحد من قومه، ربما لخصوصية بين الأب وابنه وربما جاء ذلك ضمن سياق الحوار المقتصر على الأب وابنه، ومع ذلك يمكن القول: إن عادة الرجم التي كانت عند قوم نوح - الذين أُبيدو بالطوفان - تجددت عند قوم إبراهيم وكأن البشرية آنذاك ارتضت هذه العادة وجعلتها ضمن تشريعاتها وقوانينها لرجم من يخالف الجماعة أو يخرج عليها وعلى ملتها ومعتقداتها.

وفي عهد موسى - عليه السلام - تستوقفنا الآية الكريمة: (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) الدخان:٢٠، أي تقتلوني رجماً(٧) والتهديد موجه إلى موسى من قوم فرعون. كما تستوقفنا آية أخرى مع شعيب - عليه السلام (ولولا رهطك لرجمناك) هود:٩١، أي لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة(٨)، وهذا ما نجده مع رسل عيسى - عليهم السلام - الثلاثة الذين بعث بهم إلى القرية «أنطاكية» لهداية أهلها، ولكنهم رفضوا الهداية، وهددوهم بالقتل، قال تعالى على لسانهم: (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم) يس:١٨، أي لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم.(٩)

وفي قصة أهل الكهف التي قيل إن أحداثها جرت بعد الميلاد بحوالي قرنين ونصف(١٠)، وردت كلمة الرجم في قوله تعالى: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) الكهف:٢٠، يرجموكم أي يقتلوكم أخبث قتلة.(١١).

الرجم في الديانة المسيحية:

إذا صحَّت المقولة المنسوبة إلى السيد المسيح - عليه السلام - «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها» التي ذاعت في حق مريم المجدلية، تكون الديانة المسيحية بل اليهودية أول من تفرد بعقوبة الرجم في حق الزناة وليس فقط في حق الخارجين على الجماعة... فمريم المجدلية حسب المأثورات المسيحية تمثل رمز التوبة حيث أجمعت الآثار على أنها المرأة الزانية التائبة.(١٢)

من كل ما تقدم يمكن أن نستخلص أن عادة الرجم بالحجارة قديمة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور، وقد ترسخت عند كثير من الشعوب القديمة على اختلاف أزمانها وأماكنها، ويبدو أن تلك الأماكن تمركزت في العالم القديم ما بين العراق والشام الكبرى ومصر، وهي الأماكن التي ظهر فيها الأنبياء، أو كانت موطناً لهم، وكأنهم بذلك يرجمون الخطيئة أو يرجمون من يتحداهم ويخرج على أعرافهم ومللهم... على أن هناك استخلاصاً مهماً في هذا السياق وهو أن الديانة المسيحية و اليهودية كانت تمارس الرجم في حق الزناة استناداً إلى المقولة الشائعة السابقة (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها).

الرجم في الإسلام:

وفي الإسلام أقرَّ النبيّ - عليه الصلاة والسلام - الرجم في حق الزاني والزانية إذا كانا محصنين «متزوجين»، استناداً إلى آية نسخت تلاوتها وبقي حكمها، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه خطب فقال: إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله - ﷺ - ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقلو قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبَل (بفتح الباء) أو الاعتراف» متفق عليه(١٣). وقد استرجمت امرأة من جهينة وهي المعروفة بالغامدية النبي فقالت له: يا نبي الله أصبت حداً فأقمه عليَّ... إلى آخر الخبر... ثم أمر بها فرجمت(١٤)، كما رجم رجلاً من أسلم «قبيلة» وهو ماعز بن مالك، ورجلاً من اليهود وامرأة.(١٥).

وبناء على هذه الروايات أصبح معنى الرجم من الجانب الشرعي: رجم الزاني المحصن(١٦).

وفي الحج أصبح رمي الجمرات من مناسك الحج وشعائره، فالحاج يقف في «منى» عند ثلاثة أماكن ترمز إلى إبليس أو الشيطان ويلقي عليها الجمرات مكبراً مهللاً إيذاناً بالتوبة إلى الله تعالى، وتخلصاً من الذنوب وغوايات الشيطان الرجيم.

وفي العصر الحديث نجد الرجم بالحجارة من الوسائل المختلفة التي يعبر بها الإنسان عن رفضه للظلم ورجم الخطيئة ونبذها والاستعلاء عليها. ■

المراجع:

١ - أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٦٧، دار المعارف ط١٩٦٣م.
٢ - الموسوعة الميسرة ص ١٢١٥.
٣ - نفسه ص ١٢١٦.
٤ - تفسير النسفي ج٣ ص ١٩٦.
٥ - الموسوعة ص ٣.
٦ - تفسير النسفي ج٣ ص٣٧.
٧ - نفسه ج٤ ص١٢٩.
٨ - نفسه ج٢ ص ٢٠٢.
٩ - نفسه ج٤ ص٥.
١٠ - الموسوعة ص٢٠٢.
١١ - النسفي ج٣ ص٧.
١٢ - الموسوعة ١٦٩٠.
١٣ - والآية التي عناها عمر - رضي الله عنه - في خطبته وبها شرعت فريضة الرجم والتي اجتمعت الآراء على أنها من الآيات التي نسخت تلاوتها وبقي حكمها قوله تعالى: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) وفي رواية عند النسائي أنها كانت في سورة الأحزاب، انظر: الحافظ العسقلاني: سبل السلام: شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج٤ ص٨ «المكتبة التجارية الكبرى - مصر».
١٤ - نفسه ج٤ ص١١ «بقية الحديث: فدعا رسول الله - ﷺ - وليّها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها، ففعل، فأمر بها فشكَّت - بالبناء للمجهول - : أي شدّت، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها.
١٥ - نفسه ج٤ ص١٢.
١٦ - المعجم الوسيط «مادة رجم».

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

النية عند دفع الزكاة

عُرض السؤال التالي من / عبدالعزيز :

لديَّ أموال في أحد البنوك في حساب التوفير، وقد حصلت على نسبة من الأرباح، وسألت بعض أهل العلم بالنسبة لهذه الفائدة هل آخذها أم أتركها للبنك؟ فقالوا: خذها واعطها للفقراء والمحتاجين، وقد فعلت ذلك بأن أعطيتها لمريض فقير محتاج للمال، وبعد مدة سمعت أن أخذ الفائدة من البنك لا يجوز وإنما تترك للبنك، فقمت بسحب مقدار الفائدة التي صرفتها للفقير من أموالي الخاصة وتركتها للبنك بدلاً من الفائدة المصروفة، واعتبرت ما قدمته للفقير من الصدقة، وأنا الآن أريد إخراج الزكاة، فهل اعتبر ما قدمته للفقير داخلاً ضمن أموال الزكاة التي سأخرجها أم لا؟

- أجابت اللجنة: إن السائل قد أخطأ عندما أخذ الفائدة من البنك ثم أرجعها إليه بعد ذلك، وكان الأفضل أن يأخذها ويصرفها في المصالح العامة للمسلمين، أما بالنسبة لما قدمه للفقير، فإنه لا يحتسب من ضمن أموال الزكاة التي سيخرجها.

تسلط الجن على الإنسان

عُرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

ماذا نقصد بالجن الخيّر والجن الشرير، وما الأمراض المتسببة عن الجن؟

- أجابت اللجنة:

الجن - كالإنس - فيهم الصالحون، وفيهم المفسدون، وذلك بنص القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الجن: (وإنا منَّا الصالحون ومنا دون ذلك كُنَّا طرائق قدداً) الجن:١١، وقوله: (وأنَّا منّا المسلمون ومنا القاسطون) الجن:١٤، ومعنى القاسطون: الجائرون.

أما ما ينشأ عن تسلط الجن، فهو الصرع في بعض حالاته، وكذلك بعض الأمراض النفسية كالقلق، والوسوسة، والاضطراب في التصرفات المعاشية. والله أعلم

تسلط الجن على النساء

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

لماذا يفضل «أو يميل» الجن إلى النساء؟

- أجابت اللجنة:

إن كثرة ميل الجن للتسلط على النساء «كما تدل على ذلك الوقائع، وليس على ذلك دليل شرعي» ربما كان من غلبة العاطفة، وقلة التقوى في بعضهن. والله أعلم

الأمراض المتسببة عن الجن

ورد إلى اللجنة السؤال التالي:

نحن نعتقد بالجن باعتبارنا مسلمين، لكن ما الدليل المستخرج من الشريعة على أن الجن قد يسبب الأمراض - وبخاصة الأمراض العقلية «النفسية» - وما الدليل على أن الشفاء يتم باستخراج أو طرد الجن؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

وردت بعض الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الجن قد يتسلطون على ضعاف الناس ويسببون لهم أحوالاً مرضية لا يجدي فيها العلاج الطبي، وورد أن بعض هذه الحالات عُولجت بتقوية نفس المصاب وذلك بالتعوذ والأدعية وزجر الجني المتسلط عليه، ولا يقوى على ذلك إلاَّ من كان قوي الإيمان والعزيمة. حتى يكون سلطانه على الأنفس الشريرة أقوى من سلطانها، فإذا تخلّص المصاب مما كان يعانيه دل ذلك على جدوى العلاج، هذا وإن درجة هذه الأحاديث تصلح للأخذ بها عملاً ولم تصل إلى درجة أن يُبنى عليها اعتقاد. والله أعلم

تنظيف الأسنان بدواء فيه كحول

عرض على اللجنة السؤال المقدم من الأخ مبارك ونصه التالي:

تنوي شركتنا استيراد نوع خاص من فُرَش الأسنان، مزوَّد أسفلها بأنبوب يحتوي على مادة تدعى «الاسيودنت»، ويدخل في تركيب هذه المادة ما يسمى بمزيج «سولفات الأثير»، مع كحول بنسبة ٢١٪.

فهل يجوز استعمال هذه المادة؟ علماً بأنها لا تدخل في الجوف، وتستعمل كمادة دوائية ومنظفة للأسنان؟ نرجو إعطاءنا رأي الشرع في هذه المسألة.

أجابت اللجنة:

إذا كان من شأن هذا «الأثير»، لو تعاطى إنسان منه كمية كبيرة أن يسكره، فيكون استعماله محرماً، حتى ولو لم يصل إلى الجوف، لأنه لو تمضمض بخمر لا يحل له ذلك، والله أعلم. ■

تعلم السحر

قدم المدعو عبدالرحمن السؤال التالي:

باعتبارنا مسلمين... هل نعتقد في السحر، وإذا كانت الإجابة بنعم فما موقف الشريعة منه؟

- اطلعت اللجنة على هذا السؤال ورأت أن ما جاء عن السحر في فتح الباري للحافظ ابن حجر يكفي للجواب وحاصله ما يلي:

اختلف في السحر، فقيل: «هو تخييل فقط ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة، قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة» انتهى، لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض؟ أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصيّر الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني.

قال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وإن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير التركيب نافعاً.

قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا.

وقد أجاز بعض العلماء تعلّم السحر لأحد أمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عن من وقع فيه، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا يستلزم منعاً، كما يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل. بخلاف تعاطيه والعمل به، أما الثاني، فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر والفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور. والله أعلم.

التعاويذ المشروعة وغير المشروعة

قُدِّم هذا السؤال إلى لجنة الفتوى:

التعاويذ، ماذا تعني هذه الكلمة؟

- أجابت اللجنة:

يُقصد بالتعاويذ أحد أمرين:

التعاويذ المشروعة، وهي ما كان بالأدعية المأثورة أو بقراءة المعوذتين (سورة الفلق، سورة الناس) وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي والتعوذات الواردة عن النبي ﷺ كقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق» وما كان بمعناها من الأدعية.

والثاني التعاويذ غير المشروعة، وهي ما كان مجهول المعنى أو متضمناً بالاستعانة بالشياطين والتزلف إليهم بما فيه كفر أو فسق أو بالذبح لهم وتقديم النذور.

حالات استعمال التعاويذ

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

في أي الحالات تستعمل التعاويذ؟

- أجابت اللجنة:

تستعمل التعاويذ في كل وقت، وتتأكد حين شعور الإنسان بالضعف والخوف أو المرض، وينبغي أن يضم إلى ذلك استعمال الأدوية التي يصفها الأطباء المتخصصون، ولا حرج في أن يستعمل التعوذ بالله تعالى في كل حال. والله أعلم

ثراويح أهل الله

بقلم: أ. د. مصطفى رجب

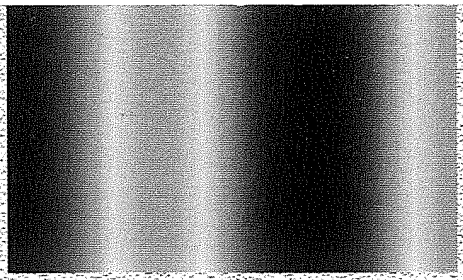

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن: هم أهل الله وخاصته» حديث صحيح. وأخرج ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم» حديث حسن. وأخرج الطبراني في الكبير بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليها وأرقها».. حديث حسن. في هذه الأحاديث الثلاثة يحدد الرسول الكريم ﷺ ملامح طائفة من صفوة المؤمنين، أولئك الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى وأحبهم وقربهم إليه وهم: أهل القرآن والقاضون لحوائج الناس. ورقاق القلوب من الصالحين.

أما أهل القرآن فالمقصود بهم أولئك الذين يشتغلون به حفظاً وتلاوة وتدريساً واتباعاً لأحكامه فتكتمل معرفتهم به وعلمهم بأحكامه فيكون ذلك نوراً يشع من وجوههم فيهتدون ويهدون الناس مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). فإذا أضاف أهلُ القرآن إلى نعمة الله والعمل بالقرآن نعمة التصدق وقضاء حوائج الناس فقد استكملوا بذلك أمهات الفضائل وحازوا أعلى درجات رضا الله لقوله سبحانه وتعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور). ولا شك أن التعامل الصحيح مع القرآن قراءة وفهماً يتطلب تعليماً دقيقاً لأصول التلاوة وتصويب النطق ومعرفة أماكن الوقف والوصل وآداب التلاوة كما أن العمل به يتطلب ثقافة فقهية مناسبة حتى لا يعتمد الإنسان على نفسه في فهم النص فيلتوي به عن المراد به.

لذلك قال الإمام البغوي في مقدمة تفسيره «معالم التنزيل»: «اعلم أن الأمة كما هم متعبَّدون - بفتح الباء المشددة - أي مكلفون مأمورون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، كذلك هم متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء إثم أو معذور». ومن هنا جاء الحديث الصحيح المتفق عليه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وما على غراره من أحاديث أخرى تشير إلى علو منزلة من ينفقون عمرهم في هذه الرسالة النبيلة تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

أما القاضون لحوائج الناس فالمقصود بهم أولئك الذين يبذلون جهدهم وجاههم وما لهم ووقتهم لإسعاد الآخرين وتحقيق مصالحهم، لا حباً في الشهرة ولكن التماساً لرضا الله سبحانه وتعالى عنه وطلباً لأجره والمغفرة والقرب من الله وحب رسوله ﷺ الذي قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»... حديث صحيح.

فقوله «الموطأون أكنافاً» يشير إلى الفئة الثالثة من أهل الله سبحانه وتعالى وهم رقاق القلوب من الصالحين الذين لا يحول بينهم وبين من يحتاج إليهم حائل ولا حاجب، ولا يمنعهم مانع من أن يغشاهم ذوو الحاجات في أي وقت دون رهبة أو خوف. وقوله: «الذين يألفون ويؤلفون» يعني: الذين تنبسط نفوس الناس بلقائهم، وينبسطون بلقاء الناس.

وقد جعل الإمام البخاري أحد أبواب كتابه «الأدب المفرد» بعنوان «باب ما يجب من عون الملهوف» فأخرج فيه بسنده عن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث عن جدي عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة». قال: أفرأيت إن لم يجد؟ قال: «فليعمل فلينفع نفسه، وليتصدق». قال أفرأيت إن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنه له صدقة»... حديث صحيح.

وعن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»... حديث صحيح. وأقل ثمار هذه الخصال الكريمة: دعوة صاحبها بالخير لمن قدم له الخير وهي دعوة مستجابة إن شاء الله خصوصاً إذا كانت بظهر الغيب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا إنه سميع قريب مجيب ■

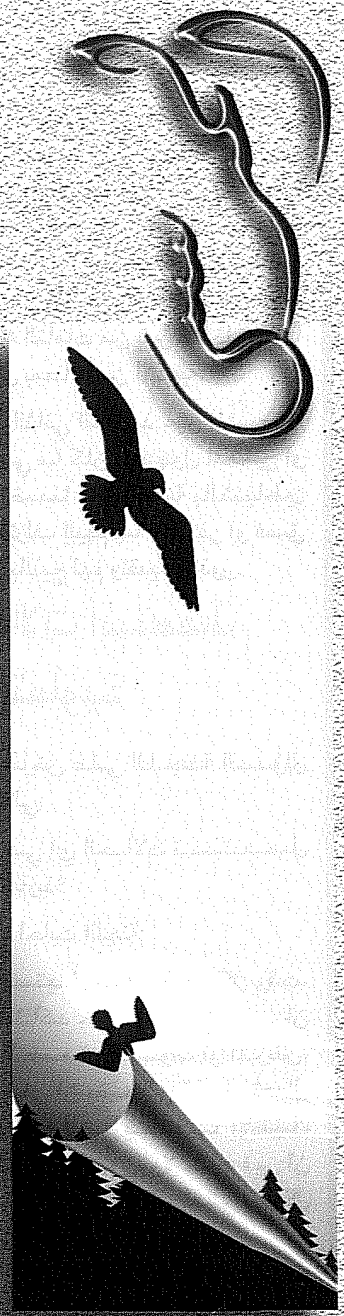

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث؟

فهل من معتصم يجيب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥/٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية